السفينة القادرية

شرح الصلاة الصغرى مع شرح حزب الوسيلة

للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

شرحه الشيخ
سيدي محمد الملا
رحمه الله

شرحه الشيخ
سيدي محمد الأمين الكيلاني
رحمه الله

ضبطه ووثقه

محمد سالم بواب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* (الجـــزء الأول) *

* (هـــذا مجموع القادريـــة) *

﴿ اشتمل على الصلات الكبرى في شرح الصلاة الصغرى، وصلوات أخرى. من إنشاء الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الجيلاني «رضي الله عنه».

ويشرح الشيخ سيدي محمد المنلا قادري «رحمه الله»..

واشتمل على «التعليق الموسوم بالمواهب الجلية في شرح حزب الوسيلة» للشيخ سيدي محمد الأمين الكيلاني «رحمه الله» ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الحامدين صاحب لواء الحمد لرب العالمين.
حمد الأنبياء والمرسلين. حمد أولي العزم والمقربين.
نحمده سبحانه على سابغ نعمه وجليل فضله ومننه، فهو الذي اجتبى عبده محمداً صفوة خلقه ونبراس حضرته، وسر مكنوناته وديباجة معلوماته، ونفحة قدسياته.

أسراهُ فأسماه، وحباهُ فألبسه ثوب رضاهُ، وأمَّهُ بأصفيائه، وخصه بمعراجه، فنال بذلك نورَ أنواره، وأراه من شؤون عجائبه، وقربه من بساطه، وأدناه من حضرته، وأطلعه على سر أمره، فلاحت له بدورُ الكمال تنهال عليه من مولى الجلال. وصار إليه الحال ببيانه يعجز عنه وصف لسانه أو رسم خياله. ربُّ العلى خصه برحمته، وتجلى عليه بفيض جماله. يُؤنسه من بحور مودته، ويدنيه من عيون جلاله.

لله فيه مايغنيه، فصلى عليه ربه وملائكته. صلاةً تقربه من ذاته، وتُبلِّغه محبة ملائكته، وتهيب أتباع سنته بالصلاة عليه ومحبته. فلله حمدٌ يبقى على مدى الدهر يعبقُ زكاؤه سناً بالشكر، ثم الصلاة على خير رسولٍ جاء بالبشر يؤيده ربُّ الحقيقة بالنور والظفر. صلاةً وسلاماً تفوحان بالمسك والعطر، وآله وأصحابه أهلُ الحقِ والطُهرِ.

** وبعـــد:
ماأجلَّ المرءَ المؤمن عندما يرتاد بفؤاده دوحةً من دوحاتِ الهدى والخير يسرح بها متغذياً بثمارها. متلذذاً بأطاييبها متلمساً أعتاب الكلم الطيب يلمه

إليه كي يحظى منه بنسماتٍ؛ عبيرُها قبسٌ من نور. ولايفتأ وارده عنه حتى ينهل من معينه العذب الزلال، ولذا فنحن الآن مع هذه الدوحة النفيسة التي حوت على درٍر ثمينة وفوائدٍ جمة تكونت من صيغة جليلة صاغها القطب الرباني والقنديل النوراني الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) وهي الصلاة الصغرى ومعها مجموعة أخرى من الصلوات المباركة. بدت معانيها سامية القدر. رفيعة الشأن. مبنيةً على مكنونٍ من السر. طابت مواردها، وبانت مآربها لذوي الفضل والقرب، ونال المنى كلُ من هام بلطائفها وحاز بعطفها، وسعد كل من طاف بأعطافها. هذا كما ضمت هذه الدوحة الأنيسة بسط حزب الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) وهو حزب الوسيلة وسمي هنا (التعليق الموسوم بالمواهب الجلية في شرح حزب الوسيلة).

وفيه مناجاة العبد لربه بعباراتٍ شفافة يضفو عليها الخشوع والمسحة الرحمانية بأنواعها. تتجلى على كلماته بما في ذلك من صدق الروح وصفائها، وعنبر السويدا ومرامها، وكما شملت هذه الدوحة على مشاهدَ كريمة وبياناتٍ واضحة لكثير من روائع هذا المجموع الطيب الذي أسأل الله تعالى أن ينفع به أمة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، كما أسأل المولى سبحانه أن يمنحنا الإخلاص وسر القبول وحسن الإجابة.

وجزى الله عنا الشيخ عبد القادر الجيلاني خير الجزاء. بكل كلمةٍ تُقرأ، وعبارةٍ تفهم، أو معنىً يغذو القلب فيدفعه بحلاوته، وجزى الله شارحيه عنا جميعاً أحسن الجزاء.

* * *

* تعـريف :

تم طباعة هذا الكتاب بالاعتماد على النسخة المطبوعة بالمطبعة التونسية سنة (١٣٤٦ هـ) وذلك بعد استدراك بعض الأخطاء وتصحيحها ـ وتم أيضاً تنسيق بعض عباراته وتخريج آياته وأكثر أحاديثه وترجمة عددٍ كبيرٍ من الأعلام المذكورين فيه. وأشرنا إلى بعض المهمات التي أردنا منها زيادة الفائدة للقراء الكرام، وأضفنا إليه مستفتحين به ترجمةً عزيزة وغنية فيها تفصيل مراحل حياة الشيخ رضي الله عنه، وشهادة أقرانه بفضله وكراماته، وتسليم أولي الفضل والنهى بعباراته.

وتسمى (غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر) وهي من تأليف شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله.

كما تم مقابلة متن الصلاة الصغرى وبعض الصلوات الأخرى وكذلك حزب الوسيلة على نسخة من المخطوط حصلنا عليها من دار الكتب الوطنية في تونس تحت رقم (٨٧٣) وعدد صفحاته (١٢٠).

** تنويـــه: يسمى هذا الكتاب بالسفينة القادرية وأيضاً بمجموع القادرية ـ وجعلنا منه جزءين ـ الأول وهو الذي نحن بصدده ويشمل على الصِلاتِ الكبرى في شرح الصلاة الصغرى، وصلوات أخرى شرحها الشيخ محمد المنلا قادري، والتعليق الموسوم بالمواهب الجلية في شرح حزب الوسيلة للشيخ محمد الأمين الكيلاني جزاهما الله عن المسلمين خير جزاء.

والثاني يشتمل على عدة قصائد للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كما يشتمل على مجموعة قصائد ومدائح قيلت في محبة الشيخ من بعض مريديه رحمهم الله جميعاً.

ولسوف نخرجه بحلته البهية عمّا قريب بإذن الله تعالى. علّنا نبلغ بذلك المراد رضا ربِّ السموات، والقرب من أهله وأحبابه أهلِ الخصوصية والكرامات، وكي تَقر عين مقصوده باليُمن والبركات.

وختاماً أتوجه بالشكر والامتنان لكل من ساعدني أو عاضدني في عملي هذا سواء بملاحظة أو بإشارة مفيدة دفعاً لهذا العمل.. أتوجه إليهم جميعاً بأعمق تقديري وشكري والدعاء لهم بأن يجازيهم الله بكل خير والله أهلٌ لذلك، والحمد لله رب العالمين.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتـــاب
غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر
تأليف
ابن حجر العسقلاني «رحمه الله»

الحمد لله القادر على تصريف مراده في تشريف أهل وداده وتفضيل بعض خلقه على بعض درجات وهو القاهر فوق عباده وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له شهادة حق ترفع قدر من نصب نفسه في خدمتها إلى أن تجره إلى جنات النعيم يوم معاده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان في البعث خاتم أنبيائه ويوم البعث فاتح أبواب الجنان لدخول أوليائه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأهل وداده وأوِدَّائه.

أما بعد:

فهذا تعليق موجز في ترجمة شيخ مشايخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني كتبتها إجابة لطلب من يتعين اسعاف طلبته والمسارعة إلى تحصيل رغبته، وقد رتبتها على ثمانية أبواب بعدد أبواب الجنة واتخذتها ذخراً لتكون لي ببركته من كل محذور أحصن جنة، وعلى الله اعتمادي وعوني وإياه أسأل عن الخطأ صوني لا إله إلاّ هو عليّه توكلت وإليه أنيب.

الباب الأول ـ قال الشيخ نور الدين صاحب بهجة الأسرار أخبرني أبو المعالي أحمد ومحمد ولدي علي بن محمد بن عبد الرزاق بن عيسى الهلالي البغدادي قال أنبأ القاضي أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن السيد الشيخ عبد القادر بن صالح جنكي دوست ابن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[1] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت عبد الرزاق

(١) الحسن المثني ـ كذا في الغنية.

ولد الشيخ من الثقاة وولده أبو صالح نصر من الثقات المستندين، وقد وقعت لنا الرواية بعلو ذكر مولده قال ابن النجار ولد سنة احدى وسبعين وأربعمائة، وقال غيره ممن ذكرنا من المؤرخين ولد سنة سبعين أو في التي بعدها، وسئل الشيخ عن مولده فقال: لا أعلم حقيقة ذلك لكني قدمت بغداد وأنا ابن ثمانية عشر سنة في السنة التي مات فيها النميمي يعني شيخ الحنبلية واسمه رزق الله ابن عبد الوهاب وكانت وفاته في جماد الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائه وأم الشيخ تسمى فاطمة وتكنى أم الجبار وتلقب أم الخير، قال اليونيني: وكان لها حظ وافر عظيم من الخير والصلاح وقال أبو سعيد الهاشمي: كان لها قدم في هذا الأمر وهي بنت الشيخ الزاهد أبي عبد الله الصومعي وكانت توصف بالخير والصلاح، وأسند الشنطوفي من طريق الشيخ العارف محمد الرياني القزويني وقال: كان الصومعي من أجَلّ من لقيته من المشايخ وكان مجاب الدعوة وكان من جملة مشايخ كيلان ورؤسائهم وكان إذا غضب أصيب من أغضبه سريعاً وكانت له كرامات، وذكر موسى اليونيني هذا النسب، وأسند الشنطوفي عن الشيخ مفرج ابن شهاب أنه كان في مجلس السيد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وهو يتكلم فقطع كلامه ودمعت عيناه وقال: ماتت أمي قال فأرخناه فجاء الخبر بعد مدة بأنها ماتت في ذلك الوقت، ومات أخوه عبد الله شاباً، ومات والد الشيخ وهو صغير فكفلته أمه وأسند الشنطوفي عن نصر ابن عبد الرزاق سمعت الأكابر من مشايخ العجم وعلمائهم يروون عن آبائهم أن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه كان لايرضع في شهر رمضان من ثدي أمه وزاد من طريق آخر أن الهلال غم عليّهم فسألوا أمه فأخبرتهم أنه لم يرضع منها في ذلك اليوم ثم ظهر بعد ذلك أن ذلك كان من شهر رمضان زاد الشنطوفي قال: واشتهر في البلد أنه ولد للأشراف ولد لايرضع في شهر رمضان، وكان له عمة تسمى عائشة صالحة.

فصل في صفته رضي الله تعالى عنه ـ قال الشيخ الموفق: كان نحيف البدن ربع القامة عريض الصدر واللحية طويلها أسمر مقرون الحاجبين له صوت

جهوري، قال إبراهيم ابن سعيد الداري: كان يلبس زي العلماء ويتطيلس ويركب البغلة.

الباب الثاني - في نشأته المرعبة واشتغاله بالعلوم الشرعية ثم السلوك في طريق الزهدية قال ابن النجار بالسند الماضي إليه: كتب إليّ أبو محمد عبد الله ابن أبي الحسين الحياني ونقلتها من خطه قال حكى: لنا الشيخ قال: قالت لي أمي: أمشي على بغداد واطلب العلم قال: فخرجت من بلد إلى بلد وأنا ابن ستة عشر سنة أو قال ابن ثمان عشر سنة واشتغلت بالعلم وقال: محمد بن قايد الأواني قلت للشيخ على ما بنيت أمرك ؟ قال: على الصدق ماكذبت قط ولمّا كنت في الكُتاب قال وقال لي كنت صغيراً في بلدنا فخرجت إلى السوار في يوم عرفة وتبعت بقر الحراثة فالتفتت إليّ بقرة فقالت: ياعبد القادر مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فرجعت فزعاً إلى دارنا فصعدت السطح فرأيت الناس واقفين بعرفة فجئت إلى أمي فقلت لها هبيني لله لأني أرى المسير إلى بغداد لأشتغل بالعلم وأزور الصالحين فسألتني عن ذلك فأخبرتها بما جرى فبكت وقالت لي: عندي ثمانون ديناراً كنت ورثتها من أبي فتركت لأخي أربعين وخيطت لي في دلقي تحت إبطي أربعين وأذنت لي في المشي وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي وخرجت مودعة لي فقالت لي: ياولدي اذهب فقد خرجت عنك معه وهذا وجه لاأراه إلى يوم القيمة فسرت مع قافلة صغيرة لطلب بغداد فلمّا تجاوزنا همدان وكنّا بأرض فلاة فخرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد ثم مر بي واحد منهم فقال لي: يافقير مامعك فقلت أربعين ديناراً فقال وأين هي قلت مخيطة في دلقي تحت أبطي فظن أني أستهزء به فتركني وانصرف فمر بي واحد آخر منهم فقال لي مثل الأول فأجبته بمثله فتركني وانصرف فاجتمعا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال عليّ به فأتيا به إليه وإذا هم على تل عالٍ يقتسمون أموال القافلة فقال لي: مامعك قلت أربعون ديناراً قال وأين هي قلت مخيطة في دلقي تحت إبطي فأمر بدلقي ففتق فوجدها فقال لي: ما حملك على هذا قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق فأنا لا أخون عهدها فبكى مقدمهم وقال: أنت لم تخن عهد أمك وأنا إلى اليوم كذا وكذا

سنة أخون عهد ربي فتاب على يدي فقال له أصحابه أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق فأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردو للقافلة ما أخذوا منهم فهم أول من تاب على يديّ، وقال عبد الله السلمي: سمعت الشيخ يقول بقيت أياماً لا أستطعم فيها بطعام فبينما أنا في محلة القطيعة الشرقية فإذا رجل قد جعل في يدي قرطاساً مصروراً وانصرف عني فأقبلت حتى دفعتها لبعض البقالين وأخذت منه خبزاً سميداً وخبيصاً وجئت إلى مسجد منفرد كنت أخلو فيه لإعادة الدرس فتركت ذلك في القبلة بين يدي وأخذت أفكر هل أكل أم لا فلمحت قرطاساً مطروحاً في ذلك الحائط فتناولته فإذا فيه مكتوب قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة السالفة ما للأقوياء والشهوات إنما جعلت الشهوات لضعفاء المؤمنين ليستعينوا بها على الطاعات فأخذت المنديل وتركت ما كان فيه في القبلة وصليت ركعتين وانصرفت. قال طلحة ابن مظفر العلني قال الشيخ: أقمت مرة ببغداد في بدأ أمري عشرين يوماً ما أجد ما أقتات به ولا أجد مباحاً فخرجت إلى إيوان كسرى أطلب مباحاً فوجدت هناك سبعين رجلاً من الصالحين كل منهم يطلب ما أطلب فقلت ليس من المروءة أن أزاحمهم فرجعت إلى بغداد فلقيني رجل عرفني من أهل بلد أهلي فأعطاني قراضة وقال هذه بعثتها أمك معي إليك فأخذت منها قطعة لنفسي وأسرعت بالباقي إلى خراب إيوان كسرى وفرقته على أولئك السبعين رجلاً فقالوا إليّ ما هذا قلت إنه قد جاءني هذا من عند أمي وما رأيت أن أتخصص به دونكم،ثم رجعت إلى بغداد واشتريت بالقطعة التي معي طعاماً وناديت فقراء المسلمين فأكلنا جميعاً ولم يبق معي من القراضة شيء وكانت أمي تشتاق إليّ فتكتب إليّ الكتب بذكر شوقها إليّ وتقطع شعرها تجعله في الكتاب وتنفذه إليّ فأكتب إليها إن شئت تركت وجئت إليك فتنفد إليّ لاتجيء واشتغل بالعلم فكنت أشتغل بالعلم بالفقه على المشايخ وأخرج إلى الصحراء فلا أُرى في بغداد وأجلس في الخراب بالنهار وكنت ألبس جبة من صوف وعلى رأسي خريقة وكنت أمشي وأنا حافي وأنا ماشي في الشوك وغيره،وماهالني شيء، ولقد طلبتني نفسي بشهوة من شهوات السوق فكنت أضاجرها وأدخل من درب إلى درب أطلب الصحراء فبينما

أنا ذات يوم أمشي إذ رأيت رقعة ملقاة في الطريق فأخذتها فقرأتها فإذا فيها مكتوب مااللأقوياء والشهوات إنما خلقت الشهوات للضعفاء ليتقووا بها على طاعة ربهم فلمّا قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي. قال: وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب الشط قال ولقد بلغت بي الضايقة في الغلاء الذي كان إذ ذاك ببغداد حتى بقيت أياماً لا أكل فيها طعاماً بل كنت أقنع بالمنبوذات فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس ونحوه فما ذهبت إلى موضع إلا وجدت غيري سبقني إليه فإن وجدت شيئاً وجدت عنه جملة من الفقراء فلا أرى بمزاحمتهم فرجعت بغير شيء فدخلت إلى مسجد يأنس وقد أجهدني الجوع وعجزت عن التماسك وقعدت في المسجد فصعدت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت فدخل شاب ومعه خبز وشوي فجلس يأكل فكنت إذا رفع اللقمة أكاد أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي وقلت ماها هنا إلا ما قضاه الله إذ التفت العجمي فرآني فقال بسم الله ياأخي فأبيت مخالفة نفسي فأقسم عليّ فبادرت نفسي إلى إجابته فأكلت مقصراً فأخذ يسألني ماشغلك ومن أين أنت وبماذا تعرف فقلت أما شغلي فمتفقه وأما بلدي فمن كيلان فقال وأنا من كيلان فهل تعرف من كيلان رجلاً يسمى عبد القادر الكيلاني ويعرف بسبط الزاهد أبي عبد الله ابن الصومعي فقلت له هو أنا فاضطرب لذلك واحمر وجهه وقال: والله يا أخي لقد وصلت إلى بغداد ومعي نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد إليك فنفدت نفقتي وبقيت ثلاثة أيام بعدها لا أجد شيئاً أشتري منه قوتي إلا من الذي لك معي فلمّا كان هذا اليوم وهو الرابع قلت لي ثلاثة أيام لم آكل فيها وقد أحل لي الشرع أكل الميتة فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشوي فكل طيباً فإنما هو لك وأنا الآن ضيفك بعد أن كان في الظاهر لي وأنت ضيفي فسألته عن شرح ما قال فقال: إن أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير والله ما خنتك فيها إلا اليوم فاشتريت هذا الطعام من نفقتك وأنا معتذر إليك من خيانتي عليك فقال: وسكتّه وطيبت نفسه وأعطيته شيئاً من الذهب فيكون هذا برسم نفقتك فقبله مني وانصرف. وقال: قال لي الشيخ: كنت جالساً على مكان

بالصحراء أكرر الفقه وأنا في شدة من الفقر فقال لي قائل لم أر شخص اقترض ما تستعين به على الفقه أو العلم فقلت كيف أقترض وأنا فقير وليس لي شيء قال: اقترض وعلينا الوفاء قال فجئت إلى رجل يبيع البقل فقلت له: تعاملني بشرط إذا سهل الله لي شيئاً أعطيتك وإن مت تجعلني في حل قال فبكى وقال: ياسيدي أعاملك أي شيء أردت مني فخذ فكنت أخذ منه كل يوم رغيفاً وقليل رشاد فأقمت على ذلك مدة فضاق صدري يوماً كيف لا أقدر على شيء أعطيه فإذا قائل يقول لي: سر إلى الموضع الفلاني فمهما رأيته على الدكة فخذه وادفعه إلى البقال واقض به دينك فلمّا جئت إلى ذلك الموضع رأيت إلى الدكة فوجدت قطعة من ذهب كبيرة فأخذتها فأعطيتها له. قال وقال لي الشيخ: كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه فإذا كان أيام الغلة يخرجون إلى الرستاق يطلبون شيئاً من الغلة فقالوا إليّ يوماً اخرج معنا إلى يعقوباً نحصل شيئاً وكنت في ضيق فخرجت معهم وكان في يعقوب رجل صالح يقال له الشريف اليعقوبي فمضيت له لأزوره فقال لي: مريدوا الحق أو قال الصالحون لا يسئلون شيئاً فما عدت إلى الخروج إلى شيء من ذلك،قال وكنت أشتغل بالعلم وأزور الصالحين وآخذ نفسي بالمجاهدة حتى طرقني الحال فكان يطرقني بالليل والنهار وفي الصحراء فأخرج وأهيج على وجهي فلمّا كان ذات ليلة طرقني طارق وصرخت صرخة عظيمة فسمع العيّارون صرختي ففزعوا فجاؤا حتى وقفوا عليّ وأنا مطروح على الأرض فعرفوني فقالوا: هذا عبد القادر المجنون أزعجنا لاذكرك الله بخير وكانوا يدورون حول بغداد بالليل لعلهم يرون أحداً يأخذون سلبه قال: وقال: لحقني الجنون وحملت إلى المَارستان وطرقني الحال حتى مت وجيء بالكفن والغاسل وجعلوني على المغسل ثم سرى عني وقمت. قال: وقال لي وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن التي بها وأخذت مصحفي وعلقته على كتفي ومشيت إلى باب الخليقة لأخرج منه إلى باب الصحراء فقال لي قائل إلي أين المشي ودفعني دفعة حررت منها أظنه قال على ظهري قال ارجع فإن للناس بك منفعة قال فقلت ايش يكون عليّ من الخلق أنا أريد سلامة ديني قال ارجع مكانك فإن سلامة دينك في ذلك ولم أر شخص القائل ثم طرقني

بعد ذلك أحوال أشكلت عليّ قلت أتمنى على الله أن يسهل لي من يكشفها فلمّا كان من الغد اجتزت بالمظفرية ففتح رجل باب داره فقال لي ياعبد القادر قال فجئت فوقفت عليه فقال: إيش طلبت البارحة أو بالأمس فسكتُّ لا أدري ما أقول: له قال فاغتاظ مني ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة حتى طار الغبار من جانب الباب في وجهي فلمّا مشيت قليلاً ذكرت الذي ذكره الله فيه ووقع في نفسي أنه من الصالحين ورجعت أطلب الباب فلم أعرفه وضاق صدري ،وكان ذلك الرجل من الصالحين هو الشيخ حماد الدبّاس ثم عرفته وصحيته وكشف لي جميع ما كان يشكل عليّ وكنت إذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول لي إيش جابك إلينا أنت فقيه مر إلى الفقهاء وأنا أسكت فلمّا كان يوم الجمعة خرج من بغداد ومعه جماعة من أصحابه ليصلي صلاة الجمعة في جامع الرصافة وأنا معه وكان في شدة البرد في الكوانين فلمّا وصلت إلى قنطرة النهر دفعني حتى رماني في الماء فقلت بسم الله غسل الجمعة وكان عليّ جبة من صوف وفي كمي أجزاً فرفعت يدي حتى لاينبل وخلّوني ومشوا فخرجت من الماء وعصرت الجبة وتبعتهم وتأذيت من البرد أزية كبيرة وضرني وكان الشيخ حماد يؤذيني أذية كبيرة ويضرني وإذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول: قد جاءنا اليوم الخبز الكثير والفالوذج وأكلنا وما خبينا لك شيء فطمع أصحابه لكثرة ما يرونه يؤذيني أذية كبيرة وجعلوا يقولون أنت فقيه ايش تعمل معنا وايش جاء بك إلينا فلمّا رآهم الشيخ يؤذنني غار لي وقال ياكلاب لِمَ تؤذونه والله ما فيكم مثله أحداً إنما أردت لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك. قال بعد مدة قدم من همذان رجل يقال له يوسف وكان يقال له القطب فنزل في الرباط فلمّا سمعت به مشيت إلى الرباط فسألت عنه فقيل لي هو في السرداب فنزلت إليه فلمّا رآني قام وأجلسني وذكّرني جميع ما كان يشكل عليّ ثم قال لي يا عبد القادر تكلم على الناس فقلت له ياسيدي أنا رجل أعجمي أخرس ايش أتكلم على فصحاء بغداد قال لي أنت حفظت الفقه وأصول الفقه والخلاف والنحو واللغة والتفسير ولا يصلح أن يتكلم على الناس إلا أنت فقال لي اصعد الكرسي وتكلم قال الشيخ عبد القادر وكنت أؤمر وأنهى في المنام واليقظة،وقال أبو السعود الحر

سمعت الشيخ عبد القادر يقول أقمت في أصحاب العراق وخرابه مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني ويأتيني طوائف من رجال الغيب ومن الجن أعلمهم الطريق إلى الله تعالى وكانت الدنيا تأتيني بصور شتى فيحميني الله من الالتفات إليها ويأتيني الشياطين في صور شتى فيقاتلونني فينصرني الله عليهم وتبرز إليّ نفسي في صور وما أخذت نفسي في البداية بطريق من طرق المجاهدات إلا ولازمته وأعنت نفسي وأخذت بكلتى يدي سنة آكل المنبوت ولا أشرب المَاء وسنة أشرب المَاء ولا آكل المنبوت وسنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام، وبت في ليلة شديدة البرد في إيوان كسرى فاحتلمت فقمت إلى الشط فاغتسلت فعلت ذلك مراراً.

* فصل * فيما جاء في سعة علمه. قال ابن الجوزي في مرآة الزمان كانت الفتاوى تأتي إليه من بلاد العراق وغيرها فما كان يبيت عنده فتوى بل يكتب عليها عقيب قرائتها من غير تفكر وكان يفتي على مذهب الشافعي وعلى مذهب أحمد بن حنبل وتعرض أجوبته إلى العلمَاء فيكون تعجبهم من إسراعه، وكان كل من اشتغل بفن من الفنون مهر في ذلك الفن حتى يفوق أقرانه ويحتاج إليه ونقل عن الأكابر أن الشيخ كان يقرأ في ثلاثة عشرة علماً وكان يبدأ في مدرسته بدرس من التفسير ودرس من الحديث ودرس من الفقه ودرس من الخلاف ويقرؤا عليه القرآءات بالمرويات بعد الظهر. وقال عبد الرزاق بن الشيخ جاءت فتوى من بلاد العجم إلى بغداد فعرضت على علمائهم فلم يجيبوا عنها بشيء وهي رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فأحضروها إلى والذي فكتبها على الفور يخلى له الطواف فيطوف أسبوعاًوحده فينحل يمينه فما بات المستفتى ببغداد، وعن الخضر ابن أبي العباس عن أبيه قال: رأيت في النوم سنة خمسين وخمسمائة أني في مدرسة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وكان فيها مكاناً عظيماً وفيه سعة من جوانبه البحر والبحر والشيخ في وسطه والناس حوله فمنهم من على رأسه عمامة ومنهم من فوق عمامته طرحة ومنهم من فوق عمامته طرحتان وفي عمامته هو ثلاث طرحات. وعن الشيخ علي زرت قبر الإمام أحمد رضي الله عنه فخرج من القبر وضم الشيخ إلى صدره وألبسه خلعة ثم

قال له قد افتقروا إليك في علم الشريعة وفي علم الحقيقة. وقال الشيخ عمر: لمّا استدعيت الجان ليلة بالعزائم فأبطؤا عليّ ثم جاؤني فقال لاتعد تستدعينا يوماً من مجلس الشيخ فقلت لهم وأنتم أيضاً تحضرون مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه قالوا نعم والله أسلم على يده منا جماعة ومات آخرون. وقال عبد الوهاب ابن الشيخ: كان والدي يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثة كلاهما بالمدرسة وبكرة الأحد بالرباط وكان يحضر مجلسه العلماء والمشايخ وكان ابتداء كلامه على الناس من أول سنة إحدى وعشرين وخمسمائة فاستمر على ذلك أربعين سنة وكان ابتداء تصدير طلبته يوم الثلاثاء والاثنين والفتوى بعد كلام بالوعظ سبع سنين وكان يحضر مجلسه أربعمائة محبرة يكتبون ما يقول وكان يقرأ في مجلسه قارئان قراءة مرتلة بغير تلحين وكان يموت في مجلسه جماعة وكان يخطى على رؤس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي. قال عبد الوهاب أيضاً: سافرت في طلب العلوم وفتشت فلمّا رجعت إلى بغداد قلت لوالدي أريد أن أتكلم على الناس بحضرتك فأذن لي فصعدت الكرسي وتكلمت بما شاء الله من العلوم والمواعظ فلم يخشع قلب ولم تجر دمعة فضجوا بوالدي أن يتكلم عليهم فنزلت وصعد فقال كنت صائماً أمس فَقَلَتْ لي أم يحيى بويضات وجعلتها في سكرجة فجاءت السود فرمت بها فانكسرت فضج أهل المجلس بالصراخ فلمّا نزل قلت له في ذلك فقال: يابني أنت مدل بسفرك أسافرت إلى هناك وأشار بإصبعه إلى السماء ثم قال: يابني إني لمّا صعدت الكرسي تجلى الحق على قلبي فحدثت ما سمعت فكان مارأيت وقال عبد الوهاب فكنت بعد ذلك أصعد الكرسي وأتكلم على الناس بفنون العلم ووالدي يسمع فلا يتأثر أحد ثم أنزل فيصعد فيقول يا عويلة الشجاعة صبر ساعة فيضجوا أهل المجلس فكنت أسأله عن ذلك فيقول أنت المتكلم عنك وأنا المتكلم عن غيري. وكان إذا سئل مسئلة في مجلس وعظه وربما أجاب السائل بقوله حتى أستأذن في الكلام عليها ويطرق فتجلله الهيبة ويعلوه الوقار ثم يتكلم عليّها بما شاء الله ويقول وعزة المعبود ما تكلمت حتى قيل لي ياعبد القادر تكلم ونحن معك ياعبد القادر تكلم نسمع منك. وكان أبو عمر الصريقي

وعبد الحق الخريمي يقولان كان شيخنا يبكي ويقول يارب كيف أهدي لك روحي وقد صح بالبرهان أنها لك وربما كان ينشد ويقول:

وما ينفع الأعراب إن لم يكن تقى وماضـــر ذا تقوى لســـان معجم

وذكر الشنطوفي من طريق أبي عبد الله ابن أبي الفتح قال: خدمت الشيخ عبد القادر أربعين سنة فكان يصلي الصبح بوضوء العشاء ويدخل خلوته بعد العشاء فلا يخرج إلا عند طلوع الفجر، قال: وبت عنده فكان يصلي أول الليل شيئاً يسيراً ثم يذكر إلى الثلث الأول ويرتفع في الهواء، إلى أن يغيب عن نظري ثم يصلي قائماً ويطيل السجود ثم يجلس متوجهاً مراقباًويغشاه نور يكاد يذهب البصر. وكان يقول فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام ولو كانت الدنيا بيدي لما اخترت على إطعام الجياع شيئاً وكان يأمر غلامه مظفران يأخذ طبق الخبز لعله يعطيه من يريد العشاء، وكان يقول أتمنى أن أكون في البراري والصحاري كما كنت أولاً لا أرى الناس ولا يروني ولكن أراد الله بذلك منفعة الخلق وقد تاب على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى ومن العيارين والمفسدين أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير، وكان إذا ولد له مولود حمله على يديه وقال هذا ميت فيخرجه من قلبه فإذا مات لم يؤثر فيه موته شيئاً ولهذا كان إذا مات له ولد وهو في مجلس وعظة يأمر بتجهيزه ولا يقطع كلامه في المجلس وربما كان الغاسل يغسل الميت وهو يعظ الناس فإذا فرغ أحضروا الجنازة ونزل عن كرسيه فيصلي عليّه ويذهب به ويعود هو إلى ما كان عليه، وقال عمر الكهماني: لم تكن مجالسه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى أو يتوب من المسلمين من قطع الطريق أو قتل النفس وغير ذلك، قال وأتاه راهب فأسلم على يديه ثم قال للناس أتى رجل من أهل اليمن وأن الاسلام وقع في نفسي وقوى عزمي على أن لا أسلم إلا على يد خير أهل اليمن في ظني وجلست متفكراً فغلب عليّ النوم فرأيت السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقول لي ياسنان اذهب إلى بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت، قال وأتاه

ثلاثة عشر رجلاً نصارى فأسلموا على يديه في مجلس وعظه قالوا نحن من نصارى العرب أردنا الاسلام فترددنا فيمن نقصده لنسلم على يديه فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نراه يقول أيها الركب ذا الفلاح ائتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته مالم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس في هذا الوقت. قال أبو الفرج ابن الجوزي: كنت كثيراً ما أسمع عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أشياء أستبعد وقوعها وأنكرها وكنت بحسب ذلك أتشوق إلى لقائه فاتفق أني قصدت إلى باب لازج لحاجة كانت لي هناك فلمّا عدت مررت بمدرسة الشيخ والمؤذن يقيم الصلاة فتنبهت بالإقامة على ما كان في نفسي فقلت أصلي العصر وأسلّم على الشيخ وذهب عن علمي أنني من غير وضوء وصلى بنا العصر فلمّا فرغ من الصلاة والدعاء أقبل عليّ قال أي شيء لو قدمتني بالقصد على حاجتك لقضيت لك ولكن الغفلة شاملة لك حيث قد صليت على غير وضوء وقد سهوت عن ذلك قال: فتداخلني من العجب بحاله ما أذهبني وأذهل عقلي من كونه علم بحالي ما خفي عني وحيرني فمن ذلك لازمت صحبته وتعلقت بمحبته وتعرفت بذلك شمول بركته.

* فصل * فيما أورده الشيخ الشطنوفي في منفرداته وتلقاه عنه من بعده فمن ذلك ماذكره عن جم من الأكابر أنهم قالوا: إن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه سيقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله فمنهم من قال قبل مولده ومنهم من قال بعد مولده بيسير ومنهم من قال قبل أن يولى ومنهم من قال قبل إشهاده فأول من نقل عنه ذلك الشيخ أبو بكر ابن هوار البطايحي أنه ذكر الأولياء فقال سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله يسمى عبد القادر ومسكنه بغداد يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، وعن الشيخ عبد الله ابن علي بن موسى أنه قال في سنة أربع وستين وأربعمائة اشهدت أنه سيولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم بكرامات وقبول تام عند الكافة يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، وعن الشيخ تاج العارفين ابن أبي الوفا فيما حكاه الشيخ عثمان

بن منصور عنه أنه قال: كان الشيخ عبد القادر وهو شاب يأتي إلى زيارة تاج العارفين أبي الوفا فحين يراه ينهض ويقول لمن حضر قوموا لولي الله تعالى وربما مشي له خطوات فيسئل عن ذلك لما تكرر منه فقال:لهذا الشاب وقت إذا جاءه افتقر إليه الخاص والعام وكأني أراه قائلاً على رؤس الأشهاد ببغداد يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، ومن طريق موسى بن شاهين الزواوي قال سئل شيخنا عقيل المنبجي عن القطب فقال هو الآن بمدينة مختفي لا يعرفه إلا الأولياء وسيظهر هنا وأشار إلى العراق فتى عجمي شريف يتكلم على الناس ببغداد يعرفه الخاص والعام وهو قطب وقته ويقول قدمي هذه على رقبتي كل ولي لله تعالى، ومن طريق قيس بن يونس دخلنا على الشيخ علي بن وهب فالتقى به جمع من الفقراء فقال لهم من أين قالوا من كيلان قال إنه استمد نور الوجود بظهور رجل اسمه عبد القادر يقول ببغداد قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، ومن طريق أبي نجيب السهرودي قال كنت مع الشيخ حماد الدباس فسمعته يقول لهذا العجمي قدم يعلو في وقته على رقاب كل ولي لله تعالى، ثم يرد عن أربعين شيخاً، أنهم قالوا مثل ذلك، وقال الشيخ نور الدين الشنطوفي أخبرنا يعقوب ابن بدر أن ابن منصور بالقاهرة سنة تسع وتسعين وستمائة قال: دخلت إلى بغداد سنة إحدى وعشرين وستمائة فقصدت زيارة نصرت ابن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فسمعته يسأل عن قول جده قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى قال: سمعت والدي وأعمامي يقولون حضرنا المجلس الذي قال: والدنا ذلك فيه وكان في ذلك المجلس أكثر من خمسين نفساً من مشايخ العراق فحنوا كلهم رقابهم ووضع الشيخ علي قدم الشيخ عبد القادر على عنقه، بلغنا عن المشايخ المعروفين في الأمصار الذي لم يحضروا ذلك،أنهم مدوا أعناقهم ولم يحضرنا عن أحد منهم أنه أنكر ذلك عليه، ثم نقل عن بعض المشايخ أن الشيخ لما قال ذلك قالت الملائكة صدقت، وعن أبي سعيد القيلوبي أنه لما قال ذلك تجلى الحق على قلبه وجاءته خلعة من رسول الله صلى الله عليّه وسلم على يد نفر من الملائكة فألبسها بمحضر من الأولياء ممن تقدم ذكرهم ومن تأخر الأحياء بأجسامهم الأموات بأرواحهم وكانت

الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه وواقفين في الهواء صفوفاً حتى سدو الأفق ولم يبق ولي لله في الأرض حتى مد عنقه، ثم أسند من طريق عُدّي بن مسافر والشيخ أحمد الرفاعي أنهما قالا لما قال الشيخ ذلك وضع ثلاثمائة ولي وسبعون ولياً أعناقهم في وقت واحد، ثم نُقِلَ عن الشيخ لؤلؤ الأرمني تفصيل عدد من فعل ذلك فقال: كان منهم بالحرمين سبعة عشر نفساًوبالعراق مائة وستة وبالعجم أربعة وبالشام ثلاثون وبمصر عشرون وبالغرب سبعة عشر وباليمن ثلاثة وعشرون وبالحبشة أحد وعشرون وبسد يأجوج ومأجوج عشرة وبجزاير البحر المحيط سبعة وأربعون وبوادي سرنديب أربعة وعشرون وبجبل قاف سبعة، ومن طريق أبي سعيد بن أبي عصرون قال: كنت وأنا شاب ببغداد في طلب العلم يرافقني في النظامية ابن السقا فذهبنا إلى الشيخ كان يقال أنه الغوث فسأله ابن السقا عن مسألة مفصلة فأقبل عليه مغضباً فقال له إني لا أرى نار الفكر تتلهب فيك ثم التفت إليّ فقال: لتحزن عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك ثم قال ياعبد القادر كأني بك ببغداد وقد جلست على الكرسي تتكلم على الناس وتقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى فقام الشيخ علي الميتي فصعد الكرسي وأخذ قدم الشيخ وجعلها على عنقه، ثم ساق بسنده إلى الشيخ عبد الرحيم ابن أخت الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال: قدمت بغداد فحضرت مجلس الشيخ عبد القادر فرأيت في حاله وفراغ قلبه وخلو سره ما أذهلني فلما رجعت إلى أم عبيدة أخبرت خالي بذلك فقال: يا ولدي ومن يطيق مثل هذا تقوية الشيخ عبد القادر وما هو عليه وما وصل إليه، ومن طريق سالم بن أحمد الخطاب وكان خادم الشيخ قال: وكان الشيخ يتكلم فخطا في الهواء خطوات وهو يقول يا إسرائيلي قف واسمع كلام المحمدي ثم رجع فسئل فقال: مر الخضر على مجلسي عجلاً فخطوت إليه وقلت له ما سمعتم، وبسنده إلى الشيخ عُدّي بن مسافر قال: أمطرت السماء يوماً والشيخ يتكلم فتفرق بعض المجلس فرفع رأسه فقال: أنا أجمع وأنت تفرق فسكن المطر واستمر يمطر حول المدرسة ولا يترك في المجلس قطرة، وبه قال: زادت دجلة حتى أشرفوا على الغرق فاستغاثوا بالشيخ فجاء إلى الشط ومعه عكازه فوكزه وقال إلى هنا فنقص الماء في الحال، ثم

ساق عن أبي بكر بن محمد الطحان قال: كان الشيخ يعظ تحت السماء فوقع المطر فقال أنا أجمع وأنت تفرق فسكن المطر، قالهُ نصرٌ بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر قال: سمعت أبي يقول: خرج أبي إلى صلاة الجمعة وخرجت معه أنا وإخواني عبد الوهاب وعيسى فمرّ بنا في الطريق ثلاثة أحمال من خمر السلطان ففاحت رائحتها ومعها الأعوان فقال: لهم الشيخ قفوا فأسرعوا وساقوا الدواب فقال الشيخ للدواب: قفي فوقفت فضربوها فلم تتحرك من موضعها وأخذهم القولنج فضجوا بالتوبة فزال عنهم الألم وانقلب الخمر خلاً في الحال ومشيت الدواب وعلَت الأصوات بالتسبيح فبلغ الخبر للسلطان فبكى وارتعد وزار الشيخ، وقال منصور بن المبارك الواسطي الملقب قال: دخلت وأنا شاب على الشيخ عبد القادر ومعي كتاب يشتمل على شيء من الفلسفة والروحانيات فقال لي قبل أن ينظر في كتابي: يامنصور بئس الرفيق كتابك قم فاغسله فعزمت أن أجعله في بيتي ولا أحمله ولم تسمح نفسي بغسله وكان قد علق بذهني منه شيء فقمت فنظر إليّ الشيخ فلم أستطع النهوض وصرت كالمقيد فقال: ناولني كتابك ففتحه فإذا هو كاغد أبيض ليس فيه كتابة فأعطيته إياه فتصفح أوراقه فقال: هذا كتاب فضائل القرآن وناولنيه فإذا هو فضائل القرآن بأحسن خط مليح فقال لي الشيخ: تب أن تقول بلسانك ماليس بقلبك وقمت وقد نسيت جميع ماكنت حفظته منه، ونقله القطب اليونيني في مختصر المرأة عن الشيخ أبي سعيد القيلوي قال: رأيت الأنبياء في مجلس الشيخ غير مرة لأن أرواح الأنبياء تجول بين السماء والأرض جولان الرياح في الآفاق قال ورأيت رجال الغيب يتسابقون إلى مجلسه ورأيت الخضر يكثر من حضوره فسألته عن ذلك فقال من أراد الفلاح فعليه بملازمته. قال ابن أبي الفتح الهروي قال: حضرت يوماً مجلس الشيخ فتكلم حتى استغرق فقال: لو أراد الله أن يبعث طيراً أخضر حسن الصورة يسمع كلامي لفعل فلم يتم كلامه حتى أقبل طير أخضر فدخل في كمه، وتكلم يوماً آخر فتداخل بعض الحاضرين مرة فقال لو أراد الله أن يرسل طيوراً خضراً رآها كل س حضر، وقال أبو داود البغدادي رأيت في النوم في سنة ستمائة الشيخ معروف الكرخي تأتيه

قصص الناس وهو يعرضها على الله تعالى فقال لي ياداود هات قصتك أعرضها على الله تعالى فقلت وشيخي عزلوه فقال لا والله ما عزلوه ولا يعزلوه وهات قصتك أعرضها على الله. قال أبو الخير كرام بن الشيخ مطر بن البادراني لمّا حضرت أبي الوفاة قلت أوصني بمن أقتدي بعدك فقال: الشيخ عبد القادر فتركته ساعة ثم أعدت عليه القول فقال: يابني زمان يكون فيه الشيخ عبد القادر لا تقتدى إلا به فلمّا مات أتيت بغداد وحضرت مجلس الشيخ عبد القادر وفيه بقاء وأبو سعيد القيلوي وعلي بن الهيتي وغيرهم من أعيان المشايخ فسمعته يقول: لست كواعظكم إنما كلامي على رجال في الهواء ورفعت رأسي فإذا باذائه رجال من نور على خيل من نور قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم وهم مطرقون ومنهم من يبكي ومنهم من يرعد ومنهم من في ثيابه نار فغشي عليّ ثم قمت أعدو أشق الناس حتى طلعت عليه فوق الكرسي فأمسك باذني قال يا كرم ما اكتفيت بأول مرة من وصية أبيك فأطرقت من هيبته. قال مفرج بن شهاب الشيباني لمّا اشتهر خبر الشيخ اجتمع مائة فقيه من أعيان فقهاء بغداد وأزكيائهم على أن يسألوه كل واحد مسألة من فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها وأتوا مجلس وعظه وكنت يومئذ فيه فلمّا استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور أولئك المائة لا تمر على أحد منهم إلا ويضطرب فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤسهم وصمدوا إليه فوق الكرسي ووضعوا رؤسهم على رجليه وضج أهل المجلس ضجة عظيمة ظننت أن بغداد رجت رجاً فجعل الشيخ يضم إلى صدره واحداً بعد واحد حتى أتى على آخرهم ثم قال لأحدهم إن مسئلتك كذا وجوابها كذا حتى ذكر لكل واحد منهم مسألته وجوابها فلمّا انقضى المجلس أتيتهم فقلت لهم: ماشأنكم قالوا: لمّا جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم حتى كأن لم يمر بنا قط فلمّا ضمنا الشيخ إلى صدره رجع إلى كل منا ما نزع منه ولقد ذكر لنا مسائلنا التي أتينا بها وذكر لنا أجوبة لا نعرفها. قال حامد الحراني: دخلت على الشيخ في مدرسته ببغداد وجلست عنده على سجادته فنظر إلي وقال: ياحامد لتجلس على بساط الملك فلمّا رجعت إلى حران أمرني السلطان

نور الدين بملازمته وقرّبني وأجلسني على بساطه وولاني الأوقاف فكنت أتذكر قول الشيخ. قال وتكلم يوماً في قدرة الله تعالى فحصل للحاضرين هيبة وخشوع فمر بالمجلس طير عجيب الخلقة فشغل بعض الناس بالنظر إليه عن استماع كلام الشيخ قال: وعزة المعبود لو شئت أن أقول لهذا الطائر مت قِطَعَاً لَمَات قِطَعَاً فما تم كلامه حتى وقع الطائر إلى أرض المجلس قِطَعَاً. قال المحدث أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الحنبلي كنت مع الشيخ بالمدرسة النظامية واجتمع إليه الفقهاء والفقراء فتكلم في القضاء والقدر فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف ففر كل من كان حاضراً عنده وثبت هو على حاله فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه فالتوت على عنقه فما قطع كلامه ولا تغيرت هيئته فنزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت بشيء ثم ذهبت فتراجع الناس فسألوه عما قالت قال قالت لي لقد اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أر مثل ثباتك فقلت لها إنك سقطت عليّ وأنا أتكلم في القضاء والقدر وهل أنت إلا دويبة يحركك القدر ويسكنك فأردت أن أتبع قولي فعلي، ومن طريق عبد الرزاق بن الشيخ قال: سمعت والدي يقول: كنت في جامع المنصور أصلي فسمعت حس شيء يمشي على البوادي فجاءت أصلة[1] عظيمة ففتحت فاها موضع سجودي فلمّا أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت فلمّا جلست للتشهد مشت على فخذي ثم طلعت على عنقي والتوت عليه فلمّا كان من الغد دخلت خربة بظاهر الجامع فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني فقال لي أنا الأصلة التي رأيتها البارحة ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك فلم يثبت لي كثباتك أحد منهم وكان منهم من اضطرب ظاهراً وباطناً ومنهم من اضطرب ظاهره ومنهم من اضطرب باطنه ورأيتك لم يضطرب ظاهرك ولا باطنك وسألني أن يتوب على يدي فتوبته.

الباب الثالث في ذكر مشايخه في الحديث مع علو القدر والرتب في الفقه والأدب سمع الحديث وروى عن أبي غالب محمد بن الحسن الباقلاني، وأبي بكر

(١) أصلة: أي دابة كبيرة وهي من أنواع الأفاعي.

أحمد بن المظفر، وأبي القاسم علي بن أحمد بن بيان، وأبي محمد جعفر بن أحمد السرّاج، وأبي سعد محمد بن عبد الملك بن حشيش، والحافظ أبي الغنايم محمد بن علي الترسي الملقب بأبي طالب، وعبد القادر بن محمد بن أبي يوسف، وأبي عثمان إسماعيل بن ملة وأبي البركات هبة الله بن محمد وأبي الحسين عبد الحق ابن عبد الخالق ابن يوسف وأبي العز محمد بن أبي بكر. «ذكر مشايخه في الفقه والأدب» تفقه على القاضي أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وعلي أبي الخطاب الكلوزاني، وأبي الوفا علي بن عقيل، وأبي الحسن بن الفرا. وأخذ الأدب عن الشيخ أبي زكريا التبريزي، وعن الشيخ أحمد الدباس الزاهد وسلك على يده، وأخذ عن الشيخ يوسف بن أيوب الزاهد لمّا قدم بغداد في آخر عمره، وعن تاج العارفين أبو الوفا. وروى عنه أولاده عبد الوهاب وعبد الرزاق وموسى، والحفّاظ أبو سعيد السمعاني، وعمر بن علي القرشي، وعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، والشيخ الموفق عبد الله ابن أحمد بن قدامة، والشيخ علي بن ادريس اليعقوبي، وأبو هريرة بن الوسطاني، وأكمل بن مسعود، ويحيى بن سعد الله التكريتي، وأحمد بن مطيع الباحراني، وخلايق كثير آخرهم بالسماع عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي وبالإجازة الفرج ابن مسلمة الدمشقي.

الباب الرابع في بيان أحواله لمّا تصدر للكلام على الناس بلسان الوعظ ثم بالتدريس والفتوى: ذكر ابن النجار عن الجبائي أن الشيخ حصّل أرض حلال وكان بعض أصحابه من أهل الرشاق يزرعها له فكان يتقوت بما يخرج منها ويتولى طحن القمح ويخبزه بعض أصحابه فيحضر له في كل يوم أربعة أرغفة أو خمسة فيفرق منها لمن حضر كسرة كسرة ويرفع الباقي لقوته وكان لا يبقي على شيء بل إذا جاءه شيء فيقول ضعه تحت السجادة فإذا جاء الخادم قال ادفعه للبقال وللخباز ونحو ذلك. وقال أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم كان القاضي أبو سعيد المخزومي بنا مدرسة لطيفة بباب لازج ففوضت بعده لعبد القادر فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صمت وسمت وضاقت المدرسة بالناس وكان يجلس عند سور بغداد ويستند إلى الطريق ويتوب عنده في مجلسه خلق كثير ثم عمرت

المدرسة ووسعت وتعصبت العامة في ذلك فأقام فيها يدرس ويعظ، قال ابن النجار: لمّا ضاقت المدرسة أضيف لها ماحولها من المنازل والأمكنة فعمروها بالناس ووسعوها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتها وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وذلك في سنة خمسمائة وثمان وعشرين وتصدى الشيخ فيها بالفتوى والتدريس والوعظ وصار يقصد بالصدقات والمبرات وصنف كتباً مفيدة في أصول الدين والتصوف، وقال أبو سعيد بن السمعاني: كان الشيخ يسكن برباب لازج فلمّا فوضت له مدرسة أبي سعيد المخزومي فأراد أن يوسعها ويعمرها فكان الرجال والنساء يأتونه بالشيء فيبني حتى يعمرها، وجاءت امرأة وزوجها وكان من العملة فقالت للشيخ: هذا زوجي ولي عليه عشرون ديناراً ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الثاني وقد ارتضينا على هذا فقبل الزوج ذلك وأحضرت المرأة الخط فسلمته للشيخ وكان يستعمل الزوج في المدرسة وكان يوماً يعطيه الاجرة ويوماً يحاسبه لعلمه بفقره إن عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط فدفعه له، وذكر ابن النجار عن الجنائي قال: كان يغلب على القوم ويزدحم على قلبي وإن لم أتكلم أكاد اختنق وكان يجلس عندي رجلان أو ثلاثة يسمعون كلامي فكنت أجلس في المصلى برباب الحبلة ثم ضاق على الناس الموضع فاخرجوا الكرسي إلى داخل السور وكان الناس يجيئون على الشمع في الليل.

الباب الخامس في ثناء الناس عليه: قال الحافظ أبو سعيد السمعاني في ذيل تاريخ بغداد. كان صالحاً كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة. قال الشيخ الموفق ابن قدامة: لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه ولا رأيت أحد يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه. وذكر الشطنوفي عن الشيخ العماد محمد بن إبراهيم المودي أنه سمع الشيخ الموفق يقول: كان الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرياسة علماً وعملاً وحالاً وفتياً وكان يكفي الطالب العلم راجتمع فيه من العلوم والصبر على الوظيفة المستمرة في العمل وجمع الله فيه أوصافاً جميلةً وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله وأخبرنا أبو هريرة أن الحافظ شمس الدين الذهبي قال: أجاز لنا غير مرة عن أبيه سمعت الحافظ شرف الدين

اليونيف سمعت الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يقول مانقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر فقيل قد ارتكب هذا القائل في حق الشيخ عبد القادر من سوء الأدب مالامزيد عليه ولاشك أنه جهنمي ولم يحصل من الشيخ عز الدين إنصاف في الجواب له هذا مع اعتقاده فقال: لازم المذهب ليس بمذهب. وقال الحافظ محب الدين بن النجار في ذيل تاريخ بغداد. عبد القادر ابن أبي صالح بن جنكي دوست الزاهد أحد أئمة الإسلام العاملين بعلمهم وصاحب الكرامات الظاهرة إلى أن قال ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة الشديدة ومخالفة النفس وملازمة السهر إلى أن أظهره الله للخلق واوقع له القبول العظيم عند الخاصة والعامة وأظهر الله الحكم من قلبه على لسانه وظهرت ولايته وإمارات قربه من الله تعالى، وساق الكلام في ذلك. قال أبو المظفر يوسف سبط بن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان: عبد القادر ونسبه إلى أن قال: كان سكوته أكثر من كلامه وكان يتكلم على الخواطر فظهر له صيت عظيم وقبول تام وما كان يخرج من مدرسته إلا في الجمعة أو في الرباط وتاب على يديه أهل بغداد وأسلم أكثر اليهود والنصارى وكان يصدع بالحق على المنبر وكانت له كرامات ظاهرة أدركه جماعة يحكون منها جملة، أنبأنا أبو الحسن ابن أبي المجد عن أبي الفضل بن ظاهر أنبأنا عبد الرحمن بن نجم قال حكى شيخنا أبو الحسن ابن عربية أن الوزير أبا المظفر يحيى بن هبيرة قال له أن الخليفة شكى لي من عبد القادر قال أنه يستخف بي ويذكرني وله نخلة في رباطه يكلمها ويقول لها: يانخيلة لا تتعدي أقطع رأسك وإنما يشير إلي فتمضي إليه وتقول له بخلوة إنه لا يحسن بك أن تتعرض للإمام أصلا وأنت تعرف حرمة الخلافة قال أبو الحسن فذهبت إليه فوجدت عنده جماعة فجلست أنتظر معه [illegible] فسمعته يتحدث ويقول في أثناء كلامه نعم أقطع رأسها فعلمت وعرفت أنه أشار إليّ فقمت ذاهباً فقال لي الوزير بلّغت الشيخ ؟ فقلت له جميع ما جرى فبكى وقال لا يُشك في صلاحه. وقال لما تولى المتقي القاضي ابن المرحم القضاء قال الشيخ عبد القادر على المنبر وليت على المسلمين أظلم الظالمين واجوابك غدا عند رب العالمين. قال الشيخ المعمر المعروف بجراده: مارأت

عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً ولا أحفظ عهداً من الشيخ عبد القادر وكان مع جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدأ بالسلام ويجالس الضعيف ويتواضع للفقراء ويتعاظم على الرفعاء فما كان يقوم لأحد من العظماء ولا الأعيان ولا أتى بباب وزير ولا سلطان وقال محمد بن الخضر عن أبيه قال: خدمته ثلاثة عشر سنة فما رأيته امتخط ولا تنخم ولا قعدت عليه ذبابة ولا قام لأحد ولا جلس على بساط ملك ولا أكل لهم طعاماً، وكان إذا كاتب الخليفة يكتب عبد القادر يأمرك بكذا وطاعته واجبة عليك فإذا وقف الخليفة على ورقته بكا وقال: صدقت. وقال أحمد ابن مطيع الباجرامي كان الشيخ في عصره يعظمه مشايخ الوقت من العظماء والزهاد وكان ابتداء ظهوره للناس بعد العشرين وخمسمائة فحصل له القبول التام واعتقدوا صلاحه وانتفعوا بكلامه وانتصر أهل السنة واشتهرت أقواله وهابته الملوك ومن دونهم وقال محمد بن الخضر السنجاري سمعت أبي يقول: كان يعد من كرامات الشيخ عبد القادر أن من في أقصى مجلسه يسمع كلامه كما يسمع أدناهم مع كثرتهم وكان يتكلم على خواطر أهل مجلسه ويواجههم بالكشف وإذا قام قاموا إجلالاً له وإذا قال لهم اسكنوا لم يسمع لهم حس سوى أنفاسهم وذكر أن منهم من كان يضع يده في مجلسه فيدرك باللمس من لا يراه وربما سمعوا وجبة عظيمة من الجو إلى أرض المجلس. وقال الحافظ محمد الذهبي في تاريخ الإسلام عبد القادر وساق النسب إلى أن قال الجيلي الحنبلي صاحب الكرامات والمقام وشيخ الحنابلة إلى أن قال: وكان عديم النظير بعيد الصيت راسخاً في العمل والعلم. وقال الحافظ زين الدين ابن رجب في ذيل الطبقات سيد الحنابلة عبد القادر شيخ العصر وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته صاحب المقامات إلى أن قال: وحصل له القبول التام واعتقدوا صلاحه وديانته وانتفعوا بوعظه وانتصر به أهل السنة واشتهرت أحواله وكراماته وكان معظماً في عصره عند مشايخ الوقت من العلماء والزهّاد وكان يتوب عنده في مجلسه خلق كثير، وحكى أحمد بن مطيع الباجرامي قال: جئت للشيخ مرة فانتهرني وقال: قم فمضيت فلحقني شخص من

عنده فرجعت فقال: لمّا انتهرتك كنت ضجراً فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: أنت معلم الخير لا تضجر أعادها ثلاثاً ثم أقراني ما أردت. قال الذهبي في تاريخ الإسلام أنبأنا أبو بكر ابن طرخان أن الشيخ الموفق أخبرهم قال: أدركناه يعني الشيخ عبد القادر في آخر عمره فأسكننا في مدرسته وربما أرسل لنا ابنه يحيى فيسرج لنا السراج وربما يرسل لنا طعاماً من منزله وكان يصلي بنا الفريضة إماماً وكنت أقرأ عليه من حفظي غدوة ويقرأ عليه الحافظ عبد الغني من كتاب الهداية وما كان يقرأ عليه في ذلك الوقت غيرنا فأقمنا عنده شهراً وتسعة أيام ثم مات وصلينا عليه في مدرسته ولم أسمع أحداً يحكي عنه من الكرامات أكثر منه ولا رأيت أحد يعظم من أجل الدين أكثر منه فهذا السند إلى الموفق موثوق. وقد زعم الشطنوفي أنه سمع العماد وأبا بكر محمد بن إبراهيم وهو ابن أخي الحافظ عبد الغني يقول أنه أول ما عقد مجلس الوعظ في سنة احدى وعشرين، وأنه تصدر للفتوى والتدريس والوعظ لمّا كملت المدرسة في سنة ثمان وعشرين وصار يقصد بالنذور والزيارة وحدث بكثير مروياته وصنف كتباً في أصول الدين وكان له كلام على لسان أهل الحقيقة، ثم نقل عن عبد الله ابن أبي الحسين الجنائي أنه قال كان للشيخ تلميذ يقال له عمر الحلاوي فخرج من بغداد فغاب سنين فلمّا رجع قلت له: أين كنت قال طفت بلاد الشام ومصر والمغرب وأظن أنه قال وبلاد العجم ولقيت ثلاثمائة وستين شيخاً من الأولياء فما منهم إلا قال الشيخ عبد القادر شيخنا وطريقنا إلى الله تعالى.

* * *

الباب السادس: فيما نقله أهل عصره من الكرامات والخوارق وبالسند إلى الحافظ محي الدين بن النجار. وقال كتب إليّ أبو محمد عبد الله ابن أبي الحسن علي الجبائي قال: كان الشيخ يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب وأنا حاضر فحضر في نفسي كيف الخلاص من العجب فالتفت إليّ الشيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله وإن وفقك لفعل الخير وأخرجت نفسك من البين سلمت من العجب، قال: وكتب إليّ وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه في مجالس الشيوخ

وتتأدب بهم فحينئذ يحصل لك الانتفاع وإلاَّ فتمضي فتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإذا أشكل عليك شيء من أمر دينك خرجت من زاويتك تسأل عن أمر دينك وإنما يصح لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره. وقال ابن النجار بلغني عن أبي نصر الربتني القاضي قال: عزمت على أن أقصد الشيخ عبد القادر وأسأله أن يدعو لي أن يكفيني الله شر جماعة يؤذونني فاتفق أني لقيته في باب جامع القصر فأردت أن أقول له ذلك فنظر إليّ وتبسم وقال فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فأغناني عن السؤال. قال ونقلت من خطه كان رجلاً من أهل جيلان مقيماً في مدرسة الشيخ وتفقه عليه قال كانوا إذا أذّن الظهر يتسابقون في القراءة عليه ويضع السابق كتابه عند سجادة الشيخ ويأخذ بالسبق فإذا صلى الظهر قرأ به قال وكنت قد نمت قبل الظهر فاحتلمت وانتبهت عند أذان الظهر فقلت إيش عمل إن مشيت واغتسلت فاتني السبق فأخذت الكتاب ووضعته عند سجادة الشيخ فلمّا صلى الظهر جلست بين يديه وأخذت الكتاب لأقرأ فصاح عليّ وقال: قم فمضيت واغتسلت. وعن الخضر ابن عبد الله ابن يحيى الموصلي أنبأنا أبي قال: كنا بمدرسة الشيخ فدخل عليه الخليفة المستنجد فاسترضاه ووضع بين يديه عشرة أدياس يحملها عشرة فأبى أن يقبلها وقال: لا حاجة لي فيها فألح عليه القول فأخذ منها كيساً بيمينه وكيساً بيساره وسحرهما بيده فسالا دماً فقال له: ياأبا المظفر أما تستحي تأخذ دماء الناس تقابلني بها فغشي عليه فقال: لولا حرمة اتصالك برسول الله صلى الله عليه وسلم لتركت الدم يجري إلى منزلك. [illegible] ورأيته عنده يوماً فقال أريد أن أرى شيئاً فقال ما تشتهي قال تفاح فمد يده في أهواء فأخذ تفاحتين فناوله إحداهما وكسر الأخرى ففاح منها ريح المسك وكسر المستنجد تفاحته فإذا فيها دودة فقال: ماهذا. قال هذه لمستها يد الظالم فدودت. وعن طريق إبراهيم بن علي الطري قال لمّا اشتهر حال الشيخ قصدوه بالزيارة من كل فجاء إلى زيارته ثلاث من المشايخ فدخلوا عليه في المدرسة فوجدوه جالساً وفي يده كتاب وخادم واقف بين يديه والابريق موجهاً إلى غير القبلة فنظر بعضهم إلى بعض الإنكار فنظر الشيخ إلى الخادم نظرة فخر ميتاً. قال وأخبرنا أبو البقا

العكبري قال: سمعت يحيى بن نجاح الأديب يقول في نفسي أريد أحمي كم يقص الشيخ عبد القادر شعراً ومن يتوب في مجلس وعظه فحضرت المجلس ومعي خيط فلمّا قص شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي وأنا في آخر الناس فإذا به يقول أنا أحل وأنت تعقد. وأخبرني أبو عبد الله الشاهد عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر سمعت أبا البقاء ابن أبي البركات النهرملكي يقول: قال لي رجل من أصدقائي كنت سمعت عبد القادر لا يقع عليه ذباب ثم أتيت يوم الجمعة إلى مجلسه فالتفت إلى ناحيتنا وقال ايش تعمل الذباب عند لادبس الدنيا ولاعسل الآخرة. قال وسمعت عبد الملك يقول أبا محمد ابن الخشاب النحوي يقول كنت وأنا شاب أقرأ النحو وأسمع الناس يصفون الشيخ عبد القادر ويذكرون حسن كلامه فكنت أريد أن أسمعه فلا يتسع وقت لذلك فاتفق أني حضرت يوماً مجلسه مع الناس فلمّا تكلم لم أستحسن كلامه ولم أفهمه كما ينبغي فقلت في نفسي ضاع اليوم مني قال: فالتفت الشيخ إلى الجهة التي كنت فيها فقال ويلك تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر وتختار ذلك أصبحنا نصيرك. قال: وقال عمر بن حسين بن خليل الطيبي حضرت مجلس الشيخ عبد القادر وكنت قاعداً محاذي وجهه فرأيت شيئاً على هيئة القنديل البلور نزل من السماء إلى أن قارب فمه ثم عاد سريعاً هكذا ثلاث مرات فأردت أن أقول له فقال المجلس بالأمانة فسكت. قال حدثني عليّ بن أحمد بن ملاعب الفوارس وكان صدوقاً قال حضرت مع جماعة تقصد الشيخ عبد القادر ليدعو لهم في مهم ومن جملة الجماعة رجل عازب سيء الطريقة لا يزال جنباً ولا يتطهر من شيء فلمّا حضروا عند الشيخ ذكروا حاجتهم فدعا لهم فتقدم أولهم فقبّلَ يَده والجماعة كذلك إلى أن جاء ذلك الصبي فلمّا أراد أن يقبّل يَده أدخل الشيخ يده في كمه فقبلها ثم جاء بعده رجل فأخرج الشيخ يده من كمه وناولها للرجل واستمر كذلك إلى أن دخل منزله. ونقل عن أبي بكر العمري قال: كنت في أول أمري جمّالاً بطريق مكة فاتفق أن رجلاً حج معي من جيلان فمرض في الطريق فلمّا أحس بالموت قال لي: خذ هذه الخرقة وفيها عشرة دنانير وهذا الكسا وَسَلِّمْ على الشيخ عبد القادر وقل له يترحم عليّ ثمّ مات

فطمعت في الذهب لأنه لم يطّلع على الذهب أحد من الناس فبينما أنا في بعض الأيام أمشي فإذا أنا بالشيخ عبد القادر قد أقبل من تلقاء وجهي فبادرت بالسلام عليّه وصافحته فقبض على يدي قبضا شديداً وقال لي: أي مسلم لأجل عشرة دنانير وكسا خنت الله وأمانة ذلك العجمي قال: فوقعت مغشياً عليّ فمضى الشيخ وتركني فلمّا أفقت أخذت الذهب والكسا فحملتها إليه. وقال أبو الفتح أحمد بن المظفر ابن الوزير أبي المظفر يحيى بن هبيرة قال: سألت جدي الوزير أن يأذن لي في زيارة الشيخ عبد القادر فأذن لي وأعطاني مبلغاً من الذهب وأمرني أن أدفعه إليه وأبتدى بالسلام عليه قال فحضرت مجلسه فلمّا انفض ونزل عن المنبر فتخرجت من دفع الذهب إليه في ذلك الجمع ونويت أن أدخل إلى زاويته وأسلمه له في خلوة فبادرني الشيخ سابقاً لفكري وقال: هات مامعك ولا عليك من الناس ولا حاجة بك إلى قصد الزاوية وسلم على الوزير يحيى قال: فدفعت له وانصرفت مدهوشاً. وعن أحمد بن المبارك المرفعاً قال كان من جملة تلاميذ الشيخ رجل يقال له أبو عجمي بليد الخواطر بعيد الذهن لا يكاد يفهم الشيء إلا بعد مشقة شديدة فبينما هو يقرأ على الشيخ إذ دخل بعض الرؤسا إلى زيارة الشيخ فتعجب من صبر الشيخ على ذلك الرجل فذكر له في ذلك فقال الشيخ بقي من عمر الرجل هذا وتعبي معه دون الاسبوع ويمضي إلى الله تعالى فتعجب الرئيس من ذلك وأخذ يعد يوماً بعد يوم فمات الرجل آخر يوم من الاسبوع وحضر ذلك الرئيس الصلاة عليه. قال الشرف ابن المجد عيسى ابن الشيخ وفق الدين بن قدامة سمعت أبا عبد الله المرابتي يقول سمعت أبا بكر العماد يقول كنت قرأت في أصول الدين شيئاً فأوقع عندي شكاً فقلت حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر فمضيت إلى مجلسه وهو يتكلم فقال: اعتقادنا إعتقاد السلف الصالح والصحابة فقلت في نفسي قال هذا الكلام اتفاقاً فتكلم ثم التفت إلى الناحية التي أنا فيها فأعاد القول فقلت يلتفت مرة هكذا ومرة هكذا فالتفت مرة ثالثة فقال يا أبا بكر وأعاد القول ثم قال: قم فقد جاء أبوك فقال: وكان أبي مسافر فقمت مبادراً إلى البيت وإذا بأبي قد جاء من السفر. وقال الجمال يحيى بن

الصيرفي سمعت أبا البقاء العكبري النحوي يقول حضرت مجلس الشيخ عبد القادر فقرؤا بين يديه بالألحان فقلت في نفسي لأي شيء ما ينكر عليهم الشيخ هذا فقال الشيخ: واحد يتعلم أبواباً من الفقه فينكر فقلت في نفسي قصد غيري فقال: إياك أعني القول فتبت في نفسي من الاعتراض فقال: قد قبلت توبتك. وقال الشيخ عز الدين الفاروثي: سمعت الشيخ شهاب الدين السهروردي يقول: عزمت على الاشتغال بالكلام وأصول الدين فقلت في نفسي أستشير الشيخ عبد القادر فأتيته فقال لي: ما هو من عدة القبر ما هو من عدة القبر فتركت. وقال الحافظ محب الدين ابن النجار سمعت شيخ الصوفية شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي. فقال: كنت أتفقه في ديانتي فخطر لي أن أقرأ شيئاً من علم الكلام وعزمت على ذلك من غير أن أتكلم به فاتفق أني صليت مع عمي النجيب فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلّماً فسأله عمي الدعاء له وذكر له أني مشتغل بالفقه وقمت فقبلت يده وأخذ بيدي وقال لي: تب عما عزمت على الاشتغال به فإنك تفلح ثم ترك يدي وسكت ولم يتغير عزمي عن الاشتغال بالكلام حتى تكدرت عليّ جميع أحوالي وتكدر وقتي فعلمت أن ذلك من مخالفتي للشيخ. وقال يوسف الجوزي حكى لي خالي خاص بك قال كان الشيخ يجلس يوم الأحد فبت مهتماً بحضور مجلسه فاتفق أني نمت فاحتلمت وكانت ليلة باردة فقلت ما أفوت مجلسه وإذا انفض المجلس فاغتسلت وجئت المدرسة والشيخ على المنبر فساعة وقعت عينه علي فقال يا دبير تحضر مجلسنا وأنت جنب وتحتج بالبرد. وقال وحكى لي المظفر الحربي وكان رجلاً صالحاً قال كنت أنام في مدرسته لأجلس في المجلس فمضيت ليلة فصعدت على سطح المدرسة فكان الحر شديداً فاشتهيت رطباً فقلت يا إلهي وسيدي ومولاي ولو أنها خمس رطبات فصاح: يامظفر وما كان يعرفني قبلها خذ ما طلبت. وحكى يوسف في المرآة أيضاً أن عبد الصمد بن همام كان من ذوي اليسار والثروة الواسعة وكان منحرفاً عن الشيخ عبد القادر كثير الإنكار لما يحكى عنه من الكرامات وكان منقطعاً عنه بالكلية ثم لازمه ملازمة شديدة فتعجب الناس من ذلك فسئل عن ذلك بعد وفاة الشيخ قال: كنت على ما كنت عليه فاتفق أني

اجتزت يوماً بمدرسة الشيخ وقد أقيمت الصلاة فقلت في نفسي أصلي بسرعة ثم أزيل ما بي وكنت حافياً فدخلت فوجدت حائطه الذي يجلس فيها خالياً فصليت فيه وأنا لا أشعر يوم المجلس فتكاثر الناس بحضور المجلس منعني من التصرف في نفسي والخروج من مكاني وتزايدها من الاحتياج إلى التخلي فصعد الشيخ المنبر وقد كدت أتلف فتضاعف ماكان عندي من بغض الشيخ وتحيرت في أمري وكدت أُحدث في ثيابي فأفتضح من الناس ويشم مني رائحة الخبيثة فعاينت الموت في دفع ذلك فبينما أنا مفكر في أمر أفعله إذ نزل الشيخ من على المنبر درجات وأسبل كمه على رأسي فرأيت نفسي في روضة خضراء بفلاة من الأرض وبها ماء جاري فأزلت مابي وتوضأت للصلاة وصليت ركعتين فرفع الشيخ كمه عن رأسي فإذا أنا تحت المنبر على حالي وقد زال مابي جميعه فكثر تعجبي من ذلك جداً ووجدت أطرافي رطبة من أثر الوضوء فتحيرت في أمري وذهل عقلي فلمّا انقضى المجلس قمت وفقدت منديلي ومفاتيح صندوقي ففتشت في موضع كنت قاعداً فلم أجد شيئاً فمضيت إلى منزلي وقصدت صانعاً وفتح صندوقي وعمل له مفاتيح وكنت في ذلك الحين على عزم السفر إلى عراق العجم لمهم اعتراني فتوجهت في ذلك الذي حضرت فيه المجلس فلمّا سرت عن بغداد ثلاثة أيام اجتزت بمكان وفيه روضة خضراء وماء جاري فقال بعض الرفقة ألا ننزل نصلي هنا ونأكل شيئاً فإنا لا نجد أمامنا مثل هذا فنزلت وتخيلت المكان الذي رأيته لاشك فيه فتوضأت للصلاة وقصدت مكاناً أصلي فيه وإذا منديلي بعينه ومفاتيحي التي فقدتها يوم المجلس هناك فإنها كانت معي فسقطت من هناك. وقال الشيخ جراده: كنت يوماً هناك في دار الشيخ عبد القادر وهو جالس يسبح فسقط عليه تراب من السقف فنفضه ثلاث مرات ثم رفع رأسه في الرابعة فرأى فأرة في السقف فقال لها: طار رأسك فسقط جسدها ميتاً في ناحية ورأسها ناحية فترك التسبيح وبكى فقلت ياسيدي: مايبكيك فقال: أخشى أن يتأذى قلبي من رجل مسلم فيصيبه مثل ما أصاب هذه الفأرة. وقال الشيخ عمر بن مسعود كان الشيخ يتوضأ في المدرسة فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فسقط ميتاً فلمّا أتم وضوءه غسل موضع البول

من الثوب ثم قلعه فأعطانيه وأمرني أن أبيعه وأتصدق بثمنه وقال هذا بهذا. وقال محمد بن الخضر سمعت أبي يقول: كان الشيخ يتكلم في مجلسه بأنواع العلوم وكان إذا صعد الكرسي لا يتكلم أحد ولا يبصق ولا يمخط ولا يتنحنح هيبة له فإذا توسط المجلس قال: مضى القال وحضر الحال فيضطرب الناس اضطراباً شديداً ويتداخلهم الوجد. قال محمد بن أبي الفتح تقدم الهروى حضرت يوماً بمجلس الشيخ عبد القادر فتكلم واستغرق في كلامه حتى قال: لو أراد الله أن يبعث طيراً أخضر يسمع كلامي لفعل فلم يتم كلامه حتى جاء طيراً أخضر حسن الصورة فدخل في كمه فما خرج، قال وتكلم يوماً آخر فتداخل الناس من بعده فترة قال: لو أراد الله أن يبعث طيوراً خضراً تسمع كلامي فلم يتم كلامه حتى امتلأ المجلس طيوراً خضراً. قال محمد بن النجار أنبأنا محمد بن سعيد الشاهد عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر سمعت الشيخ صالح أبا بكر ابن علي ابن أبي سعيد قال كنت أنا وجماعة بين يدي الشيخ قعوداً وهو في القبلة فلم يتكلم بشيء فقلت في نفسي أرى الشيخ اليوم لا يتكلم علينا فرفع رأسه والتفت إليّ من دون الجماعة فواجهني بوجهه وقال لي سكوتي لكم كلام. وقال عبد الرحمن بن النجم الحنبلي ذكر خالي أبو الحسن ابن نجا الواعظ أنه اجتمع يوماً بالشيخ عبد القادر فحضر العيد فسبقت إلى المصلى فجاء الشيخ وهو معه خلق كثير والناس يقبّلون يده فبدأ فصلى ركعتين فقلت في نفسي ما هذا والسنة أن لا يصلي قبل العيد فلمّا سلم التفت إلي وقال لها سبب.

الباب السابع في نبذة من بليغ كلامه

قال ابن النجار كتب إليّ عبد الله ابن أبي الحسن الجباني ونقله من خطه قال: كان شيخنا عبد القادر يقول: الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك مادمت ترى الخلق لا ترى نفسك مادمت ترى نفسك لا ترى ربك، قال: وكان يقول: الدنيا اشتغال والآخرة أهوال والعبد بينهما ما يستقر قراره إلا إلى جنة أو نار، قال وقرأت في كتابه سمعت شيخنا عبد القادر يقول في بعض مجالسه: ما ثم إلا خلق وخالق فإذا اخترت الخالق فقل كما قال إبراهيم فإنهم عدو

لي إلا رب العالمين ثم دق برجله فقال: من ذاقه فقد عرفه فأعرض سائل فقال ياسيدي: من غلبت عليه مرارة الصفرا كيف يجد حلاوة الذوق فقال: يستعمل قيء الشهوات، وقال في بعض مجالسه: أول ما تطلع للمؤمن نجم الحكمة ثم قمر العلم ثم شمس المعرفة فيصير بنجم الحكمة ينظر إلى الدنيا ويصير بقمر العلم ينظر إلى الأخرى ويصير بشمس المعرفة ينظر إلى المولى.

الباب الثامن في وفاته

قال ابن الجوزى توفي ليلة السبت ثامن شهر ربيع الأخر سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن من وقته بمدرسته وبلغ تسعين سنة وسمعت أنه كان يقول عند موته رفقاً بي فقائم يقول وعليكم السلام أجي إليكم أجي إليكم، قال وسمعت من يحيى أنه قال عند موته أنا شيخ كبير ماوعدنا بهذا. قال ابن النجار بسنده إلى أن قال توفي عاشر ربيع الأخر سنة إحدى وستين وخمسمائة وله تسعون سنة، وقال وصلى عليه ولده عبد الوهاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين آمين، تم كتاب غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر تأليف سيدنا ومولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمحمد وآله وصحبه وعترته آمين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم إن أحسن مانظمت في عقود السطور جواهره؛ وضمخت في وجنات الطروس أعطاره وعنابره؛ وابتهجت في روضات الأوراق رياحينه وأزهاره؛ وترنمت في صفحات الدفاتر بعجيب اللحن أطياره. حمداً لله الذي تقدست ذاته عن درك العقول والأفكار، وتنزهت كمالاته عن أن تنضبط بالعد والانحصار، وصلاةً وسلاماً يفوقان عدد قطرات مياه البحار، ويزيدان عن كمية أنجم السماء ورمال القفار، على رسولٍ فاضت منه جميع الأنوار، ونبعت من حضرته في الكون سائر الأسرار وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار. الفائزين بالقدر الشامخ والفضل المكثار.

* أما بعد * فيقول أفقر الورى إلى رحمة ربه الأعلا، وخديم حضرة الرسول المصطفى المعلا. محمد بن أحمد الشهير بالمنلا. سقاه الله من سلسال سلسبيله الأحلى، ووفقه للفعل الجميل الأولى، وأفاض عليه سحائب الفضل وأولى. إن الصلاة الصغرى. والذخيرة الكبرى. التي أشرقت بطلعتها الزهرا، وأمدت من روضها للناشقين ريحاناً وزهراً، وعلا منزلها على السماكين والشعرى، وملأت قلوب الشاربين من خندريسها[1]

(١) الخندريس: الخمر مشتقة من الخدرسة ولم تفسر. كذا ترتيب القاموس ج٢ ص١١٥ .

بالنعيم والبشرى. وهي الصلاة التي ختم بها حزبه القطب الرباني. والشيخ العارف الصمداني. والبحر الزاخر النوراني. شيخنا وملاذنا، وحرزنا وعياذنا أبو محمد محيي الدين سيدي عبد القادر الجيلاني. أعلا الله تعالى قصوره في دار التهاني، وبلّغنا ببركاته الآمال والأماني. قد شاع ترددها بين الأقوام، وشرب من كاس حياها الخاص والعام، واحتفلت بقراءتها الرجال والصبيان، واعتنب بقراءتها الشيوخ والشبان. لاسيما الزمرة القادرية. أهل الرتبة العلية والطريقة الحسنة البهية. أعلا الله مقامهم في البرية، وأجزل عطاياهم في قصور الجنة السنية. فاردت أن أكسوها شرحاً، وأُكللها بأحسن جوهرٍ يُنحى، وأحل منها التراكيب والألفاظ، وأتحف بذلك القارئين لها والحفاظ، لتقر منهم العيون والألحاظ، ويغدو سوقها أنفق من سوق عكاظ، رجاء الأجر والثّواب، والفوز في يوم الحشر والحساب * وسميتها بالصلات الكبرى. في شرح الصلاة الصغرى. والله المسئول أن ينفع به الناظرين. وأن يملأ قلبي وقلوبهم بالنور الساطع المبين. بجاه المبعوث رحمة للعالمين. عليه أفضل صلاةٍ وسلامٍ دائمين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصـــلاة الصغـــرى

اللهم صل على سيدنا مُحمدٍ السابق للخلق نوره ورحمةً للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سَعِدَ منهم ومن شقي . صلاةً تستغرق العَدَّ وتحيط بالحدِّ . صلاةً لاغاية لها ولامنتهى ولاانقضاءَ . صلاةً دائمةً بدوامك وعلى آله وصحبه وَسَلَّمَ تسليماً مثل ذلك .

* * *

مقـــــدمـة

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات، وأجل الطاعات، وأرفع العبادات أمرنا الله بها تشريفاً له وتكريماً، وتفضيلاً لجلاله وتعظيماً، ووعد من استعملها حسن المآب، والفوز بجزيل الثَواب، فهي من أنجح الأعمال، وأرجح الأقوال، وأركن الأحوال، وأحظى القربات، وأعم البركات، بها يُتوصل الى رضا الرحمن، وتنال السعادة والرضوان، وبها تظهر البركات، وتجاب الدعوات، ويرتقى إلى أرفع الدرجات ويُجبر صدع القلوب، ويعفى عن عظيم الذنوب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وتوجب لصاحبها عشر كرامات: القرب من الرحمن، وثقل الميزان، ودخول الجنان، وزيادة الإيمان، ورفع الدرجات على الأقران، والنجاة من الزبانية الخزان، وذهاب النسيان، وشهادة الملكين الإثنان، ودعاؤهما له بالغفران، وأوجبت له من سخط الله الأمان. وقال ابن فرحون: إن فيها عشر كرامات إحداهن صلاة الملك الجبار، والثانية شفاعة النبي المختار، والثالثة الإقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة محو الخطايا والأوزار، والسادسة العون على قضاء الحوائج والأوطار. والسابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة النجاة من دار البوار، والتاسعة دخول دار القرار، والعاشرة سلام الرحيم الغفار.

وقال في كتاب حدائق الأنوار: في الصلاة والسلام على النبي المختار. في الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوائد التي يكتسبها ويقتنيها، الأولى: امتثال أمر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الثانية: موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الثالثة: موافقة الملائكة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الرابعة: حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلى عليه صلى الله عليه وسلم واحدة. الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات. السادسة: يكتب له عشر حسنات. السابعة: تمحى عنه عشر سيآت. الثامنة: ترجى له إجابة دعوته. التاسعة: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم. العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب. الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه. الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم. الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة. الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج. الخامسة عشرة: أنها سبب صلاة الله وملائكته على المصلي. السادسة عشرة: أنها سبب زكاة المصلي والطهارة له. السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته. الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة يوم القيامة. التاسعة عشرة: أنها سبب لرده صلى الله عليه وسلم على المصلي عليه. الموفية عشرين: أنها سبب لتذكر مانسيه المصلي عليه صلى الله عليه وسلم. الإحدى والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس وأن لايعود على أهله حسرة يوم القيامة. الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر عن المصلي عليه صلى الله عليك وسلم. الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره صلى الله عليه وسلم. الرابعة والعشرون: نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره صلى الله عليه وسلم. الخامسة والعشرون: أنها تأتي بصاحبها على طريق الجنة وتخطيء بتاركها عن

طريقها. السادسة والعشرون: أنها تنجي من شر المجلس الذي لايذكر فيه اسم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدىء بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم. الثامنة والعشرون: أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط. التاسعة والعشرون: أنه يخرج العبد من الجفاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الموفية ثلاثين: أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والأرض. الإحدى والثلاثون: أنها سبب رحمة الله عز وجل. الثانية والثلاثون: أنها سبب للبركة. الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان لايتم إلا به. الرابعة والثلاثون: أنها سبب لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم للمصلي عليه صلى الله عليه وسلم. الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه. السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده صلى الله عليه وسلم. السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم. الثامنة والثلاثون: تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه صلى الله عليه وسلم وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا. التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة أنعامه. الموفية أربعين: إن الصلاة عليه من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل فتارة يدعو لنبيه صلى الله عليه وسلم وتارةً لنفسه ولايخفى ما في هذا من المزية للعبد. الإحدى والأربعون: من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم انطباع صورته الكريمة في النفس. الثانية والأربعون: إن الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الشيخ المربي. انتهى.

وقد وردت في فضائلها أحاديث وأخبار. مروية عن المصطفى

المختار. صلى الله عليه وسلم روي عنه صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال: «إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي عليَّ صلاة إلا قال يامحمد صلى عليك فلان ابن فلان قال فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2]: «إن لله ملكاً له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب فإذا صلى العبد عليَّ حباً انغمس في الماء ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلي إلى يوم القيامة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن في الجنة جارية خلقت من أربعة أشياء من قدميها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى سرتها من المسك ومن سرتها إلى صدرها من الكافور ومن صدرها إلى عنقها من الياقوت الأحمر وعلى جبهتها سطران مكتوبان بالنور في الأول: لا إله إلا الله وفي الثاني: محمد رسول الله وهي تنادي وتقول من أراد أن يتزوج بسبعين مثلي في الجنة فليكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم» وعنه صلى الله عليه وسلم: أنه قال[3]: «من صلى عليَّ مرة واحدة فتقبلت محا الله عنه ذنوب ثمانين سنة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[4]: «ما من عبد يصلي عليَّ ليلة الجمعة إلا أخرج من فيه قبس

---

(١) كنز العمال /٢٢١٨ ـ ٢٢٢٧/ رواه ابن النجار عن عمار بن ياسر والطبراني.

(٢) كنز العمال /٢٢٤٣/ وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب». أخرجه الطبراني في الأوسط.
وفي رواية: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطَّ عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب والنسائي في الصلاة والحاكم في الدعاء عن أنس. /٨٨١٠/ الجامع الصغير.

(٣) وجدت هذا الحديث بلفظ: «من صلى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاماً». عن أبي هريرة في كنز العمال /٢١٤٩/.

(٤) فيما ورد من الأحاديث في هذا الموطن: «إن لله تعالى ملائكة خلقوا من النور لايهبطون إلاَّ ليلة =

من نور بعدد كل مرة يصلي عليّ فيخلق الله من ذلك القبس ملائكة فيرجعون إلى العرش يطوفون بالكرسي وهم يصلون على ذلك الرجل الذي صلى على محمد صلى الله عليه وسلم فيتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى فيقول ياملائكتي ماتريدون فيقولون الغفران لصاحبنا ودخول الجنة بغير حساب ولاعقاب فيقول لهم ياملائكتي آليت على نفسي أن لا أعذب بالنار من رفع صوته وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ولو بلغت ذنوبه مثل زبد البحر». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من عسرت عليه حاجته فليكثر من الصلاة عليّ فإنها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج». وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: «أنها كانت تخيّط وقت السحر فضلّت الإبرة وانطفأ السراج فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوءه صلى الله عليه وسلم ووجدت الإبرة فقالت:ما أضوأ وجهك يارسول الله قال ويل لمن لم يرني يوم القيامة قالت ومن لا يراك يوم القيامة قال البخيل قالت ومن البخيل قال الذي لايصلي عليّ إذا سمع باسمي». وفي الخبر إذا خفّت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت فيقول: «أنا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصلّي عليّ وفيتك أحوج ما تكون إليها». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا صلى العبد صلاة نادى مناد من السماء صلى الله عليك بها مائة فيسمع

= الجمعة ويوم الجمعة بأيديهم أقلام من ذهب وروي من فضة وقراطيسُ من نورٍ لايكتبون إلاّ الصلاة على النبي». (الديلمي من علي رضي الله عنه. وفي حديث آخر: «من صلى عليّ يوم الجمعة كانت شفاعة له عندي يوم القيامة». (الديلمي عن عائشة رضي الله عنها). كنز العمال /٢٢٣٨ - /٢٢٣٩.

بها أهل السماء الثانية فيقولون صلى الله عليك بها مائتين فيسمع بها أهل السماء الثالثة فيقولون صلى الله عليك بها ألف مرة فيسمع بها أهل السماء الرابعة فيقولون صلى الله عليك بها ألفي مرة فيسمع بها أهل السماء الخامسة فيقولون صلى الله عليك بها أربعة آلاف مرة فيسمع بها أهل السماء السادسة فيقولون صلى الله عليك بها ستة آلاف مرة فيسمع بها أهل السماء السابعة فيقولون صلى الله عليك بها سبعة آلاف مرة فيقول الله تبارك وتعالى دعوا ثواب هذا العبد عليَّ كما عظم نبيي وصلى عليه بنفس طيبة أغفر له كل ذنب». وعنه صلى[1] الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2]: «من صلى عليَّ كل يوم صافحته يوم القيامة». وعنه صلى الله عليه وسلم[3] أنه قال: «إنَّ أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليَّ صلاة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من سلَّم عليَّ عشراً فكأنما أعتق رقبة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[4]: «من صلى عليَّ صلاة كتب الله له قيراطاً والقيراط مثل أُحد».

وقد ذكر بعض أئمة الصوفية أنَّ من فقد شيوخ التربية فليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يصل بها إلى مقصوده، ولعله أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لأُبي[5] بن كعب رضي الله عنه عندما

---

(١) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء وهو حديث حسن في الجامع الصغير /٨٨١١/.

(٢) وجدته بلفظ «البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ» أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن حبان ـ عن الحسين وهو حديث صحيح /٣١٩٤/ الجامع الصغير.

(٣) ولفظه «ياأيها الناس أنجاكم». (الديلمي عن أنس رضي الله عنه) كنز العمال /٢٢٢٨/.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن علي كرم الله وجهه وهو حديث حسن. الجامع الصغير /٨٨١٣/.

(٥) رواه أحمد والترمذي، والحاكم وصححه. وقال الترمذي حديث حسن صحيح. ص٢٠٢ ج٢ الترغيب والترهيب.

التزم أن يجعل جميع صلاته للنبي صلى الله عليه وسلم: «إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك». ولاشك إن المريد الطالب مشائخ التربية مهتم بتنقية نفسه وشفائها من علائق ماسواه تبارك وتعالى، فإذا أكثر من الصلاة على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كُفيَ هذا الهم الذي اهتم به». قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في شرح الحصن: روي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال ياأيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة[1] تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أُبي بن كعب: «إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ماشئت وإن زدت فهو خيرٌ لك قلت النصف قال ماشئت وإن زدت فهو خيرٌ لك قلت أجعل صلاتي كلها لك قال إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك».

قال المنذري في قوله: إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي معناه: إني أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعاءي صلاة عليك. وفي حاشية الشمني على الشفاء قيل الصلاة هنا بمعنى الدعاء والمعنى إن لي زماناً أدعو فيه لنفسي فكم أجعل من ذلك الزمان للصلاة عليك. قال العارف بالله سيدي أحمد زروق: ومما كتب لنا به شيخنا سيدي «أحمد بن عقبة الحضرمي» رضي الله عنه في وصيته الأولى وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخاً مرشداً فقد قال صلى الله عليه وسلم[2]: «الصلاة عليَّ نور في القلب ونور في القبر ونور على الصراط». انتهى. يعني وإذا دخل النور

---

(١) الراجفة: النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق، والرادفة: النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة.

(٢) وجدته بلفظ: «الصلاةُ عليَّ نورٌ على الصراط فمن صلى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرةً غفرت له ذنوبَ ثمانين عاماً». (الأزدي في الضعفاء) والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة. كنز العمال /٢١٤٩/.

القلب خرجت منه الظلمة وزال العمى فاهتدى صاحبه ولا تبقى الظلمة لأن الضدين لايجتمعان، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق وفي الحكم النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار. وقطع عنه مدد الظلم والأغيار. وقال الإمام القسطلاني[1] في مسالك الحنفاء قال بعضهم: إذا صعب عليك المرام. فعليك بكثرة الصلاة والسلام على المظلل بالغمام وقال العارف بالله سيدي «محمد[2] بن عمر القصري» في كتاب منح المنة في التلبس بالسنة: اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً، وذلك عون له على سلوكه في الطريق وطلب القرب من رب الأرباب دون غيرها من الأذكار، فإن ذلك فتح باب الهداية إلى الله تعالى فإنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بيننا وبينه تعالى والدليل لنا عليه، والمعرف لنا به والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ووسيلة إلى منازل القرب منه، فهو صلى الله عليه وسلم الواسطة بين الخلق وبين ربهم تعالى ثم قال: واعلم أنه لايوصل لاكتساب أفعاله وأخلاقه إلا بعد شدة الإعتناء ولا يتوصل لشدة الاعتناء إلا بالمبالغة في حبه ولايتوصل

---

(١) القسطلاني: محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن الميمون التوزري الأصل، المكي الدار، القاهري المنزل والوفاة. الحافظ أبو بكر، ولد في مكة سنة أربع عشرة وستمائة تفقه وأفتى وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية في القاهرة. أخذ في طرق التصوف والتسلك والتعرج بأرج سلفه الصالح وأوضح في مجلسه عدة موضوعات. توفي سنة ست وثمانين وستمائة ودفن في سفح المقطم.

(٢) هو الشيخ: أبو القاسم المغربي الفاسي القصري رضي الله عنه. وكان ذا خلق حسن وكرم وحلم لم يزل متبسماً منشرحاً وجاء مصر في نحو خمسمائة مريد حج بهم وكان دأبه الجهاد طول عمره إلى أن مات رحمه الله.

للمبالغة في حبه إلا بكثرة الصلاة عليه، ومن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره فلذلك بدأ السالك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن لها في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقاً سوى ماتضمنت من الأسرار والفوائد التي يعجز عنها الحصر والإستقصاء، فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يجني ثمرتها وتلوح له بركتها وما هي في جميع منازل هذا الطريق إلا مصباح يهتدى به ونور يستضاء به، فمن عمّر قلبه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اطّلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد. وقال صلى الله عليه وسلم[1]: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد». رواه الطبراني في الأوسط،وعن علي[2] بن أبي طالب كرم الله وجهه مامن دعاءٍ إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد وآله فإذا فعل إنخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإذا لم يفعل رجع ذلك الدعاء.

وفي الشفاء عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل فإنه أجدر أن ينجح. ثم قال القاضي[3] رحمه الله: وقال

---

(١) وجدته بلفظ: «كل دعاء محجوب حتى يصل على النبي صل الله عليه وسلم». (أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس)، (والبيهقي في شعب الإيمان عن علي موقوفاً). وكذا كنز العمال /٢١٥٣/.

(٢) وفي حديث آخر عن فضالة بن عبيدٍ رضي الله عنه، قال: «سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته فلم يُصَلِّ عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجلَ هذا ثم دعاه فقال له ولغيره: إذا صلى أحدُكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليُصلِ على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليَدعُ بعدُ بما شاء». رواه أصحاب السنن بسند صحيح. الجامع الصغير /٧١٧/.

(٣) القاضي: محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بالقاضي فقيه مالكي مغربي سوسي كان مرجعاً في النوازل والأحكام ينسخ ويستنسخ صنف (حاشية على شرح ابن بطال للبخاري).

ابن[1] عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته جاز وإن وافق أسبابه نجح، فأركانه حضور القلب والرقة والإستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الأسباب، وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. وبالجملة فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تجلب الفتوحات والأسرار وتصفي البواطن من سائر الأكدار تتأكد في حق أهل البدايات، وأرباب الإرادات، وأصحاب النهايات، ويستوي في الاحتياج إليها الطالب السالك والمريد المقارب والعارف الواصل الطالب ترقيه. والمريد تربيه، والعارف تبقيه بعد ماتفنيه، وإن شئت قلت الطالب تعينه على السلوك. والمريد تدفع عنه الشكوك. والعارف تقول له هاأنت ومالك الملوك وإن شئت قلت الطالب تحبب إليه الأعمال، والمريد تكسبه الأحوال، والعارف تثبته في مقامات الإنزال، وإن شئت قلت الطالب تكسبه إستناره، والمريد تمده بالعبارة، والعارف تغنيه عن الإشارة، وإن شئت قلت الطالب يتقوى بها إيمانه، والمريد يكثر منها إيقانه، والعارف يزداد منها عيانه. وإن شئت قلت الطالب تكسبه الإطراق، والمريد تفيض عليه الإشراق، والعارف تؤيده عند التلاق. وإن شئت قلت الطالب تزداد بها أنواره، والمريد تفيض منها أسراره، والعارف يستوي لديها ليله ونهاره. وإن شئت قلت الطالب تكسبه النشاط، والمريد تحميه من الانحطاط، والعارف يتأدب بها على البساط. وإن شئت قلت الطالب تؤيده بالثبوت، والمريد تطلعه على غيب الملكوت، والعالم تهيمه في الجبروت. وإن شئت قلت الطالب تشوقه

(١) ابن عطاء: عبد الوهاب بن عطاء المحدث الإمام أبو نصر الخفاف العجلي أحد علماء البصرة. قال عنه ابن سعد كان كثير الحديث. وقال ابن معين: ثقة. وقال أحدهم: كان صالحاً خيّراً بكّاءة. مات آخر سنة أربع ومائتين.

إلى اللقاء، والمزيد توعده الملتقى والعارف تزيده تحققا وأنشدوا:

ألا ياحبَ المصطفى زد صبابة وضمّخ لسان الذكر دأباً بطيبه
ولا تعبأنَّ بالمبطلين فإنما علامة حب الله حبُّ حبيبه

* وقال الآخر *

تشبثْ بأذيال النبي ولذ به تجد نفحات الله أذكى من الند
ألا إن حرمة النبي محمد ترقي الفتى أعلا المنازل في الخلد

* وقال الإمام الساحلي[1] نفعنا الله به آمين *

تمسك بأذيال النبي ولذ به تفزُ بجزيل الأجر ياطالب الهدى
لقد ضمن المختار للسالك الذي يصلي عليه الألف ذكراً مفيدا
يبشر بالجنات قبل وفاته بشارةَ تخصيص بذلك أوعدا
وأما إذا أملاه في كل مطلع فيبصرُ عند الموت في الخلد مقعدا
وليست بشارات كرؤية ناظرٍ وإن كانت البشرى يزاحُ لها الردا
وأما الغنى للنفس لا فقر بعده ففي النصف من ألف فشأنك والهدى
وفي مائة المبين يحرم جسده على النار ياهذا فعظم محمدا
وبعد صلاة العصر في يوم جمعة تصلي ثمانين على علم الهدى
فيغفر من أوزار ذاكر أحمد ثمانون عاماً هكذا جاء مسندا
فصل عليه كي تنال فضائلا وتحظى بقصر في الجنان مشيدا
فصلى عليه الله ما هبت الصبا وما ناح طير فوق غصن وغردا
وصلى عليه الله جلا جلاله بأزكى صلاة والسلام مجددا

(١) الإمام الساحلي: الحافظ العلامة الأوحد ابن محمد بن دحيم الساحلي ولد سنة ست أو سبع وسبعين وثلاث مائة وسمع وقد كبر. قال الخطيب: كان من أحرص الناس على الحديث وأكثرهم كتباً له، وأحسنهم معرفة به، ولم يقدم علينا أحد أفهم منه لعلم الحديث وكان دقيق الخط صحيح النقل صعب المذهب وكان صدوقاً ثقةً متقناً. توفي في سنة احدى وأربعين وأربع مائة.

* وقال الحافظ ابن الحسين *

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا ... وتكف ذنب سالف أثقل الظهرا
عليك بإكثار الصلاة مواظباً ... على أحمدَ الهادي شفيع الورى طرا
وأفضل خلق الله من نسل آدم ... وأزكاهم فرعاً وأشرفهم فخرا
لقد صح أن الله جل جلاله ... يصلي على من قالها مرةً عشرا
فصلى عليه الله ما جنَّت الدجىَ ... وأطلعت الأفلاك في أفقها فجرا

* وقال بعضهم *

أما الصلاة على النبي فسيرة ... مرضية تُمحى بها الآثام
وبها ينالُ المرء عز شفاعةٍ ... يلقى بها الإعزاز والإكرام
كن للصلاة على النبي ملازماً ... فصلاتهُ لك جنة وسلام

* وقال البوصيري[1] في داليته *

وتزود التقوى فإن لم تستطع ... فمن الصلاة على النبي تزود
صلى الله عليه إن الصلاة من ... صلى عليه ذخيرةً لم تنفد

* وقال محي الدين الصرصري *

وابعث صلاتك في صبح وفي غسق ... إلى نبي حبيب الواحد الصمد
فبالصلاة يُجاز الناطقون بها ... بالعشر من صلوات الواحد الأحد

* وقال الشيخ[2] الحضرمي رضي الله عنه *

إذا مشئت في الدارين تسعد ... فكثر بالصلاة على محمد
وإن صليت فابغِ الأجر فيها ... وشفع بالصلاة على محمد

(١) البوصيري: الإمام شرف الدين، أبو عبد الله، محمد ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيان الحبنوني، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. ولد أول شوال عام ٦٠٨ هـ وتوفي رحمه الله في الاسكندرية سنة ٦٩٦ هجرية. ودفن قريباً من أستاذه أبي العباس المرسي.

(٢) الشيخ الحضرمي: حسن بن أحمد بن إبراهيم الحضرمي الواسطي: فاضل من أهل الواسطة (من أعمال حضرموت) له كتب منها (سرور السرائر) و(عافية الباطن وسلامة الدين).

وإن شئت القبول لها يقيناً ... فتختم بالصلاة على محمد
فلا صوم يصح ولا صلاة ... لم ترك الصلاة على محمد
وفعلك كله عقباه خيرٌ ... إذا صليت فيه على محمد
وقم في الليل وادعُ الله وارغبْ ... لربك بالصلاة على محمد
وقل يارب لاتقطع رجاءي ... وكن لي بالصلاة على محمد
فعجل بالمتاب على عُبيدٍ ... توسل بالصلاة على محمد
يخاف ذنوبه لكن ويرجو ... أماناً بالصلاة على محمد
وكن لي عند خاتمتي فإني ... سألتك بالصلاة على محمد
فما تتضاعف الحسنات إلا ... بتكرير الصلاة على محمد
وإن أبصرت قوماً ليس فيهم ... منيباً للصلاة على محمد
فجنب عنهم واطلب سواهم ... وذكّر بالصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات جمعاً ... ترى إلا بالصلاة على محمد
وخفْ مولاك في سر وجهرٍ ... وصل على الشفيع لنا محمد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصى ... تُكفّر بالصلاة على محمد
وإن جاء المماة ترى أموراً ... تسرك بالصلاة على محمد
وعند القبر تظفر بالأماني ... وتُرحم بالصلاة على محمد
ولا تخشى من الملكين رعباً ... إذا سألاك قل لهما محمد
رسول الله حقاً إتبعنا ... وآمنا وصُدقنا محمد
وفي لحد القبور لك اتساع ... وتلهم بالصلاة على محمد
وفي يوم القيامة سوف تجزى ... بما قدمت من ذكرى محمد
وفي يوم الحساب اذا بعثنا ... تأمن بالصلاة على محمد
وتأتي الحوض تشرب منه كأساً ... فتروى بالصلاة على محمد
وتخطو في الصراط كلمح برق ... بحفظك للصلاة على محمد

وتدخل جنة لا موت فيها بما أسلفت من ذكرى محمد
فهذا كله من فضل ربٍ هدانا للصلاة على محمد
وتنعم بالنعيم وحور عين بدار جارنا فيها محمد
وتنظر وجه ربك ذي الجلال بذكرك للصلاة على محمد
فتحمده وتشكره كثيراً على فضل الصلاة على محمد
رسول أبطحيُ هاشمي شفيع المذنبين غدا محمد
سلام طيب أرج بهيج على المختار سيدنا محمد
أيا هادي الأنام ويا شفيع ويا خير البرية يا محمد
عسى منك القبول لحضرمي يخطك[1] بالتحية يا محمد

* * *

وقد روي عن سفيان الثوري[2] رضي الله عنه: أنه كان يطوف بالبيت إذ رأى رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا وهو يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم فقال ياهذا تركت التسبيح والتهليل والدعاء وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهل عندك في هذا شيء فقال من أنت عفاك الله قال أنا سفيان الثوري، فقال لولا أنك غريب في أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري قال: خرجت أنا ووالدي ماضيين إلى بيت الله الحرام فمرض والدي في بعض المنازل فمرضته حتى مات، فحين مات اسود

---

(١) ولعل الأصوب [يخصك] وليس يخطك.

(٢) سفيان الثوري: هو الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري الكوفي الفقيه. ومما قيل فيه ماقاله شعبة ويحيى بن معين وجماعة، سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال عن نفسه: مااستودعت قلبي شيئاً قط فخانني. ومن أقواله رحمه الله: العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فإذا اجتر الطبيب الداء إليه متى يداوي غيره. مولده في سنة سبع وتسعين. ومات في شعبان سنة احدى وستين ومائة رضي الله عنه.

وجهه ففطيته، وسهرت كثيراً، ثم غلبتني عيناي فنمت فإذا أنا برجلٍ لم أر أجل منه وجهاً ولا أطيب منه رائحة، فدنا من أبي وكشف عن وجهه ومر بيده على وجهه فعاد وجه أبي أبيض يتلألأ نوراً، فقلت من أنت الذي منَّ الله بكَ على أبي في أرض غربة فقال أنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان والدك مسرفاً على نفسه وكان يكثر الصلاة عليَّ فرحمه الله بذلك فانتبهت فإذا بوجه أبي قد ابيض وأنشدوا:

أيا من أتى ذنباً وقارف زلةٍ ... ومن يرتجي عفواً من الله والقربا
تعاهد صلاة الله في كل ساعةٍ ... على خير مبعوثٍ وأكرم من نبا
فيكفيك هماً أي همٍ تخافه ... ويكفيك ذنباً جئت أعظم
ومن لم يكن يفعل فإن دعاءه ... يجد قبل أن يرقى إلى ربه حُجُبا

وفي كتاب مفاخر الإسلام. في فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه وحكى صاحب كتاب الوصول إلى مرضاة الرسول عن أبي بكر بن عبد[1] الرحمن قال: أخبرني بعض البغداديين أنه كان رجل من تجار بغداد موسراً فذهبت النعمة عنه وافتقر واستدان ديوناً، فرفعه إلى القاضي بعض من كان له عليه حق في ثلاثة آلاف دينار فأقر بها وأجّل له القاضي ثلاثين يوماً، فانصرف وأقبل على محرابه بالتضرع إلى الله عز وجل بأن يقضي عنه ماعليه من الديون وأكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان ليلة سبع وعشرين رأى في المنام سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم وهو يقول له إغتممت بدينك قال نعم يارسول الله فقال يقضيه الله عنك إذهب إلى علي بن[2] عيسى الوزير، وقل له أنا رسول رسول الله صلى

(١) أبي بكر بن عبد الرحمن: ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة. استُصْغِر يوم الجمل فرُد من عسكر طلحة والزبير. كان ثقة حجة فقيهاً إماماً كثير الرواية سخياً. وكان يقال له راهب قريش، قال ابن سعد: كان مكفوفاً. كانت ولادته في خلافة عمر ووفاته في المدينة في سنة الفقهاء أي في سنة أربع وتسعين.

(٢) علي بن عيسى الوزير: علي بن عيسى بن داود ابن الجراح أبو الحسن البغدادي الحسني وزير المقتدر=

الله عليك وسلم إليك ويقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم اقض عني ثلاثة آلاف دينار قال فانتبهت من منامي وبي من الفرح والسرور ماشاء الله، ثم رجعت إلى نفسي فقلت إذا مضيت إليه ويقول لي ما تصديق ماتقوله فما أفعل، فحبست نفسي ذلك اليوم عن المسير إليه فلما كانت الليلة الثانية رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني بما أمرني به في الليلة الأولى فأصبحت فرحاً مسروراً، ثم رجعت بطبع البشرية وقلت إذا مضيت إليه وقال لي ماتصديقك بم أجاوبه، فحبست نفسي أيضاً ذلك اليوم عن المسير إليه فلما كان في الليلة الثالثة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقال لي أمضيت إلى علي بن عيسى، فقلت له لا يارسول الله فقال (وما منعك؟) فقلت يارسول الله إذا قال لي ما تصديق قولك بم أجاوبه فقال: لي أحسنت إذهب إليه فإذا قال لك ذلك فقل له الأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يعلمه إلا الله والكرام الكاتبون، وذلك أنك تصلي عليّ في كل يوم وليلة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس خمسة آلاف مرة، فإذا ذهبت إليه فإنه يقضي عنك دينك ويصدقك. فانتبهت فرحاً مسروراً ثم خرجت إلى باب علي بن عيسى فدخلت مع الناس. فلما انفض الناس عنه قال لي إليك حاجة فدنوت منه. فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليك. فقال: بماذا؟فقصصت عليه قصتي فقال لي وما قدري حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليّ بمثل هذا وماتصديق ذلك فقلت له: إني قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت قائله. فقال لي أحسنت تعلمه بأمارة لا يعلمها أحد غيره، وغير الله عز وجل، والكرام الكاتبين، إنك تصلي عليّ في كل يوم من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قبل أن تكلم أحداً

= العباسي والقاهر. وأحد العلماء والرؤساء من أهل بغداد فارسي الأصل نشأ كاتباً وولي مكة ثم ولي الوزارة ثم عزل وقبض عليه. توفي في بغداد من كتبه (ديوان رسائل ـ معاني القرآن).

خمسة آلاف مرة فلما سمع علي بن عيسى الكلام مني إبتهج سروراً وأقبل علي وقبل بين عيني، وقال مرحباً برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً صدقت وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ياغلام هات المال والميزان فوزن لي ثلاثة آلاف دينار وقال لي هذه إقض بها دينك، ثم وزن لي ثلاثة آلاف دينار. فقال هذه اشتر بها ربعاً لأهلك، ثم وزن ثلاثة آلاف دينار. فقال لي هذه تتجر بها ثم حلّفني أن لا أنقطع عنه وأن أكلفه جميع حوائجي فخرجت بتسعة آلاف دينار وأتيت بيتي فدفعت ستة آلاف دينار إلى أهلي وأتيت القاضي وكنت أول داخل عليه، فقال لي القاضي أحسنت إجلس ثم كثر الناس فدخل صاحبي كالملهوف وقال للقاضي إبعث في حاجتي، فقال له القاضي صاحبك قد أتى قبلك وأتى بمالك قال فقمت وجلست بين يديه وأخرجت المال وقلت له والله ما أصبحت اليوم وعندي درهم واحد وأخبرته بالقصة فقال القاضي ولا كرامة لعلي بن عيسى بل أنا أتولى قضاء دينك ياغلام هات المال فوزن له ثلاثة آلاف دينار، ثم قال لصاحب الدين اقبض مالك فقال صاحب الدين ولا كرامة لك ياقاضي بل أنا أخليها لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم قال: فهممت بالقيام فقال لي القاضي خذ مالك واحمله معك واستعن به على دينك فو الله لارجعت في شيء أخرجته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. فأخذت الثلاثة آلاف دينار وانصرفت إلى بيتي وأنا صاحب إثنى عشر ألف دينار. فسبحان الكريم الوهاب لا إله غيره وصلى الله على الذي ببركته تحل العقد وتنكشف الكرب وسلم عليه وعلى آله تسليماً كثيراً وقلت:

إن الصلاة على المختار من مضر تمحو الذنوب وتقضي سائر الوطر
ويصبح القلب بالأنوار مبتهجاً بها ويعبق منها بالشذا العطر

كم أعطت المرء ما يرجوه من أمل ... وكم وَقَتْهُ من الأهوال والكدر
وكم شفت من سقيمٍ في الأنام وقد ... أعطت آماناً لعبدٍ خائفٍ حذر
وكم أفاضت من الخير الجزيل على ... من كان ذا حاجةٍ كالوبل والمطر
فاقطف أزاهرها واشمم عنابرها ... وانظم جواهرها من معدن الدرر
وكن ملازمها واحضر ولائمها ... واشمم نواسمها من روضة الزهر
تظفر بنيل عُلا ما بين كل ملا ... وتقتني أملاً والبشر في البشر
وكيف لا وهي باب الله مفتتحاً ... من أمّهُ فاز بالمأمول والظفر
قد أمر الله في القرآن أمته ... بأن يصلوا وبالتسليم في الأثر
وقال إني أصلي مع ملائكتي ... طوبى له حاز فضلاً غير منحصر
فمن يصلي على المختار واحدةً ... عليه عشراً يصلي الله فافتخر
ومن يسلم عشراً فهو يشبه من ... أعتق عبداً كما قد جاء في الخبر
فاجتهدوا أيها الأقوام واستندوا ... إلى الصلاة لدى الآصال والبكر
لكي يكون شفيعاً فيكم بعد ... شفاعةٍ لم تدع ذنباً ولم تذر
إن الصلاة على خير الورى كشفت ... هماً وغماً وكرباً يا أولي الفكر
أضحت مكثرة الأرزاق قاضيةً ... حوائجاً لفتى راجٍ ومنتظر
فكن موفقنا ياذا الجلال لها ... لكي تفوز بفضلٍ منك منهمر
وهب لنا كل ما نرجو ونأمله ... فأنت ربٌ بإعطاء المرام حَرِ
واجعل لنا ربنا من أمرنا فرجاً ... واختم بحسن الختام آخر العمر
ونجنا من عذاب القبر واعف وكن ... بنا رحيماً فإن الذنب ذو كبر
ونجنا ربٌ من هول الحساب ومن ... نار سطا وقدها بالحر والشرر
وكن مسكننا في جنة عظمت ... محفوفةً بصنوف النخل والشجر
ما بين حورٍ حسان حسنها بهج ... تسبي العقول بذلك الغنج والحور
جوار خير الورى من طاب عنصره ... بدار العلا والبها المختار من مضر

يا رب صل عليه كلما لمعت كواكب في ظلام الليل والسحر
يارب صل عليه كلما هطلت غمامة لاكتساء الروض بالزهر
يارب صل عليه كلما طلعت شمس بضوء على الأرجاء منتشر
يارب صل عليه كلما إضطربت أمواج بحرٍ وما أجرى من العبر
يارب صل عليه كلما سجعت حمائم فوق غصن مزهر نضر
يارب صل عليه كلما ابتسمت أزهار روضٍ كمثل الأنجم الزهر
وسلمن أبداً ما ماس غصن نقي وكلما أشرقت شمس على الجدر
وآله وجميع الصحب قاطبةً الحائزين بفضل أحسن السير
ما أشرق البدر بالأنوار ساطعةً وما فشا نوره في البدو والحضر

* * *

وكم للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فضائل لا تحصى، ومآثر لاتستقصى، ولنمسك عنان القلم. فإن في هذه النبذة كفاية، وإلا فما يصل المرء في ذلك إلى النهاية، وهذا وإن الشروع في المقصود بعون الملك المعبود. فأقول:

* إعلم * إن هذه الصلاة العظيمة المقدار. السامية المنار، ختم بها شيخ الإسلام، والقطب الهمام، والعالم الرباني، محي الدين أبو محمد سيدي عبد القادر الجيلاني حزبه المسمى بحزب الرجاء والالتجاء، وهي إحدى الصلوات العشر ذوات الخيرات والبركات التي رتبها الإمام محي الدين عرف بجنيد اليمن رضي الله عنه وهي مأثورة. قال رضي الله عنه: تستعمل وترتب من صلى بها عشر مرات صباحاً ومساء استوجب رضاء الله الأكبر والأمان من سخطه وتتواتر عليه الرحمة والحفظ الإلهي من الأسواء وتسهل عليه الأمور.قال: وهي كذلك بلا شك،قال بعضهم: إن المرة منها بعشرة

آلاف صلاة وقد نسبها بعضهم للشيخ أبي[1] محمد عبد الحق بن سبعين رضي الله عنه وليس كذلك فإن عبد الحق بن سبعين متأخر عن الشيخ سيدي عبد القادر مع أنها ثابتة في حزب الشيخ سيدي عبد القادر وقد ذكر هذه الصلاة المباركة السخاوي والجزولي إلى أن لفظها في حزب الشيخ وصلى الله على سيدنا محمد السابق للخلق نوره وأما عند السخاوي[2] والجزولي[3] فهي بلفظ * اللهم * أي يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم للتفخيم والتعظيم. قال الشيخ الجزولي رحمه الله: وإنما جعل هذا الاسم العظيم ـ في أوائل الأدعية غالباً ـ لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها، قال الحسن البصري: اللهم مجمع الدعاء، وقال أبو رجاء العطاردي[4]: الميم في قولك اللهم فيه تسعةً وتسعون إسماً من أسماء الله تعالى، وقال النضر بن شميل[5]: من قال اللهم فقد دعاه بجميع أسمائه،قال

---

(١) هو الشيخ عبد الحق بن سبعين المرسي رحمه الله: قطب الدين كان من المشايخ الأكابر. مات بمكة سنة سبع وستمائة، عن خمس وخمسين سنة.

(٢) السخاوي: الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء عَلَمُ الدين أبو الحسن عليٌ بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس الهمداني، المصريُ، السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق. ولد سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة. وكان مع سعةِ علومهِ وفضائلهِ ديّناً، حسن الأخلاق، وفي ثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وست مئةٍ توفي رحمه الله.

(٣) الجزولي: هو محمد بن سليمان الجزولي السملالي الشريف الحسني الشاذلي، صاحب دلائل الخيرات رضي الله عنه، أخذ في تربية المريدين، وتاب عليه خلق كثير، وانتشر ذكره في الآفاق، وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات الجسيمة والمناقب الفخيمة. واجتمع عنده من المريدين أكثر من اثني عشر ألفاً. وكانت وفاته سنة ٨٧٠ هـ رضي الله عنه ومن كراماته أنه بعد وفاته بسبع وسبعين سنة نقلوه من قبره في بلاد السوس إلى مراكش، فوجدوه كهيئته يوم دفن.

(٤) أبو رجاء العطاردي: عمران بن ملحان البصري مخضرم من كبار علماء التابعين أسلم زمن الفتح ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم. تلقن القرآن من أبي موسى وعرضه على ابن عباس. قال أبو الحارث الكرماني ثقة من مشيخة أبي سلمة المنقري. عاش مائة وعشرين سنة. مات سنة سبع ومائة.

(٥) النضر بن شميل: الإمام الحافظ العلامة أبو الحسن المازني البصري اللغوي عالم أهل مروة ولد قبل=

البطليوسي: ومعنى هذا أن الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع لاترى أنك تقول عليه للواحد وعليهم للجمع، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك ضربوا وقاموا فلمّا كانت كذلك زيدت في آخر اسم الله لتشعر وتوذن بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله كلها، فإذا قال الداعي اللهم فكأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى، ولأجل ذلك فتحت الميم لتكون بإزاء الفتحة في قولك مسلمون وصالحون وشددت لتكون بالتشديد معادلة بالحرفين المزيدين في مسلمون وصالحون، وأما سيبويه فإنه قال إنما شددت لتكون بمنزلة حرف النداء المحذوف وعوضاً عنه.

* واعلم * أن هذا اللفظ الشريف لا يوصف لأجل استغراقه لجميع أسماء الله تعالى وصفاته لأنها قد اجتمعت فيه، وقال بعضهم: إنما لم يوصف لأنه لمّا كان لا يستعمل إلا في النداء خاصة أشبه الأصوات التي لا تكون إلا في النداء، وكذلك جميع الأسماء التي لاتقع إلا في النداء لا توصف ولا توكد ولأجل ما تضمنه هذا اللفظ من عظيم الثناء قيل فيه إنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وقيل إنه هو وقيل إنه الحي القيوم، وقيل هو العلي العظيم الحليم العظيم، وقيل هو لا إله إلا الله أو لا إله إلا هو، وقيل الحق وقيل ذو الجلال والإكرام، وقيل لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وقيل إنه اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وقيل أنه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان أو

= الفتنة بخمس أو ست سنين. قال عنه أبو حاتم: ثقة صاحب سنة. ألف كتباً كثيرة لم يُسبق إليها. وقال عنه ابن المبارك: ذاك أحد الأحدين، لم يكن أحد من أصحاب الخليل يدانيه. مات في آخر يوم من سنة ثلاث ومائتين.

الحنّان المنّان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام، وجاء أنه في قوله اللهم مالك الملك الآية، وقيل هو أرحم الراحمين، وقيل ربنا، وقيل الوهاب، وقيل الغفار، وقيل القريب، وقيل السميع البصير، وقيل سميع الدعاء، وقيل خير الوارثين، وقيل حسبنا الله ونعم الوكيل.

واختار الإمام محي الدين النووي[1] تبعاً لجماعة أنه الحي القيوم قال: ولذلك لم يرد إلا قليلاً في القرآن في ثلاثة مواطن: (البقرة في أية الكرسي)، (ومفتتح آل عمران)، (وطه في قوله (وعنت الوجوه للحي القيوم) واستدل بالحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه، وهذا كما قال استنباط حسن، وهذه الأقوال كلها مبنية على أن الاسم الأعظم معين، وقال بعضهم أنه ليس بمعين بل مادعوت به حال تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه فما دعوت به في هذه الحالة أستجيب لك، وهو ظاهر قوله تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه)[2]، ومحصله أن كل داعٍ له اسم أعظم بحسب حاله، وقال الشيخ القطب سيدي عبد العزيز الدباغ[3] رحمه الله: إن الاسم الأعظم كمال المائة، وليس من التسعة والتسعين وإن كثيراً من معانيه في الأسماء التسعة والتسعين، وإنه هو ذكر

(١) الإمام محي الدين النووي: الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحوراني الشافعي. مولده سنة احدى وثلاثين وست مائة، حفظ التنبيه وربع المهذب في سنة ذكر الشيخ أبو الحسن بن العطار أن النووي كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه. سمع الكتب الستة وشرح في أحاديث الصحيحين وأخذ الأصول وتفقه وقرأ النحو ولازم الاشتغال والتصنيف، ومن تصانيفه (رياض الصالحين، الأذكار..) وفي الحديث (التقريب، تجريد الألفاظ..) وكان لايقبل من أحد شيئاً. توفي سنة ست وسبعين وست مائة.

(٢) سورة النمل / الأية ٦٢.

(٣) الشيخ القطب عبد العزيز الدباغ: عبد العزيز بن مسعود أبو فارس الدباغ: متصوف من الأشراف الحسنيين مولده ووفاته بفاس كان أمياً لا يقرأ ولايكتب. ولأتباعه ذكر نفيس في مناقبه وكثرة كراماته الجمة. ويقول تلميذه العلامة ابن المبارك الذي ألف في مناقبه رضي الله عنه أن شيخنا رضي الله عنه أمره غريب وشأنه عجيب.

الذات لا ذكر اللسان فتلسمعه يخرج من الذات كطنين النحاس الأصفر وهو ثقيل على الذات ولا تطيق الذات ذكره إلا مرة أو مرتين في اليوم لأنه لا يكون إلا مع المشاهدة التامة، وذلك ثقيل على هذه الذات وإذا ذكرته الذات يفزع العالم كله هيبة وإجلالاً وفخامةً، وكان في سيدنا عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام قوة على ذكره وكان يذكره في اليوم أربع عشرة مرة هكذا نقل عنه أبو العباس أحمد بن المبارك في كتاب الإبريز.

* صل * اختلف في معنى الصلاة فقيل معناها الرحمة والرضوان من الله والدعاء والإستغفار من الملائكة والناس، وقيل صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء وكأنه يريد الدعاء بالرحمة وقيل إن معنى الصلاة من الملائكة الدعاء بالبر، وقيل الصلاة من الله رحمة مقرونة بالتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء، وقيل صلاته على أنبيائه الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة، وقيل صلاة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم تشريفاً وزيادة تكرمة وعلى مادون النبي رحمة، وقال الحليمي[1]: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظّم محمداً، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود. وقال أبو العالية[2]: صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند ملائكته

(١) الحليمي: العلامة البارع رئيس أهل الحديث أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي. كان من أذكياء زمانه ومن فرسان النظر وله اليد الطولى في العلم والأدب. ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة في جرجان ونشأ في بخارى، له تصانيف مفيدة. توفي سنة ثلاث وأربع مائة.

(٢) أبو العالية: الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرىء مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أُبيّ وغيره. قال أبو بكر بن أبي داود ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية. روى قتادة عنه قال: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم صلى الله عليه وسلم بعشر سنين. مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين.

وصلاة الملائكة عليه الدعاء قال ابن حجر[1]: وهذا اولى الأقوال فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، وقيل إن المراد بالصلاة الاعتناء بشأن المصلي عليه وإرادة الخير له وهو الذي ارتضاه الغزالي واستحسنه الزركشي[2] في شرح جمع الجوامع لأنه قدر مشترك، وقال ابن هشام[3] في المغني الصواب عندي إن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم العطف بالنسبة إلى الله سبحانه الرحمة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض.

* واعلم * إن الصلاة تستعمل اسماً وهي هذه التي اختلف في معناها وتكون بمعنى المصدر الذي هو صدورها ولهذا غاير بينهما في القاموس فقال الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله على رسوله وعبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر يقال صلى صلاة لا تصلية دعا. وقد حذروا من استعمال لفظ التصلية بدل الصلاة قال الحطاب إنه موقع في الكفر لمن تأمله لأن التصلية الإحراق. وأصل الصلاة الانحناء والانعطاف مأخوذةً من الصلوين، وهما عرقان في الظهر من جانبي الذنب

---

(١) ابن حجر: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه وحافظ الديار المصرية قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل. ولد سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة وعنى أولاً الأدب ونظم الشعر فبلغ فيه الغاية ثم طلب الحديث وبدع فيه، وصل لمرتبة الذهبي في ألحفظ. صنف التصانيف التي عم النفع فيها كشرح البخاري، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

(٢) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول تركي الأصل مصري المولد والوفاة: له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: (لقطة العجلان) و(البحر المحيط).

(٣) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين: مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة وتوفي بمصر. أشهر كتبه (السيرة النبوية).

إلى الفخذين وعظمان ينحنيان في الركوع والسجود، ولهذا كتبت في المصحف بالواو ثم قالوا صلى الله عليه أي انحنى عليه رحمة وتعطفاً ثم سمّوا الرحمة حنواً وصلاةً إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك صلى الله على محمد هو أرقُّ وأبلغُ من قولك رحم الله محمداً فالحنو والعطف والصلاة أصلها في المحسوسات ثم عبَّر بها عن هذا المعنى مبالغةً وتأكيداً كما قال الشاعر:

فمازلت في ليفي له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل صليت على الميت إذا دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق لا تقول صليت على العدو أي دعوت عليه إنما يقال صليت عليه بمعنى الحنو والرحمة والتعطف، لأنها في الأصل انعطاف ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى فلا يقال إذا صلى بمعنى دعا وهو مع على للمضرة، فقول القائل اللهم صل على سيدنا محمد معناه اللهم أثن عند ملائكتك وشرّف وكرّم أو عظّم أو اعتن ورد الخير أو اجعل العطف الرحمة المقترنة بالتعظيم المنبعثة عن العطف والحنان على سيدنا. السيد هو الذي يسود قومه أي يتقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام، وقيل هو الكامل المحتاج إليه بإطلاق أو العظيم المحتاج إليه غيره، وقيل هو الذي يرأس قومه وقيل هو المالك الذي تجب طاعته، ولهذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب وقيل هو الحليم وقيل السخي، ويطلق على الزوج ومنه وألفيا[1] سيدها لدى الباب هذا قول اللغة في السيد وأما أهل التفسير فقال ابن عباس: السيد هو الكريم على ربه عز وجل، وقال قتادة: السيد العابد الورع الحليم وقال عكرمة: السيد

(١) سورة يوسف / آية ٢٥ ـ ألفيا: وجدا.

الذي لا يغلبه غضب وسيادته صلى الله عليه وسلم أجلى وأظهر وأوضح من أن يستدل عليها، فهو سيد العالم بأسره من غير تقييد ولا تخصص في الدنيا والآخرة. قال في مطالع المسرات وإنما قال في الحديث أنا سيد الناس[1] يوم القيامة لظهور انفراده بالسؤدد والشفاعة فيه عن غيره حين يلجأ إليه الناس في ذلك فلا يجدون سواه وجميع الخلائق مجتمعون أولهم وآخرهم وأنسهم وجنهم وفيهم الأنبياء والمرسلون، وتلك الدار دار الدوام والبقاء فهي المعتبرة، وقد كان صلى الله عليه وسلم معلوماً بالسيادة نَسَباً وطبعاً وخَلقاً وخُلقاً وأدباً إلى غير ذلك من المكارم قبل ظهوره بالنبوة يعرف ذلك من اعتنى بالسير وتعرف أحواله من الصغر إلى الكبر صلوات الله عليه وسلامه.

* *

* فإن قلت * إن قوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد الناس يوم القيامة يفيد سيادته لجميع الناس وأما قوله أنا سيد ولد آدم لا يدخل فيه آدم (قلت) قال في مطالع المسرات المراد بولد آدم في قوله أنا سيد[2] ولد آدم النوع الإنساني وكذلك كل جماعة سموا باسم أبيهم جاز إطلاق الابن عليه وإطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولأولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميماً وهو أبو القبيلة، وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية، (فإن قلت) ما تصنع في قوله عليه الصلاة والسلام[3] لاتفضلوا بين الأنبياء وقوله لاتفضلوني

---

(١) حديث أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك ؟ للحديث تتمة رواه مسلم في كتاب الإيمان /٣٢٧/.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة بلفظ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». (كتاب الفضائل /٢٢٧٦/).

(٣) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال: «والذي اصطفى موسى على البشر» فلطمه رجل من الأنصار وقال: «تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا»؟!! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لاتفضلوني بين الأنبياء».

على يونس[1] ونحوه (قلت) أجابوا عنه بأجوبةٍ منها أنه نهى صلى الله عليه وسلم عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعضهم فإن ذلك كفر، ومنها أنه نهى عن ذلك أدباً وتواضعاً وقيل غير ذلك.

*واعلم * أن الإضافة في قوله سيدنا لتعريف العهد الخارجي أي السيد المعين المعلوم عند أهل الملة أي السيد خير الأمم أو البشر أو المخلوقات وعلى كل تقدير يفيد سيادته لجميع المخلوقات، فيعلم من هذه الإضافة أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق مطلقاً «محمد» هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم به سماه جده عبد المطلب، ولّما سماه به قيل له لم سميت ابنك محمداً وليس من أسماء قومك قال رجوت أنْ يُحمدَ في الأرض والسماء، وقد حقق الله تعالى رجاءه كما سبق في علمه لا سيما إنْ صح ما نقل عن جده أنه رأى سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب، ثم عادت كأنها شجرةٌ على كل ورقةٍ منها نورٌ فإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض وقد سمعت آمنة أمه صلى الله عليه وسلم أيضاً قائلاً يقول لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعته فسميه محمداً وقد سماه الله بهذا الاسم قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بل قبل أن يخلقَ الخلق بألفي عام. وروى ابن عساكر[2] عن كعب[3] الأحبار أن آدم رآه مكتوباً على ساق

---

(١) قال الشيخ الجليل جلال الدين السيوطي رحمه الله: لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: لايقولن أحدكم: أنا خير من يونس بن متى. وفي سنن أبي داود: ماينبغي لنبي أن يقول: أنا أفضل من يونس بن متى.

(٢) ابن عساكر: الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقة الدين أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي صاحب التصانيف والتاريخ الكبير، ولد سنة تسع وتسعين وأربع مائة. توفي سنة احدى وسبعين وخمس مائة.

(٣) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في=

العرش وفي السموات وعلى كل غرفةٍ وقصر في الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله، لكن لما قرب زمانه ونشر أهل الكتاب نعته سمى به قوم أولادهم رجاء النبوة لهم ﴿ والله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[1] عدتهم خمسة عشر.

* واعلم * أنه قد اختلف في أسمائه صلى الله عليه وسلم فقيل ألف وقيل ألفان وعشرون، وقد ألف الحافظ[2] بن دحية فيها تآليف ذكر فيه نحو ثلاثمائة اسم ونظم أبو عبد الله[3] القرطبي فيها رجزاً فيه أيضاً تلك العدة، وقال الشيخ برهان[4] الدين الحلبي قد رأيت في القاهرة مجلدين يسمى المستوفى في أسماء المصطفى وجمع الحافظ السخاوي نحو أربعمائة وثلاثين ولكن ألذها للأسماع وأشوقها لتسكين لاعج الالتياع هذا الاسم الكريم، وإنْ كانت كل أسمائه بهذا المنزل العظيم، قال في مطالع المسرات هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم وأخصها وأعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه في

= زمن أبي بكر أخذ عنه الصحابة في زمن عمر وأخذ من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفي في خلافة عثمان، وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً وله شيء في صحيح البخاري وغيره.

(١) سورة الأنعام / آية ١٢٤.

(٢) الحافظ ابن دحية: الإمام العلامة الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد الملقب بالجميل. كان بصيراً بالحديث معنياً بتقييده مكباً على سماعه حسن الخط معروفاً بالضبط له حظ وافر في اللغة ومشاركة في العربية وغيرها. توفي سنة ثلاث وثلاثين وست مائة.

(٣) أبو عبد الله القرطبي: الإمام القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج الأموي. قال عنه أحمد بن محمد بن عفيف: كان أغنى الناس بالعلم وأحفظهم للحديث مارأيت مثله في هذا الفن من أوثق المحدثين وأجودهم ضبطاً. توفي سنة ثمانين وثلاث مائة وله ست وستون سنة.

(٤) الشيخ برهان الدين الحلبي: الحافظ أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الأصل الشافعي ولد سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة. وله تصانيف منها (شرح البخاري) و(شرح الشفاء). توفي سنة احدى وأربعين وثمانمائة.

الدنيا والآخرة، وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام[1] وبه تشفع وعليه صلى في مهر حواء وبه كان يسمي نفسه صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا محمد بن عبد الله والذي نفس محمد بيده وفاطمة بنت محمد، ويكتب من محمد رسول الله، وبه يصلي عليه الملائكة، وبه يسميه عيسى عليه السلام في الآخرة حين يدل عليه للشفاعة، وبه سماه جبريل في حديث المعراج وغيره، وبه سماه جده إبراهيم عليه السلام في حديث المعراج أيضاً وبه سماه جده عبد المطلب حين ولد، وبه كان يدعوه قومه وبه ناداه ملك الجبال وبه صعد ملك الموت إلى السماء باكياً لما قبض روحه الشريفة ينادي واامحمداه وبه يسمي نفسه لخازن الجنان حين يستفتح فيفتح له إلى غير ذلك مما لم يحضرني الآن والله أعلم. وقال الشيخ[2] عبد الرحمن البسطامي في كتاب درة الظنون في رؤية قرة العيون، ثم إن هذا الاسم الشريف الأقدس لم يتسم به على الحقيقة أحد قبله ولا بعده، وإنما وقع للناس مشاركات في جهات من جهات لفظه لا من جهات معناه إذ ما من مخلوق سواه إلا ويلحقه نقص مالو عدم التناهي في الكمال إلى رتبته صلى الله عليه وسلم، فلا يكون محمداً على الإطلاق فإن الوصف بعدم بلوغ الغاية في الكمال نوع من الذم ومن يلحقه الذم بوجه مافليس بمحمدٍ على الحقيقة فلا محمد إلا محمد، ولهذا المعنى لمّا أراد المشركون هجوه بالكلام الموذي صرف الله عنه ذلك، لأن حقيقته لا تقتضيه بوجه من الوجوه فكانوا يهجون مذمماً وهو الشيطان مع بلوغ الغاية في النقص، فإن هذا الاسم جمع أسماء الشياطين لاشتماله على ما يتضمن نقصاً وللمباينة الواقعة بين هذين الاسمين وعدم الاشتراك بينهما في

(١) وفيما رواه ابن قانع في معجم الصحابة له ورواه الطبراني: وقال: وكان آدم يكنى بأبي محمد.

(٢) الشيخ عبد الرحمن البسطامي: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد البسطامي الحنفي، زين الدين: فاضل، متصوف، مؤرخ، كاتب مترسل، له معرفة بتعبير الأحلام. ولد بأنطاكية وتعلم بالقاهرة وسكن بروسة وتوفي بها. له كتب منها: (مناهج التوسل في مباهج الترسل)؛

وصف من الأوصاف، لم يمكن للشيطان أن يتمثل على صورته صلى الله عليه وسلم. وقال المؤيد بروح القدس سيدنا حسان[1] بن ثابت الانصاري رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم.

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

* فإن قلت * إذا كان اشتقاق اسمه محمد من اسمه عز وجل محمود فلم يُولغ في هذا دون ذلك (قلت) قال بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم. لما كان بشراً وليس من شأن البشر الكمال في الأوصاف ولا بلوغ الغاية فيها احتيج للمبالغة في اسمه، للإعلام بأنه ليس كسائر البشر وههنا فوائد.

* الأولى: قال بعض الأفاضل وفي اسمه صلى الله عليه وسلم عشر خصائص. الأولى أنه أضاف اسمه إليه. والثانية تخليقه على صورة اسمه. والثالثة أنه قرن اسمه مع اسمه. والرابعة أنه كتب اسمه على ساق العرش ويروى أن الله تعالى لمّا خلق العرش اضطرب فلمّا كتب عليه اسم محمد

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يؤيد حسان بروح القُدس مانافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة.
وعن سعيد بن المسيب قال: «مَرَّ عمرُ في المسجد وحسان يُنشد، فلحظه عمر (أي نظر إليه نظرة إنكار)، فقال: كنت أُنشد وفيه من هو خير منك (يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: «أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القُدس ؟ قال: نعم». رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة. ورواه مسلم في صحيحه في باب فضائل حسان بن ثابت.

سكن وفيه تنبيه على أن هذا المخلوق الأكبر لم يسكن حتى كتب عليه اسم هذا المخلوق الأكبر. والخامسة اشتقاق اسمه من اسمه المحمود. والسادسة جري سفينة نوح عليه السلام باسمه. والسابعة أنه وافق اسمه اسم الله تعالى في عدد الحروف. والثامنة أن الشياطين سخرت لسليمان بذكر اسمه. والتاسعة أن الله تعالى تاب على آدم عليه السلام باسمه قال الله تعالى﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾[1] ويروى أن آدم[2] عليه السلام لما رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوباً على ساق العرش قال: اللهم إني أسالك باسم محمد أن تتوب علي فتاب عليه، وإلى هذا أشار السبكي في تائيته بقوله:

رأى آدم في العرش ذكرك ثابتاً ... يلي ذكر رب العالمين برفعة
فبات يناجي ربه متضرعاً ... بحقك لمّا أن دعاه لبغية

والعاشرة أن آدم عليه السلام كني باسم محمد دون سائر أولاده فكنى بأشرف كنية.

* الثانية: استنبط بعض العلماء من اسم محمد ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً فقال فيه ثلاث ميمات وإذا بسطت كلاً منها فقلت ميم وعددتها بحساب الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون، وإذا بسطت الحاء والدال فقلت دال بخمسة وثلاثين وجاء تسعة، فالجملة ماذكر وأولوا العزم منهم خمسة وقد نظم بعضهم أسماءهم بقوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه ... فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

---

(١) سورة البقرة / آية ٣٧.

(٢) روى أن آدم عند معصيته قال: «اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي - ويروى وتقبل توبتي» كما رواه البيهقي والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف.
وفي رواية أخرى: فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه.. لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحداً أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك». رواه البيهقي عن علي مرفوعاً. ووجه تخصيصه لأنه أشرف أولاده، أو للتشرف بإسناده.

واستنبط بعضهم من الاسم الشريف عدد الأنبياء مطلقاً وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وبيان ذلك أن هذا الاسم الشريف مشتمل على ميمين من غير تضعيف وعلى حاء ودال فتحسب من غير بسط بالجمل الصغير فالميمان بثمانية والحاء بثمانية والدال بأربعة فالجملة عشرون تضرب في مثلها بأربعمائة وقد علمت أن الاستنباط الأول اشتمل على ثلاثة من عقود المئات وعقد واحد من عقود العشرات وهي عقود تامة، فتجعل لأتم المخلوقات وماسواها لمن يليهم في الفضل كالخلفاء والقطب ثم تضرب الأربعمائة الحاصلة من تربيع العشرين في الثلاثمائة وعشرة الحاصلة بالاستنباط الأول يحصل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وأما الخمسة الزائدة على الثلاثمائة وعشرة نجعل منها أربعة إشارة للخلفاء الراشدين وواحداً للقطب الفرد. والله تعالى أعلم.

* **الثالثة**: قال قوم: إن معنى الميم مَحْقُ الكفر بالإسلام أو محو سيآت من اتبعه وقيل الميم مَنٌّ الله على المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم دل عليه قوله تعالى﴿لقد منَّ الله على المؤمنين﴾وقيل الميم منذر ومبشر، وأما الحاء فقيل حكمه بين الخلق بحكم الله تعالى قال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾[1]. وقيل حياة أمته به وأما الميم الثانية فمغفرة الله لأمته وقيل منادي الموحدين، وأما الدال فهو الداعي إلى الله قال تعالى: ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾[2]. فهو دليلهم في الدنيا والأخرة إلى الجنة.

* **الرابعة**: عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة النساء / آية ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب / آية ٤٦.

(يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بما استثاهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة فيقول الله عبدي أدخلا الجنة فإني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد) وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال: (قال الله وعزتي وجلالي لا عذبت أحدا تسمى باسمك في النار) وروي[2] إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر ينادي يوم القيامة يامحمد فيرفع رأسه من اسمه محمد في الموقف فيقول الله أشهدكم أني قد غفرت لكل من اسمه محمد، وعن أبي أمامة[3] أنه قال من ولد له مولود فسماه محمداً تبركاً كان هو ومولوده في الجنة. رواه صاحب الفردوس وقال الشيخ أحمد القسطلاني رحمه الله تعالى روينا عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه . قال: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين وذكر (ابن الحاج)[4] في المدخل عن (الحسن البصري)[5] أن الله تعالى ليوقف العبد بين يديه اسمه أحمد أو محمد فيقول الله تبارك وتعالى ياعبدي أما تستحي تعصيني

---

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) روي عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه. وفي الحديث عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: اللهم صل على محمد، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط، كذا في الترغيب.

(٣) رواه ابن عساكر عن أبي أمامة رفعه قال السيوطي في مختصر الموضوعات هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب واسناده حسن.

(٤) ابن الحاج: الإمام المحدث الثقة، أبو العباس، أحمد بن محمد بن الحاجّ، ابن يحيى الاشبيلي الشاهدُ، نزيل مصر. وكان صاحب معرفةٍ وفهم مات في صفر سنة خمس عشرة وأربع مئة.

(٥) والحسن البصري: هو الحسن بن أبي يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أمُّ الحسن مولاةً لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية ويسار أبوه من سبي ميسان. من البصرة وواسط. ولد الحسن في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة؛ وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه=

وأنت اسمك على اسم حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، فينكس العبد رأسه حياء من الله عز وجل ويقول اللهم إني قد فعلت فيقول الله عز وجل ياجبريل خذ بيدي عبدي وأدخله الجنة فإني أستحي أن أعذب من اسمه على اسم حبيبي. وعن علي ابن موسى الرضا عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: «إذا سميتم محمداً فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولاتقهروه ولاتردوا له قولاً». تعظيماً لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]: «من ولد له ثلاثة من الولد ولم يسم أحداً منهم محمداً فقد جهل». وقال[3] صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: لا أعذب أحداً تسمى باسمك في النار. وعن علي كرم الله وجهه أنه قال ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل منهم اسمه محمد فلم يُدخلوه ألالم يبارك لهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]: «لايدخل الفقر بيتاً فيه اسمي». وقال الشيخ مصطفى البكري نفعنا الله بأسراره ومن فوائد هذا الاسم الكريم أن من قرأه كل ليلة اثنتين وعشرين مرة كثرت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة ففضائل هذا الاسم الكريم لا تحصى. وأعظم من أن تستقصى. نفعنا الله ببركاته آمين.

= يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشر سنة. ومن أقواله الحكيمة: قال: ابن آدم، إنما أنت أيامٌ، كُلما ذهب يومٌ، ذهب بعضك. وكانت وفاته في أول رجب، وكانت جنازته مشهورة.

(١) رواه البزار عن أبي رافع، بلفظ: «إذا سميتم محمداً فلا تضربوه، ولاتحرموه. وهو ضعيف. ورواه الخطيب عن علي بلفظ إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهاً.

(٢) وجدته بلفظٍ آخر فيه ترغيب: «ماضرَّ أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة» رواه ابن سعد من حديث عثمان العمري مرفوعاً.

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس ٦ - ج١٦ / ٤٥٢٢٤ - كنز العمال.

(٤) روي عن مالك سمعت أهل مكة يقولون: «مامن بيت فيه اسم محمد إلا نمى، ورزقوا ورزق جيرانهم».

«السابق للخلق نوره» الخلق مصدر خلق وهو الأصل فيه ويطلق الخلق بمعنى المفعول كثيراً فإن أريد به هنا المعنى المصدري كانت اللام بمعنى في أو عند أي السابق في إيجاد الكائنات أو عند إيجادها نوره ويؤيده حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: سألت رسول الله صلى الله عليه[1] وسلم عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال: «هو نور نبيك ياجابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء حين خلقه أقامه قدّامه في مقام القرب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزينة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشرة ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء خلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنتي عشرة ألف سنة ثم نظر الله عز وجل إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربع آلاف قطرة من النور، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فخلق الله من نور أنفاسهم نور الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والشمس والقمر

---

(١) (أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر ـ الحديث) رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ مشابه. كذا في كشف الخفاء ـ ٨٢٧ .

والكواكب من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً، فأقام الله نوري وهو الجزء الرابع في كل حجابٍ ألف سنةٍ وهي مقامات العبودية وهي حجب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلمّا خرج النور من الحجب ركّبه الله في الأرض فكان يضيء منه ماكان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله من الأرض آدم فركّب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث وكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله ابن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيئين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك ياجابر». انتهى ما قاله الكازروني في سيرته وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[1] أنه قال: قلت يارسول الله مم خلقت فأطرق صلوات الله وسلامه عليه وعليه عرق كالجمان فقال: «ياعلي لمّا عرج بي إلى السماء وكنت من ربي قاب قوسين أو أدنى أوحى إليّ ربي ما أوحى فقلت يارب مم خلقتني فقال يامحمد لما نظرت إلى صفاء بياض نوري خلقته بقدرتي وأبدعته بحكمتي وأضفته تشريفاً له إلى عظمتي استخرجت منه جزءاً فقسّمته ثلاثة أقسام فخلقتك أنت: وأهل بيتك من القسم الأول

(١) جاء في أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مَرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام. وذكر الشبراملسي في هذا المقام أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده، قال وهذا أولى الأجوبة نظير ماذكره البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ حيث قال إضافة إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية انتهى. /أنظر المواهب اللدنية (كشف الخفاء).

وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني وخلقت من أحبكم من القسم الثالث فإذا كان يوم القيامة عاد كل حسب ونسب إلى حسبه ونسبه ورددت ذلك النور إلى نوري فأدخلتك أنت وأهل بيتك وأصحابك ومن أحبهم جنتي فأخبرهم بذلك يامحمد». وقوله كالجمان هو جمع جمانة بالضم فيهما قال الجوهري[1]: الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان.

وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وآدم ونوحاً والأنبياء جميعاً بأربعمائة ألف عام، وخلق معه اثنى عشر حجاباًحجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب القوة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة وحجاب الكبرياء وحجاب الرفعة، ثم جلس نور محمد صلى الله عليه وسلم في حجاب القدرة اثنتي عشرة ألف سنة ولم يزل ينقله من حجاب إلى حجاب إلى أن بلغ إلى حجاب الرفعة، ثم أظهر الله تعالى اسم محمد صلى الله عليه وسلم على اللوح بالنور أربع آلاف سنة، ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبع آلاف سنة، فجعل النور يطوف بالقدرة فإذا بلغ الموضع الذي أمره الله بالسجود فيه سجد فبقي في سجوده مائة سنة وهو يقول سبحان العالم الذي لا يجهل سبحان الحليم الذي لا يعجل سبحان الجواد الذي لا يبخل إلى أن وضعه في صلب آدم عليه السلام. وعن بعضهم أن خلق النور المحمدي كان قبل جميع الأشياء بألف ألف سنة وستمائة ألف وسبعمائة سنة

---

(١) الجوهري: هو إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق. من أعلام رجال الحديث، من أهل بغداد أصله من طبرستان روى عنه أصحاب الكتب الستة عدا البخاري. له «المسند» في الحديث مات مرابطاً بعين زربي (في نواحي الكوفة) توفي سنة ٢٤٢ هـ.

هكذا رواه بعض العارفين والعهدة عليه، ولا مانع من حيث القدرة الإلهية فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ، عليه السلام: كم عمرت من السنين قال والله لا أدري غير أن كوكباً في الحجاب الرابع يظهر في كل سبعين ألف سنة مرة فرأيته اثنتين وسبعين ألف مرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ياجبريل وعزة ربي أنا ذلك الكوكب. فهذا وأشباهه لا يستحيل على قدرة القادر الخلاق ولا يخفى أن هذه الأحاديث دالة على أوليته صلى الله عليه وسلم وأن نوره سابق عند خلق الأشياء قال بعض العارفين: لما كان تعالى كنزاً مخفياً، فأحب أن يعرف توجهت الذات. إلى الأسماء والصفات. فاستوفزت بكمالها. وانتهضت لإظهار جمالها وجلالها. فأظهرت الذات الإلهية. الذات النبوية. وخلعت الأسماء والصفات الربانية الكرامات والكمالات الاصطفائية. فبرزت من ذلك الحقيقة المحمدية. قبل وجود شيء من البرية. كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة المروية. إذ أخبر صلى الله عليه وسلم إن أول ما خلق الله درة بيضاء الحديث، وتلك الدرة هي العقل الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم بقوله[1] أول ما خلق الله العقل الحديث وذلك هو نور محمد صلى الله عليه

---

(١) ذكره في الإحياء، وقال العراقي في تخريج أحاديثه أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم بإسنادين ضعيفين، وقال السخاوي والسيوطي رواه ابن أحمد في زوائد الزهد عن الحسن يرفعه وهو مرسل جيد الإسناد. وقال الحافظ ابن حجر والوارد في أول ماخلق الله حديث أول ماخلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل، وحاول الجمع بينهما البيضاوي في طوالعه بأن قال يشبه أن يكون هو العقل لقوله أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب ـ الحديث ـ فليتأمل، ويمكن أن يقال الأولية فيهما نسبية وقال قبيل ذلك أن العقول عند الحكماء أول المخلوقات وأن العقل عندهم أعظم الملائكة وأول المبدعات. قال القاضي زكريا في شرح آداب البحث روي عن عائشة أنها قالت قلت يارسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال وهل عملوا إلاّ بقدر ماأعطاهم الله من العقل فبقدر ماأعطوا منه كانت أعمالهم وبقدر ماعملوا يجزون. انتهى.

وسلم الذي أخبر عنه فيما رواه جابر رضي الله عنه لما سأله[1] عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال هو نور نبيك ياجابر الحديث وأما إذا جعل الخلق بمعنى المخلوق فاللام على بابها ويكون معنى الكلام اللهم صل على سيدنا محمد الذي سبق نوره للخلق، ولاشك أن كل مخلوق فالسابق له نور النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو الأصل في الإيجاد والإمداد قال صلى الله عليه وسلم: «أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء» قال بعضهم: لما سمحت يد العناية بإنشاء الدوحة الآدميه فرعاً وأصلاً وأبرز لها الطلعة الأحمدية وجعلها للكرامة محلاً وأهلا أنشأ لأجله العالم جزءاً وكلاً فقدم وجوده على وجوده فاستمد من وابل فضله وجوده ولما تعلقت إرادته بخلقه وحكمت مشيئته بتقدير رزقه أصل من الأنوار الصمديه طلعةً مصطفاه وأقامها في الحضرة الأحديه تفضيلاً على ما سواه وفرع عنها العوالم كلياً وجزئياً علوياً وسفلياً طبق تيسيره وحكمه ووفق تقديره وسابق علمه معلماً له برسالته ونبوته وآدم كما قال منجدل في طينته ثم انبجست عنه عيون الأرواح فظهر بالملأ الأعلا وهو بالمنظر الأجلى لذي التهتك والافتضاح فكان لهم مورداً زلالاً وسحراً مستعذباً حلالاً فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس. قال في مطالع المسرات ولولا سبقية نوره صلى الله عليه وسلم للأرواح ما أقرت كلها بالربوبية يوم السبت، وقال بعض العارفين وفي قوله سبحانه لنبيه آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً أدلُّ دليل على أنه الأصل في الإجمال والتفصيل، والواسطة حتى في النقير والفتيل، فسبحان من جعل مددنا من ذلك النور

---

(١) تقدم ذكره. رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله.

العظيم وقوامنا بواسطة النبي الحبيب الكريم فله الحمد على ذلك والثناء الفخيم. وعلى نبيه منه لديه أفضل الصلاة والتسليم وقد قلت:

خلق الله نور كل الوجود فبدأ مشرقاً بفرط الوقود
خلق الله نور طه المعلا من غدا فائزاً بقدرٍ حميد
جعل الله نور خير البرايا عابد أزْمُناً بغير حدود
قائماً في عبادةٍ بخضوعٍ وركوعٍ لربه وسجود
خلق الله منه شمساً وبدراً مع كرسيه وعرشٍ مجيد
وكذاك ملائك ثم حور ذات حسن حلّلن دار الخلود
يالها منة علينا فإنا قد ظفرنا بخير قدرٍ مشيد
وظفرنا بكل خيرٍ عظيمٍ ثم فزنا بخير فضلٍ مديد
حين منَّ الإله عنا ببدر سعده مخجل لسعد السعود
عَطَّر الله نشره في البرايا ثم أبدا أنواره في الوجود
جاءنا رحمة وكنزاً ونوراً فضله شاملٌ لكل العبيد
ربنا زده رفعةً وارتقاءً كل حينٍ بكثرةٍ ومزيد
وأفض عن قلوبنا من سناه واكسنا من بهاه أسنى البرود
وأعنا على التقوى وأنلنا كل سؤل من بحر فضلٍ وجود
واختم العمر بالسعادة واجعل يوم نلقاك فائقاً يوم عيد
واجعل القبر روضة بنعيم نشره فائح كمسكٍ وعود
وأنلنا القصور في دار عدن قد حوت رفعةً وفرط السعود
في جوار النبي خير البرايا من سما قدره بغير جحود
صل يا رب كل حين عليه ماغدا البان مائساً بالقدود
مع أزواجه وآل وصحب من غدوا خير رُكّعٍ وسجود

* والرحمة * بالتعريف وإثبات الواو في أكثر نسخ حزب الشيخ رضي الله عنه وفي بعض نسخه المعتمدة بالتنكير مع إثبات الواو وعند السخاوي بالتعريف وإثبات الواو وفي جميع نسخ دلائل الخيرات بالتنكير وإثبات واو العطف، إلا أنه في بعضها بالجر وفي بعضها بالرفع وهو الذي في نسختين مقابلتين بالنسخة السهلية وهي النسخة التي صححها الشيخ الجزولي ، وكتب على ظهرها وفي حواشيها وهي منسوبة لكبير تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد الصغير السهلي رضي الله عنهما وكتبت قبل وفاة المؤلف بثماني سنين، إذ ذكر كاتبها أنه أكملها ضحى يوم الجمعة سادس ربيع الأول عام اثنين وستين وثمانمائة والشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي توفي رحمه الله سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمائة. أما التعريف فهو الظاهر لأنه لابد من موافقة النعت للمنعوت تعريفاً وتنكيراً وأما واو العطف فلأجل عطف النعت الثاني على الأول ولا شك أن النعوت يجوز فيها ذلك كما هو مقرر في محله وأما التنكير فلا يتجه إلا مع الرفع فيكون ظهوره مبتدأ ورحمةً خبره والجملة صلة لموصول محذوف وذلك جائز على مذهب الكوفيين والبغداديين والأخفش قال ابن مالك في التسهيل وقد يحذف ماعلم من موصول غير الألف واللام فيكون التقدير والذي ظهوره رحمة (للعالمين) اسم جمع لعالم قال الجوهري: العالم الخلق والجمع العوالم والعالمون أصناف الخلق وعبارته قاضية بأن العالمين ليس جمعاً لعالم وهو كذلك لأن العالم عام في العقلاء وغيرهم إذ هو كل نوع أو جنس فيه علامة يمتاز بها عن سائر الأنواع والأجناس، فيقال في الأنواع عالم الإنسان وعالم الطير وعالم الخيل، ويقال في الأجناس عالم الحيوان وعالم الأجسام وعالم النبات والعالمون مختص بالعقلاء والخاص لايكون جمعاً لما هو أعم منه وإلى هذا ذهب ابن مالك وابن هشام وذهب كثير من النحويين إلى أنه جمع عالم، ثم اختلفوا في تفسير العالم الذي

جمعداری اموال

جمع هذا الجمع فذهب بعضهم إلى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ما يقتضيه كلام الجوهري وذهب بعضهم إلى أنه أصناف العقلاء فقط وهم الإنس والجن والملائكة قال في مطالع المسرات والعالمون جمع عالم على الصحيح ولا يجمع فاعل بالواو والنون غيره وهو ما نصب علماً على العالم بصانعه، ولمّا كان كل نوع مستقلاً بالدلالة على موجوده تعددت العوالم وسمي كل نوع عالماً، وجمع فقيل عالمون لأنه يقال عالم الحيوان وعالم الإنس وعالم الجن وعالم الملائكة وعالم النبات وغير ذلك وجمع بالواو والنون تغليباً للعقلاء كالإنسان والملك ولأنه الأصل فيهم وغيرهم تطفل عليهم. وعلى هذا القول يكون جمع تصحيح لم يستوف الشروط لأنه ليس بعلم ولا صفة.

* واعلم * أن ما تقدم من التعميم في مسمى العالم هو التحقيق وأما تخصيصه بذوي الروح أو بالإنس أو بالثقلين والملائكة أو بالثلاثة مع الشياطين أو بأهل الجنة والنار أو بالروحانيين فيحتاج الى دليل، وقد نقل عن المتقدمين أعداد مختلفة في العوالم قال مقاتل[1]: هي ثمانون ألف عالم نصفها في البر ونصفها في البحر، وقال الضحاك: هي ثلاثمائة وستون عالماً ثلاثمائة عالم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم وستون عالماً مكسوون يعرفونه وقال ابن المسيب[2]: لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال ابن منبه ثمانية عشر ألف عالم وما العمران منها في الخراب إلا كسباط في صحراء وقال كعب الأحبار لا يحصى عدد العالمين أحد غير الله تعالى ﴿وما يعلم[3] جنود ربك إلا

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن من أعلام المفسرين. دخل بغداد وحدث بها. توفي في البصرة كان متروك الحديث. من كتبه (الناسخ والمنسوخ) و(الوجوه والنظائر).

(٢) ابن المسيب: الإمام شيخ الإسلام فقيه المدينة أبو محمد المخزومي أجلّ التابعين. كان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة قوالاً بالحق فقيه النفس. قال عنه ابن عمر (هو والله) أحد المفتين. وكان ابن المسيب أعلم الناس بقضاء عمر وعثمان. توفي سنة أربع وتسعين.

(٣) سورة المدثر / آية ٣١.

هو﴾وهذا يقرب مما ذكره الشيخ أبو إسحاق[1] إبراهيم الأندلسي في حواشي شرح مقدمات. العلامة السنوسي عن الشيخ أحمد ابن عبد الرحمن بن كوار: أنه سئل عن شيء من قدرة الله تعالى ومخلوقاته، فقال إن لله تعالى في السماء بحراً من رمل يجري كالريح العاصف منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم القيامة ولا يدري من أين ولا إلى أين ولله سبحانه بعدد كل ذرة فيه دنيا مثل دنياكم هذه، وما من ساعة تمضي من ليل ولا نهار إلا ولله سبحانه قيامة تقوم على قوم وميزان ينصب وصراط يمد وقوم يدخلون الجنة وقوم يدخلون النار. زاد في بعض الروايات وهما غير الجنة والنار المعهودتين «فائدة» قال الشيخ مصطفى البكري قدس سره: أخبرني بعض المكاشفين أن لله تعالى عالماً فيه قويٌ هذا العالمِ ضَعيفٌ وضعيفهُ قويٌ، فالنعجةُ فيه تغلبُ الذئبَ والأرنبُ تغلب الأسد وهلم جراً، فسبحان الواسع العليم النافذ أمره «ظهوره» أي ظهور روحه وخروجه من العدم إلى الوجود ثم ظهور جسده كل ذلك رحمة للعالمين قال بعض العارفين: أن الله تبارك وتعالى جلّ ذكره وتقدست أسماؤه لما أراد أن يتعرف إلى خلقه وأن يعمهم بجزيل نعمته واقتضى فضله العظيم أن يمن على العباد بالمعرفة وأن يفيض عليهم من بحار رحمته. وعلم تعالى عجز عقول جميعهم عن التلقي من ربوبيته. جعل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين خليقته. وجعل لهم الاستعداد لقبول مايرد عليهم من إلهيته. يتلقونه منه بما أودعه فيهم من سر خصوصيته. ويلقونه عنه بأمره لعباده جمعاً لهم على أحديته. والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام برازخ الأنوار. ومعادن الأسرار. قد حرس الله تعالى ظواهرهم. وبواطنهم في الأزل عن رق

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي: هو إبراهيم بن جعفر المُكنّى بأبي إسحاق اشتهر بالتضلع بالفقه وهو عالم مشهور تقي ورع.

الأغيار. وصانهم بعنايته قبل وجودهم عن التعلق بالآثار. وجعلهم رحمة للخلائق وهداه. ومنة للعوالم معطاه. وجعلهم خيار من والاه. وأقرب من أحبه وأدناه. يلقي الروح من أمره عليهم. ويواصل الأمداد بالتأييد إليهم. فهم لذلك نجوم الهدى وبدور العلم وشموس المعارف الاقتدا. ومازال أمر النبوة والرسالة دائراً حتى عاد الأمر من حيث بدأ. وختم بمن جعله الله رحمةً وهدىً. وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم السيد الكامل الفاتح الخاتم نور الأنوار وسر الأسرار. المبجَّل في هذه الدار ودار القرار. فهو أعلا المخلوقين مناراً. وأعظمهم فضلاً وأتمهم فخاراً. دل على ذلك الكتاب المبين. قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1]. ومن رحم به غيره فهو أفضل من غيره والعالم كل موجود سوى الله تبارك وتعالى فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الرحمة وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة كما ذكره سيدنا الشيخ أبو العباس المرسي الشاذلي رضي الله عنه وقال القاضي[2] عياض في الشفاء قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾. قال أبو بكر[3] بن طاهر رحمه الله تعالى ورضي عنه فقد زين الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء منها فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله يقول: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾. فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام : «حياتي خير لكم وموتي خير لكم».[4] وقال : «إذا أراد الله رحمة

(١) سورة الأنبياء / آية ١٠٧ .

(٢) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. ولد في سبته وولي قضائها ثم قضاء غرناطة. توفي بمراكش مسموماً من تصانيفه الشفاء و(شرح صحيح مسلم).

(١) هو أبو بكر بن طاهر بن مغوّر المفاخري الشاطبي ـ عالم ورع، مات قرب سنة ٣٣٠ هـ.

(٣) رواه الديلمي عن أنس وعزاه في الجامع الصغير للحارث عن أنس /١١٧٨/ كشف الخفاء ـ كنز=

بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً»[1]. وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة (وحكي) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله علي بقوله تعالى : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾[2]. وقال الشيخ سيدي عبد الجليل القصري في كلامه على قوله تعالى﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3] فهو صلى الله عليه وسلم المرحوم به العالم بنص هذه الآية وإن كل خير ونور وبركة شاعت وظهرت في الوجود أو تظهر من أول الإيجاد إلى آخره إنما ذلك بسببه صلى الله عليه وسلم وقال في مطالع المسرات عند كلامه على رسول الرحمة قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾. وقال تعالى: ﴿ بالمؤمنين رؤفٌ رحيم ﴾[4]. وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة»[5]. وقال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»[6] فبعثه الله تعالى رحمةً لأمته ورحمة للعالمين حتى للكفار بتأخير العذاب والمنافقين بالأمان فمن اتبعه رحم به في الدنيا بنجاته فيها من العذاب المخلد والخزي المؤبد وبتعجيل الحساب

= العمال /ج١١/ ٣١٩٠٤ ، ج١٢/ ٣٥٤٧٠ .

(١) الفرط: هو الذي يتقدم الواردين ليهيء لهم مايحتاجون إليه عند نزولهم في منازلهم.

(٢) سورة التكوير / آية ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ / ١٠٧ .

(٤) سورة التوبة / آية ٢١٨ .

(٥) أخرجه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً والحاكم عن أبي هريرة وهو صحيح. /٢٥٨٣/ الجامع الصغير.

(٦) رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة، وكذا في الأدب المفرد عنه بلفظ إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة. /٦٣٧/ كشف الخفاء ـ الجامع الصغير /٢٥٨٥/ وهو صحيح.

ويتضعيف الثواب وحصوله على الخير الكثير والملك الكبير، وقال في مفتاح الرحمة أنه ما رحم أحد في الدنيا ديناً أو دنيا، ظاهراً أو باطناً، ولا يرحم في الآخرة إلا على يديه وبما خرج من عنده ومتابعته صلى الله عليه وسلم. «عدد» العدد الكمية المنفصلة وهو ما تألف من الآحاد قال الجوهري: عددت الشيء عدّاً أحصيته والاسم العدد والعديد يقال هم عديد الحصى والثرى في الكثرة وهو منصوب على النيابة عن المصدر النوعي أي صلاة قدر عدد «من مضى» أي ذهب قال الجوهري مضى الشيءمضياً ذهب ومضى في الأمر مضاء نفذ. «من خلقك» أي مخلوقاتك بيان لمن، ويحتمل أن يراد بالخلق العقلاء لأن من موضوعة للعالم، ويحتمل أن يراد العقلاء وغيرهم إذ لفظ من يطلق على غير العاقل إذا اجتمع مع العاقل كقوله تعالى: ﴿ كمن لا يخلق ﴾[1] فإنه شامل للآدميين والملائكة والأصنام فإن الجميع لا يخلقون شيئاً وهذان الإحتمالان يجريان أيضاً في قوله «ومن بقي» أي كان في الحال أو يكون في الاستقبال. «ومن سعد منهم ومن شقي» قال الجوهري والسعادة خلاف الشقاوة تقول منه سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود، وقرأ الكسائي[2] وأما الذين سعدوا وأسعدوا وأسعده الله فهو مسعود، ولا يقال مسعد كأنهم استغنوا عنه بمسعود وقال أيضاً الشقاوة بالفتح نقيض السعادة، وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر وهي لغة وإنما جاء بالواو لأنه بني على التأنيث في أول أحواله وكذلك النهاية فلم تكن الواو والياء حرفي إعراب ولو بني على التذكير لكان مهموزاً، كقولهم غطاءةً وعباءةً وملاءةً وهذا أُعل قبل دخول الهاء تقول شقي الرجل انقلبت الواو ياء لكسر

(١) سورة النمل / آية ١٧ .

(٢) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة ولد في احدى قراها. وتوفي بالري. له تصانيف منها (معاني القرآن).

ما قبلها ويشقى في المضارع انقلبت ألفاً لفتح ما قبلها ثم تقول يشقيان ليكون كالماضي، وأشقاه الله فهو شقي بين الشقوة بالكسر وفتحه لغة. قال في نوادر الأصول: السعادة اندساس العبد إلى الله والشقاوة فراقه منه. قال بعضهم السعادة عبارة عن ارتفاع الموانع الشاغلة عن الله الحاجبة عنه والشقاوة هي حجب الطالب عن قصده ومنعه من الوصول إلى متمناه.

* واعلم * أن الأشاعرة[1] والماتريدية اختلفوا في تفسير السعادة والشقاوة، فقالت الأشعرية: السعادة الممات على الإسلام ضد الشقاوة وهما أزليتان فلا يتبدلان، وقالت الماتريدية السعادة الإسلام والشقاوة الكفر فيتبدلان إذاً الكافر قد يسلم والمسلم قد يرتد، والخلاف لفظي والكلام في ولي الله وعدو الله كالكلام في السعيد والشقي، ومن فروع هذه المسألة مسألة الاستثناء في الإيمان، فعلى مذهب الأشاعرة يصح أنا مؤمن إن شاء الله وعند الماتريدية لا يصح لأن الإيمان حاصل الآن محقق لانزاع فيه فلا معنى لتعليقه بالمشيئةوالخلاف لفظي لأنه إن أريد به مجرد الحصول فهو حاصل في الحال وإن أريد به ما يترتب عليه النجاة فهو في مشيئة الله ولا قطع لحصوله في الحال فمن قطع أراد الأول ومن فوض أراد الثاني.

* واعلم * أن الياء في من بقي ومن شقي يجوز تسكينها تخفيفاً، إذ تسكين الياء المفتوحة مشهور وعلى ذلك قرأ الحسن ﴿ وذروا ما بقي من الربا ﴾[2] الآية وقراءة الأعمش: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾[3] بتسكين الياء فيهما وصلاً، هذا وقد اختلف فيمن صلى على

---

(١) الأشاعرة: أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما. مولده سنة ستين ومئتين. مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مئة.

(٢) سورة البقرة / آية ٢٧٨ .

(٣) سورة طـه / آية ١١٥ .

النبي صلى الله عليه وسلم هكذا بأن يقول اللهم صل على محمد عدد كذا هل يحصل له ثواب من صلى ذلك العدد أم لا، فقيل له عدد ثواب من صلى ذلك حقيقة وقيل يلغى العدد وقيل يحصل له ثواب أكثر ممن صلى مرة واحدة لا ثواب من صلى ذلك العدد قال العلامة الأبيّ في شرح مسلم وانظر لو قال: اللهم صل على محمد عدد كذا هل يثاب بعدد صلوات لو صدرت تبلغ تلك الأعداد، وكان الشيخ يعني ابن عرفة يقول له من الثواب أكثر ممن صلى واحدة لا ثواب من صلى تلك الأعداد قال ويشهد له خبر من قال سبحان الله عدد خلقه من حيث دلالته على أن للتسبيح بهذا اللفظ له مزية وإلا لم يكن له فائدة. وقال ابن التلمساني: أن المصلي بمثل ذلك يحصل له ثواب من صلى تلك الأعداد وهل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف وهو الأولى بالكرم أو إنما يكتب له دون تضعيف وهو الظاهر في الاعتبار وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده وفي تحصيل مثل الذكر الجامع لذلك القدر الذي دل عليه لفظه مع تضعيفه أو دونه أو لغوه أقوال وصحح بلا تضعيف، وقال في شرحه على الحكم قال في تاج العروس من قصر عمره فليذكر الأذكار الجامعة مثل سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ونحو ذلك ليستدرك ما فاته بذلك، إذ قد صح أن له أعظم من ثواب من أفرد وإن اختلف هل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف وهو الأولى بالكرم أو إنما يكتب له دون تضعيف وهو الظاهر في الاعتبار، وقد يقال إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فالذي يمنعه العجز والضرر ليس كالذي يمنعه الشغل والعمل والذي يمنعه ذلك ليس كالمؤثر لذلك على نعت الغفلة المجردة فاعرف ذلك. (قلت) والحديث الذي أشار إليه الأبيّ عن النبي صلى الله عليه وسلم[1]: «أنه قال لجويرية وقد

(١) رواه الخمسة إلاّ البخاري. وجويرية هذه كان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم بجويرية تصغير جارية بنت الحارث زوجة النبي صلى الله عليه وسلم.

خرج من عندها بكرة حين صلت الصبح وهي تسبح ثم رجع وهي جالسة بعد أن أضحى قال ما زلت على حالتك التي فارقتك عليها قالت نعم قال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهم سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته». وهذا مثل الحديث المروي عن سفيان ابن أبي وقاص رضي الله عنه[1]: «أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل على امرأة[2] وبين يديها نوى وحصى تسبح به فقال أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل منه ثواباً فقال: قولي سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والحمد لله مثل ذلك. والله أكبر مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك يغفر الله لك». فهذا دليل وأي دليل وبرهان بإثبات المرام كفيل. (صلاة تستغرق) أي تستوعب. (العد) أي الإحصاء ويحتمل أن المراد نهاية دون العدد وهو المائة والألف أو نهاية ما يدخل تحت طوق البشر أو يتوهمه العقل من العد والمقصود بهذا التعبير الكثرة وإلا فيما يتوهمه العقل لا يتناهى، فلا يمكن استغراق الصلاة له. (وتحيط) أي تحدق. (بالحد) هو منتهى الشيء والمراد حد العدد ومنتهاه أو حد ما يمكن من الصلاة. (فإن قلت) لايمكن حمل هذا الكلام على ظاهره وإلا لزم نفاذ متعلق القدرة. (قلت) لك في تأويله وجهان أحدهما أن يراد بالحد منتهى الصلوات التي صلّاها الله تعالى على أنبيائه وملائكته وسائر أهل اختصاصه، فيكون المقصود صلاة تستوعب عدد الصلوات البارزة للوجود ثانيهما أن يقال أن هذا الكلام خرج مخرج المبالغة في كثرة الصلوات كما تقول أعطى الملك لفلان كل شيء أو أنعم عليه

---

(١) رواه أصحاب السنن.

(٢) امرأة من محارمه أو زوجاته الطاهرات رضي الله عنهن، وأمامها نوى تمر أو حصى تسبح به أي تعد عليه التسبيح.

بإنعام فوق الحد أي هو في نعمةٍ وافرة بحيث لا يبقى له تشوف إلى غيرها أو بحيث يظن أنه لا نعمة فوقها لعظمها أو ملئها لعين الناظر. (صلاةً لا غاية لها) غاية الشيء مداه وجمعه غاي مثل ساعة وساع. (ولا منتهى) أي لا انتهاء ولا فراغ لها. (ولا انقضاء) أي لا تمام ولا نفاد لها بل هي متجددة متتابعة إلى غير نهاية. (صلاةً دائمةً بدوامك). أي باقية ببقائك، ولما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم[1]: «أنه قال لا تصلوا علي الصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء يارسول الله قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قال: (وعلى آله) قال الجوهري: آل الرجل أهله وعياله وآله أيضاً أتباعه واختلف في تعيين آله صلى الله عليه وسلم على أقوال، فعند الشافعي ومالك رضي الله عنهما مؤمنو بني هاشم والمطلب، ومذهب أبي حنيفة آل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر وآل حرث ابن عبد المطلب ثلاث عينات وجيم وجاء قال الحموي: وقد اختلف العلماء في معنى الآل على خمسة أقوال أحدها أهل ملته ودينه من جميع أمته الأتقياء وغيرهم والثاني الأتقياء من أمته لقوله عليه الصلاة[2] والسلام: (آلي كل مؤمن تقي) واختاره الأكثرون سواء كان قرابة أو غيرها والثالث عترته وأهل بيته معاً والرابع عترته فقط والخامس بنو هاشم وبنو عبد

---

(١) وصلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد. إلى آخر الحديث. (أخرجه أحمد بن حنبل والنسائي وابن سعد وسمويه والبغوي والبارودي وابن قانع والطبراني عن زيد بن خارجة). كذا في كنز العمال /٢١٦٩/.

(٢) رواه الديلمي وتمّام بأسانيد ضعيفة. فلفظ تمّام عن أنس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من أمة محمد ولفظ الديلمي آل محمد كل تقي ثم قرأ (إنْ أولياؤه إلّا المتقون) ولكن شواهده كثيرة منها مافي الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالحو المؤمنين وقال الشيخ محمد الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة هو حسن لغيره انتهى. كشف الخفاء /١٧/.

المطلب كما هو مذهب الشافعي، واختار بعض المتأخرين قولاً مفصلاً وهو أن آله من جهة النسب آل علي وعباس وجعفر وعقيل وحرث ابن عبد الله المطلب، ومن جهة السبب كل مؤمن تقي أو كل من آمن به مطلقاً، واشتقاق الآل من آل يئول إذا رجع إليك بقرابةٍ ونحوها وأصله أول تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، وقيل أصله أهل قلبت الهاء همزة والهمزة ألفا والأصح إنهما مادتان مستقلتان ولا يضاف الآل إلا لذي شرف من العقلاء الذكور، فلا يقال آل الإسكاف وأما آل فرعون فباعتبار شرف الدنيا ولا آل مكة ولا آل فاطمة، وعن الأخفش جواز آل البصرة والمدينة والصحيح جواز إضافته إلى الضمير كما هنا.

* (فائدة) قال في المواهب اللدنية واعلم أنه قد اشتهر أربعة ألفاظ يوصفون بها الأول آله عليه الصلاة والسلام والثاني أهل بيته، والثالث ذوي القربى والرابع عترته فأما الأول فذهب إلى أنه أهل بيته، وقال آخرون الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا منها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه، وأما أهل بيته فقيل من ناسبه إلى جده الأدنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب أو سبب، وأما ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[1] قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وأبنائهما وأما عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فأما العشيرة فهي الأهل الأدنون وأما الذرية فنسل الرجل وأولاد بنت الرجل وذريته ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ومن ذريته داود إلى قوله وعيسى ﴾[2] ولم يتصل عيسى بإبراهيم إلا من جهة أمه مريم. وردّ ابن عرفة الاستدلال على ماذكر بالآية بأن ما ثبت فيمن لا أب له لايلزم ثبوته فيمن له أب (قلت) ولهذا اختلفوا في الشرف من جهة

---

(١) سورة الشورى / آية ٢٣.

(٢) سورة الأنعام / آية ٨٤.

الأم ولقد سئل أبو السعود[1] أفندي رحمه الله تعالى عن ثبوت الشرف من جهة الأم هل هو صحيح أم لا وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الأب أم لا وهل لمن شرفه من جهة الأم أن يضع العلامة التي يتميز بها عن العامة أم لا وما دليله وما تعليله افتونا مأجورين. فأجاب رحمه الله عن ذلك بما نصه نعم ثبوت الشرف من جهة الأم صحيح معتد به شرعاً واجب قبوله شرعاً وعرفاً، فإن ثبت لامرأة أنها شريفةً صحيحة النسب كان أولادها لبطنها ذكوراً أو إناثاً أشرافاً ثابتاً شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم، وإن كانوا أرقاء أو عتقاء لا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السيادة ما ثبت لها وتعين تمييزهم على غيرهم ممن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفاً من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة، فمن كان أمه شريفة ثبت الشرف له ولأولاده ونسله وعقبه وانتظم في سلك الأشراف والأدلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الإشارة إلى بعضها، وهو أن جميع الأشراف الموجودين الآن في مشارق الأرض ومغاربها إنما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين الحسن والحسين وهما إنما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها لا من جهة سيدنا علي وإلا كان أولاده من غيرها كابن الحنفية أشرافاً، فليس خفياً أن علماءنا جعلوا في ذلك قياساً منطقياً من الضرب الأول من الشكل الأول مركباً من صغرى وكبرى وبيان صغراه من عشرة أوجه وأما كبراه فلم تحتج إلى بيان وتحرير نظمه أن الولد بضعة من الأم والأم بضعة من أبيها، فكيف لا يثبت له ما ثبت لها ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين وقد أفردت هذه المسألة بالتصنيف وحظيتها بالتأليف وفيه كفاية. وأجاب الشيخ[2] حسن

(١) أبو السعود: عبد الله عبد الله بن أبي السعود: ولد في دهشور نظم الشعر وعين قاضياً في محكمة الاستئناف وتوفي بالقاهرة. له كتب (ديوان شعر) و(منحة أهل العصر).

(٢) الشيخ حسن الشرنبلالي: حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري: فقيه حنفي، مكثر من=

الشرنبلالي بما نصه: «الحمد لله مانح الصواب نعم من له أم شريفة هو شريف بشرف أمه وانتسابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك شرفاً، فهو واجب القبول شرعاً وعرفاً ولا يمنع ذلك ثبوت نسبه إلى أبيه الذي ليس له صفة الأم ومن لا يعلم نسبه إلا بعلامة الأشراف فليلبسها صيانة لمقامه واحتراماً لنسبه وتعظيماً لنسبه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن المقرر أن جميع الأشراف إنما حصل لهم الشرف من جهة فاطمة الزهراء رضي الله عنها حتى إن إخوة أولادها من أبيهم لم يحصل لهم ذلك الشرف كابن الحنفية رضي الله عنه». «واعلم» أن تعميم الأشراف بالعمامة الخضراء ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ولا كانت في الزمان القديم وإنما حدثت في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره فمن ذلك قول أبي عبد الله بن جابر الأندلسي:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في وسيم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخضر

* وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضراء بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصصهم بها ... شرفاً ليعرفهم من الأطراف

قال بعضهم ولبس هذه العلامة بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره، لأنها ليست أمراً شرعياً لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة

= التصنيف نسبته إلى شبرى بلولة (بالمنوفية) في الأزهر وأصبح المعول عليه في الفتوى. من كتبه (نور الإيضاح) و(مراقي الفلاح). توفي في القاهرة.

(قلت) ومقتضى كلام أبي السعود أن لبسها مطلوب لتمييز الشريف عن غيره خوف الانتقاص وعدم الاحترام بين العامة لأن الشريف قد يُجهل ولأن الأنساب لا يلزم أن تكون مشهورة بين العامة.

* واعلم * أن أولاده صلى الله عليه وسلم. القاسم. وإبراهيم. وعبد الله. ويقال له الطاهر والطيب. ثلاثة أسماء لولد واحد على الصحيح. وزينب. ورقية. وأم كلثوم. بضم الكاف والمثلثة. وفاطمة رضي الله عنهم وكلهم من خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية سريته صلى الله عليه وسلم، فأما الذكور فماتوا صغاراً القاسم وعبد الله ماتا بمكة وإبراهيم مات بالمدينة قدس الله أرواحهم وأما الإناث فتزوجن كلهن فأما زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاصي ابن الربيع ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له علياً وأمامة وأميمة، وأما رقية فتزوجها سيدنا عثمان بن عفان فولدت له عبد الله، ثم ماتت فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم ولهذا سمي ذا النورين فلم تلد له. وأما فاطمة فتزوجها سيدنا علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين ومحسناً. وأم كلثوم. وزينب. ورقية وماتت البنات الثلاثة الأول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعقب واحدة منهن وإنما أعقب صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة فقط رضوان الله عليهم أجمعين قال الشيخ سالم السنهوري[1] وأول أولاده صلى عليه وسلم مطلقاً القاسم، ثم تليه زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم إبراهيم، وقيل أم كلثوم أكبر من فاطمة ورجحه ابن عبد البر. وقال بعض العارفين وإنما ماتت أبناؤه صلى الله عليه

---

(١) الشيخ سالم السنهوري: سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين السنهوري المصري: فقيه. كان مفتي المالكية. ولد بسنهور وتعلم في القاهرة، وتوفي بها. له من الكتب: (حاشية على مختصر الشيخ خليل).

وسلم قبل البلوغ لأنهم لو عاشوا بعد البلوغ إما أن ينبئوا فينا في أخبار الله حيث وصف أباهم صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم النبيئين وإن لم ينبئوا كان من نبيء من أولاد الأنبياء الذين هم دون أبيهم شرفاً أشرف منهم وفيه كسر لقلوبهم. (وأزواجه) صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهن بلا خلاف إحدى عشرة. خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وهي أولهنَّ ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم سودة بنت زمعة القرشية العامرية، ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية ولم يتزوج بِكراً غيرها، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية، ثم زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية وماتت في حياته صلى الله وسلم مثل خديجة وكانت تسمى بأم المساكين لرحمتها بهم. ثم أم سلمة وهي هند بنت أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، ثم زينب بنت جحش الأسدية أسد خزيمة، ثم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية، ثم صفية بنت حي ابن أخطب الإسرائيلية النضرية من سبط هارون بن عمران عليه السلام، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية وقد عقد صلى الله عليه وسلم على نساء غير هؤلاء لكن لم يبن في المشهور من أقاويل العلماء بواحدة منهن وأما سراريه صلى الله عليه وسلم، فقيل إنهن أربع مارية بتخفيف الياء أم إبراهيم ابنه صلى الله عليه وسلم وريحانة القرضية، وقيل إنها زوجة نكحها بعد جويرية وجميلة التي أصابها في بعض السبي وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عن جميعهن مات منهن في حياته صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة وريحانة ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع أفضلهن بعد خديجة عائشة الصديقة رضي الله عنهن وأولهن لحوقاً به بعد موته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وآخرهن موتاً أم سلمة، وكانت مهور سائرهن أربعمائة إلا أم حبيبة بنت سفيان فقيل أنه أصدقها أربعة آلاف درهم. «وأما نسبه الشريف» صلى الله عليه وسلم فهو أبو

القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويقال له شيبة الحمد لأنه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء وكانت ترى في ذوأبته، وكنيته أبو الحارث وقيل أبو البطحاء بن هاشم واسمه عمر ولقب بذلك لأنه أول من هشم الترید لقومه وكان من أحسن الناس وأجلهم، وكان النور في وجهه كالهلال يتوقد لا يراه أحد إلا أحبه وأقبل نحوه ابن عبد مناف واسمه المغيرة ولقب بذلك لطوله، وكان يقال له قمر البطحاء ابن قصي مصغر قصي بفتح القاف وكسر الصاد وتشديد الياء ثم بعد التصغير حذفت إحدى اليآآت ولقب بذلك لبعده عن عشيرته إذ احتملته أمه فاطمة بنت سعد من مكة بعد موت أبيه لقضاعة واسمه زيد وقيل يزيد بن كلاب بكسر الكاف وتخفيف اللام لقب بذلك لأنه كان أكثر صيده بالكلاب، واسمه حكيم بن مرة بضم الميم وتشديد الراء ابن كعب واسمه زيد ابن لؤي بضم اللام وبالهمزة وسهل ابن غالب بن فهر بكسر الفاء وسكون الهاء ابن ملك بحذف الألف منه خطأ لأنه علم ابن النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة لقب به لنضارة وجهه أي حسنه، واسمه قيس ابن كنانة بكسر الكاف سمي بذلك لأنه كان ستراً على قومه كالكنانة أي الجمعة الساترة للسهام وكان عظيم البركة عندهم، ابن خزيمة مُصغرِ ابن مدركة بضم أوله وكسر الراء واسمه عمرو ابن إلياس بكسر الهمزة على الصحيح الأشهر وقيل بفتح الهمزة ابن مُضر بفتح الضاد وضم الميم معدول عن ماض، واسمه عمرو بن نزار بكسر النون مشتق من النزر وهو القليل سمي به لأن أباه حين ولد له ونظر إلى النور الذي بين عينيه وهو نور النبوة فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم وقال إن هذا كله نزر في حق المولود، فسمي نزار لذلك ابن مَعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال الأكثر في معد وقريش وثقيف الصرف والتذكير ابن عدنان هذا هو المتفق عليه وكان صلى الله عليه وسلم إذا انتسب لا يجاوزه وفيما بعده إلى آدم

خلاف كثير. (وأما نسب أمه) صلى الله عليه وسلم فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف وهو غير عبد مناف المتقدم بن زهرة بضم الزاي وسكون الهاء وأما النجم فبضم الزاي وفتح الهاء قاله الجوهري ابن كلاب المتقدم تزوجها عبد الله بن عبد المطلب وكان يرى فيه نور النبوة حتى انتقل إليه في رجب، وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي وهو حمل على الصحيح، وولد صلى الله عليه وسلم بعد أبيه بمكة عام الفيل في ربيع الأول يوم الاثنين، وولد مختوناًمسروراً ساجداً رافعاً طرفه إلى السماء، وأرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية ولبث عندها حتى شق صدره، فردته إلى أمه في الأربع سنين أو بعدها فافتصلته ثم خرجت به أمه إلى المدينة تزور أخواله وكانت أم أيمن بركة الحبشية وهي أمَة أبيه تحضنه مع أمه، ثم رجعت به إلى مكة فمرضت في الطريق وماتت بالأبواء قريباً من مكة ودفنت هناك، وله من العمر ست سنين فحملته أم أيمن حتى أوصلته لجده عبد المطلب بمكة، فكفله إلى أن مات وأوصى به إلى عمه أبي طالب لأنه شقيق لأبيه فضمه إليه ورباه إلى أن بلغ اثنتي عشرة سنةً أو قريباً منها، فخرج به أبو طالب في تجارةٍ إلى الشام وكانت نشأته مباركة ميمونة «وحالته حسنة مصونة» من أمر الجاهلية وكان يدعى فيما بينهم بالأمين الصادق، ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة خرج إلى الشام مرة أخرى في تجارة خديجة مع غلامها ميسرة، ورأى ميسرة في سفره هذا منه العجائب وما خص به صلى الله عليه وسلم من المواهب فأخبر خديجة بما رآه من ذلك وربحوا في تجارتهم فرغبت في تزويجه وخطبته من نفسها وذكرت ذلك لأعمامه فتزوجها صلى الله عليه وسلم عقب صفر، ولها يومئذٍ أربعون سنة وأقامت معه صلى الله عليه وسلم أربعاًوعشرين سنة خمس عشرة قبل الوحي وتسعاً بعده، وكانت تحبه وتعينه بمالها وتصدقه فيما يقوله حتى كانت أول النساء إيماناً به وتصديقاً لخبره

بالوحي الإلهي، ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه في وضع الحجر الأسود حين تنازعهم فيمن يرفعه، ولمّا بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة - بعثه الله للناس كافة بشيراً ونذيراً وأول ما أنزل عليه من القرآن: ﴿ إقرأ باسم[1] ربك إلى مالم يعلم ﴾. وهو بغار حراء أعلمه به جبريل مشاهدة، وكان قبله يسمع الصوت ولا يرى الشخص وربما أتاه في النوم تأنيساً له وكان ذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول وكان يدعو لله مستخفياً ثلاث سنين، ثم نزل في السنة الرابعة من النبوة قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر[2] وأعرض عن المشركين ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك[3] الأقربين ﴾. فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء إلى الله وصدع بأمر الله ودعا إلى دينه القويم، فاستجاب له من شاء الله هدايته إلى الصراط المستقيم ولما اشتد الأذى بالمؤمنين من المشركين أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى أرض الحبشة، فهاجر منهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من خرج فاراً بدينه ومعه زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في السنة الخامسة ثم تتابعوا إلى أن بلغوا اثنين وثمانين رجلاً أو ثلاثاً وثمانين وثماني عشرة امرأة وأقاموا عند النجاشي ملك الحبشة على أحسن حال، وكلمه قريش فيهم وأرسلوا له هدية ليردهم إليهم فأبى وغضب لذلك ورد عليهم هديتهم، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً وحُصر صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بشعب أبي طالب ثلاث سنين وخرجوا من الحصار وله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة،

---

(١) سورة العلق / آية ١ .

(٢) سورة الحجر / آية ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء / آية ٢١٤ .

وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب ثم ماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة إلى المدينة فخرجوا إليها أرسالاً متسلسلين ونزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم ونصروهم وواسوهم وأسري به صلى الله عليه وسلم على رأس الخمسين وهاجر إلى المدينة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول وسنه إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي وهو على دين الكفر ودخلها يوم الإثنين، فأشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وسرى السرور بحلوله بها وزال عنها الوباء والحمى وكانت أكثر بلاد الله وباءً، وخلف علياً بمكة لأداء الودائع التي كانت عنده صلى الله عليه وسلم فأداها إلى أهلها ولحق به، ونزل رسول صلى الله عليه وسلم بدار أبي أيوب وبنى مسجده هناك وجعل عمده من جذوع النخل وكان ينقل معهم الحجارة في بنائه تنشيطاً لهم، ثم بنى مساكنه إلى جنبه وتحول من منزل أبي أيوب إليها وكان مقامه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر وأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة عشر سنين بلا خلاف فكانت مدة نبوته ثلاثاً وعشرين سنة ثلاث عشرة بمكة وعشراً بالمدينة وبعث على رأس الأربعين ومات وعمره ثلاث وستون سنة، ومن أراد تفصيل أحواله صلى الله عليه وسلم فعليه بكتب السير لأن ذلك بحر متلاطم زخر، هذا وقد نظم ابن مرزوق[1] أجداده صلى الله عليه وسلم إلى عدنان مشيراً لآبائه بأول كل حرف من كل كلمة فقال:

علقت شفيعاً هال عقل قرانه كتاب مبين كسب لبٍ غرائبه
فذا معشر نفسي كرام خلاصتي على الفهم من نيل مجدٍ عواقبا

(١) ابن مرزوق: هو الحافظ المتقن عبد الله بن مرزوق الهروى مولى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري ولد سنة احدى وأربعين وأربع مائة. كان موصوفاً بالحفظ والمعرفة وحسن السيرة. قال إسماعيل الحافظ: هو حافظ للحديث متقن، توفي سنة سبع وخمس مائة.

* فائدة * إعلم أن آدم عليه السلام ولد من حواء أربعين ولداً في عشرين بطناً، إلا شيث بشين معجمة مكسورة فمثناه تحتية فمثلثة بالصرف وعدمه وتفسيره هبة الله ولد منفرداً لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله، ولما قرب آدم من الوفاة وصى شيث أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبد المطلب، ثم لولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية لقوله عليه الصلاة والسلام[1]: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح». وقال عليه الصلاة والسلام: «لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصطفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما». فيؤخذ من ذلك أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر ليس بمختار ولا طاهر وأيضاً هم إلى إسماعيل عليه السلام من أهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص القرآن: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[2]، وكذا من بين كل رسولين لقوله تعالى: ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾[3] فهذا صريح في أن آمنة[4] وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب

(١) ج١١ / ٣١٨٧١ ، ٣٢٠١٦ ، ٣٢٠١٧ . كذا كنز العمال.
رواه الطبراني عن علي كذا في مجمع الزوائد ج٢ ص٢١٤ ورواه العدني، وابن عدي، والبيهقي عن علي، كذا في كنز العمال ج١١/٣١٨٧١ .

(٢) سورة الإسراء / آية ١٥ .

(٣) سورة الشعراء / آية ٢١٩ .

(٤) ومما ورد في ذلك عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «حجَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع. فمر على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم إنه طفق، أي شرع يقول ياحميراء استمسكي. فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً ثم عاد إليَّ وهو فرح مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يارسول الله، نزلت من عندي وأنتَ باكٍ حزينٌ مغتم، فبكيت لبكائك. ثم إنك عدتَ إليَّ وأنت فرح مبتسمٌ فمم ذلك؟ قال: ذهبت لقبر أمي فسألتُ ربي أن يحييها، فأحياها فآمنت وردها الله تعالى».

المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فيه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا إلى من طعن في أن الله أحياهما فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم، وقول من قال إن الإيمان لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداءً كرامة له صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، قال المقري[1]: في أزهار الرياض عن الشيخ سيدي عبد الله العبدوسي[2] أنه كان يلهج بحديث وقف عليه في بعض الكتب أن الله عز وجل بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم إكراماً لنبيه عليه الصلاة والسلام وكان العبدوسي يستحسنه ويسر به كثيراً وقد أنشدني بعض أصحابنا للنميري السلوي:

وأن ابن طلاع روى أن أحمد رأى أبويه بعد ذوق المنية
فأحياهما رب العباد فآمنا به ثم عادا مكرمين لتربة

وقدره صلى الله عليه وسلم أوسع من هذا كله.

لو ناسبت قدره آياته عظماً أحي اسمه حين يدعى دارس الرمم

* وصحبه * هو عند سيبويه اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابي وعند الأخفش جمع لصاحب، وبه جزم الجوهري كركب وراكب ووفق بعضهم بينهما بحمل كلام الأخفش على الدلالة على ما فوق الواحد وكلام سيبويه

(١) المقري: الإمام المحدث شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن. ولد سنة عشرين ومائة. حديثه في الكتب كلها عني بشأن السماع وعمر دهراً. كان صاحب حديث وقراءات وحديثه عال في التعليميات. ثم في البخاري. مات سنة ثلاث عشرة ومائتين.

(٢) عبد الله العبدوسي: هو الحافظ الكبير، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن مالك النيسابوري، نزيل سمرقند، مات في شعبان، سنة ثلاث وثمانين ومئتين، رحمه الله.

على الصيغة العرفية، والصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، والمراد باللقي ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصل أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه والتعبير بلقي أولى من التعبير برأى لأنه يخرج ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا شك واللقاء هنا كالجنس ومؤمناً كالفصل يخرج من حصل له اللقاء المذكور في حال الكفر، وبه فصل ثان يخرج من لقيه مؤمناً لكن بغيره فقط من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الكمال ابن أبي شريف ولا يدخل في هذا التعريف الأنبياء الذين اجتمعوا به ليلة الإسراء ولا الملائكة الذين لاقوه تلك الليلة وغيرها لأن المراد باللقاء المتعارف وهو ما كان بالأبدان على ظاهر الملك ومقامهم رتبة فوق الصحبة، وردد في وفد الجن الذين جاءوه صلى الله عليه وسلم هل يشملهم اسم الصحبة أو لا، ثم قال وينبغي أن لا ينظر إليهم في التعريف لأنه لايعتد لها بالرواية عنهم. وفي تعليله بحث مع شمول ظاهر كلامه لجبريل مع أن بعضهم رجح ثبوت الصحبة له قال شيخ الإسلام ولابد أن يكون اللقاء قبل وفاته عليه السلام ليخرج من لقيه بعدها ولابد أن يكون اللاقي مميزاً ليخرج من حنكه من الأطفال ومسح وجهه هذا ظاهر كلام أبي داود وغيره وجزم الشيخ سالم السنهوري بعدم الاشتراط معترفاً بأن فيه خلافاً، قال بعضهم ولابد من زيادة ومات على ذلك ليخرج من ارتد ومات على ردته كعبد الله بن جحش وعبد العزى بن حنظل ورد بأن هذا يقتضي عدم تحقق الصحبة لأحدٍ في حياته وهو خلاف الإجماع، وأجيب بأن هذا قيد في دوام الصحبة لا في تحققها.

* * *

* «واعلم» * أنه وقع التردد في عيسى والخضر عليهما السلام وجزم

ابن قاسم[1] بأنهما ليسا من الصحابة قال أبو زرعة[2] توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً كلهم رأوه وروى عنه ذكره ابن النجار[3] في مراتب الصحابة وابن الأثير[4] في جامع الأصول وأما التابعي فهو من اجتمع بأحد من الصحابة رضي الله عنهم وطال اجتماعه به والفرق بين الصحابي والتابعي حيث اشترط طول الاجتماع في التابعي دون الصحابي أن الاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يؤثر في تنوير القلب ما لا يؤثر الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار، فالأعرابي بمجرد ما يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم مؤمناً ينطق بالحكمة ببركة طلعته صلى الله عليه وسلم.

قال اللقاني[5] رحمه الله تعالى والسلام:التحية وجعله بمعنى السلامة من الآفات والنقائص ضعيف لوجوب العصمة الدائمة والحفظ من الناس. وهو اسم مصدر وأما المصدر فهو التسليم وإنما أكد الفعل هنا بقوله «تسليماً» ولم

---

(١) ابن قاسم: الإمام فقيه الديار المصرية أبو عبد الله العتقي عبد الرحمن بن القاسم أنفق أموالاً عظيمة في طلب العلم. قال النسائي ثقة مأمون وهو أحد العلماء. توفي سنة احدى وتسعين ومائة.

(٢) أبو زرعة: الإمام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القريشي. كان من أفراد الدهر حفظاً وذكاءً وديناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً. قال ابن أبي شيبه: مارأيت أحفظ من أبي زرعة وقال بن الجنيد: مارأيت أعلم من أبي زرعة. توفي آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين.

(٣) ابن النجار: الحافظ الإمام البارع مؤرخ العصر أبو عبد الله ابن النجار البغدادي صاحب التصانيف ولد سنة ثمان وسبعين وخمس مائة. كان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين. ألف كتاب (المؤتلف والمختلف). توفي سنة ثلاث وأربعين وست مائة.

(٤) ابن الأثير: الإمام العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير المحدث اللغوي صاحب (التاريخ) و(الأنساب) وغير ذلك. ولد سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وتوفي سنة ثلاثين وست مائة.

(٥) اللقاني: إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الإمداد، برهان الدين: فاضل متصوف مصري مالكي نسبته إلى (القانة) من البحيرة بمصر. توفي بقرب العقبة عائداً من الحج. له كتب منها (جوهرة التوحيد).

يؤكد فعل الصلاة تبعاً للفظ الآية، وإنما فعل كذلك في الآية لأن الأخبار بأن الله وملائكته يصلون على النبي أغنى عنه لدلالته على أنه من الشرف بمكان وقال الشهاب على الشفاء خص السلام بالتأكيد والتنوين للتعظيم أي تسليماً عظيماً تعريضاً بمن لم يسلم وقيل تسليماً لا كتسليم غيره من الأمة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الأمة، ففهم منها التعظيم في نفسها من غير تأكيد أو أن التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو في معرض المساهلة في الجملة وقال أيضاً خص المؤمنون بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الأمة في حقه، لأنه صلى الله عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولإنعامه أكثر من غيره والمراد التسليم من النقائص التي عصمه الله منها ولم يسندها له غير البشر الذين هم من نوعه. «مثل ذلك» أي مثل ما ذكر في الصلاة من العدد واستغراقه والدوام وعدم الانتهاء، قال في مطالع المسرات وهذا اللفظ المذكور هو الذي في النسخة السهلية وغيرها من النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ المعتمدة أيضاً صلاةً لا غاية لها ولا منتهى ولا أمد لها ولا انقضاء صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمةً بدوامك وعلى آله وأصحابه وعترته كذلك وسلم تسليماً كثيراً مثل ذلك، وفي بعض النسخ المعتمدة أيضاً بعد قوله دائمةً بدوامك باقيةً ببقائك إلى يوم الدين وعلى آله الخ. وفي النسخة التي بأيدينا من حزب الشيخ وصل الله على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمةً للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي صلاةً تستغرق العد وتحيط الحد صلاةً لاغاية لها ولامنتهى ولاأمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمةً بدوامك باقيةً ببقائك، وعلى آله وأصحابه وعترته كذلك والحمد لله على ذلك.

* * *

* خـــاتمـــــة *

نسأل الله تعالى حسنها وسعادتها ويمنها، قد ذكرنا في صدر هذا التعليق المبارك أن هذه الصلاة الجليلة إحدى الصلوات العشر التي رتبها الشيخ محي الدين المعروف بجنيد اليمن، وقد أردنا تتميم الفائدة بذكر بقية الصلوات العشر وتذييلها بمسائل جليلة عظيمة القدر وفوائد حسنة ينشرح بها الصدر وتسوق إلى الفؤاد السرور، والبشر.

فنقول الصلاة الأولى: اللهم يارب محمد وآل محمد صل على محمد وآل محمد واجز محمداً صل الله عليه وسلم ما هو أهله. الثانية: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. الثالثة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. الرابعة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد في الأولين والأخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين. الخامسة: اللهم صل على محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه وصل على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه. السادسة: اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور. السابعة: اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم. الثامنة: اللهم صل على محمد الذي ملأت قلبه من جلالك وعينه من جمالك فأصبح فرحاً مسروراً مؤيداً منصوراً. التاسعة: اللهم صل على

محمد وآل محمد صلاة من في السموات والأرضين عليه وأجر يارب لطفك في أمري. العاشرة: كما هي عنده اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد صلاتك بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمةً بدوامك باقيةً ببقائك لا أمد ولا انقضاء لذلك وعلى آله وأصحابه كذلك والحمد لله على ذلك. ولفظها عند السخاوي اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره والرحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه كذلك والحمد لله على ذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

* وههنا فوائد تتضمن شرح تسع صلوات للغوث *
* الأعظم الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني *
* رضي الله تعالى عنه*

الأولى: في الإشارة إلى حل بعض ألفاظ هذه الصلوات (قوله) في الصلاة الأولى يارب محمد أي مالكه وسيده المربي له بالنعم والمدد والقيام بما فيه صلاحه على الدوام المنعم عليه المشرف له بمنازل قربه، والإضافة لتشريف المضاف إليه وأتى بهذا الاسم الكريم في هذا التركيب على هذه الصورة للاستعطاف، قوله وأجز محمداً هو بوصل الهمزة يقال جزاه يجزيه ثلاثياً أي عامله بمقتضى فعله فأعطاه ثواب ماأحسن فيه أو عاقبه على ما أساء فيه فقد يقيد بوصفه وقد يطلق موكولاً تقييده للمقام كما هنا، فإنه مقام العصمة والكمال فالمراد هنا أعطه في مقابلة ما قام به من حقك الذي هو متأهل له ومستحق له عندك بمقتضى كرامته عليك قال في مطالع المسرات وروى الطبراني[1] في الكبير والأوسط عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما بسند ضعيف قال، قال رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم: «من قال جزى الله عنا

(١) الطبراني: الحافظ الإمام العلامة الحجة أبو القاسم اللخمي الشامي الطبراني مسند الدنيا ولد سنة ستين ومائتين. صنف المعجم الكبير والمعجم الصغير وصنف أشياء كثيرة وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة. توفي سنة ستين وثلاثمائة. وكان حديثه قد ملأ البلاد.

(٢) ابن عباس: الإمام البحر عالم العصر أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. قال أبو بكر: مافي العرب مثله جسماً وعلماً وبياناً وجمالاً وكمالاً. كان يقول: مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة. توفي سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات ربانيّ هذه الأمة.

(٣) ج٢ / ٣٩٠٠ كنز العمال. رواه الخطيب وابن النجار عن ابن عباس.

محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح». ورواه أبو نعيم في الحلية وقال حديث غريب.

(وقوله) في الصلاة الثانية النبيء بالهمز وهو على لغة قريش قوله أمهات المؤمنين أي في الاحترام والتحريم واستحقاق المبرة والتعظيم، وأما فيما عدى ذلك كوجوب حجبهن على الرجال فهن رضي الله عنهن كالأجنبيات، قوله كما صليت على إبراهيم فيه سؤال مشهور وهو أن القاعدة أن المشبه بالشيء أن يكون مثله وقد يكون أدنى وأما أعلا فلا يكون، والمعلوم المقرر أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم فكيف يخرج بظاهر هذا التشبيه على القاعدة المقررة، وقد أجابوا عنه بأجوبة منها أن المشبة قد يكون أرفع من المشبه به كما في قوله تعالى: ﴿ مثل نوره كمشكاة[1] فيها مصباح ﴾. وأين نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة، وكذا هنا لما كان تعظيم إبراهيم بالصلاة عليه مشهور واضحاً عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد من الصلاة مثل ما حصل لإبراهيم فالتشبيه المذكور ليس من باب إلحاق الناقص بالكامل لكن من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور في بعض الروايات في قوله في العالمين أي كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين ولهذا لم يقع ذكر العالمين إلا في جانب إبراهيم دون محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها أن الدعاء للاستقبال فيما كان من خير قد أعطيه النبيء صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء لم يقع في التشبيه، وإنما وقع في التشبيه الزائد على ما كان عنده طلباً أن يكون له مثل ما كان لإبراهيم زيادة على ما خصه الله تعالى به قبل السؤال ومنها غير ذلك.

---

(١) سورة النور / آية ٣٥.

* واعلم * أن هذه الصلاة ذكرها في الشفاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجها أبو داود والطبراني عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال: «من سره أن يكال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد».. الخ بزيادة وأهل بيته بعد قوله وذريته.

(وقوله) في الصلاة الثالثة وبارك على محمد معناه أفض من البركات الدينية والدنيوية أو أدم ما أعطيت من التشريف والكرامة والبركة كثرة الخير والكرامة ونماءهما والزيادة منهما أو هي الثبات على ذلك أو هي التطهير والتزكية من المعائب.

(قوله) وارحم محمداً يقال رحمه الله بمعنى عطف عليه وقد وقع بين العلماء كلام في هذه اللفظة، فمنهم من أنكرها ومنهم من أجازها وقد استدل صاحب القاموس على الجواز بقول الأعرابي[2]: «اللهم ارحمني وارحم محمداً». وتقريره صلى الله عليه وسلم له قال في مطالع المسرات والحق منع ذلك على الانفراد فلا يقال قال النبي رحمه الله، لأنه خلاف الأدب وخلاف المأمور به عند ذكره من الصلاة عليه ولا ورد ما يدل عليه البتة، وخلاف ما يجب علينا من تخصيصه بما يشير إلى تفخيمه وتعظيمه اللائق بمنصبه الشريف وجوازه تبعاً للصلاة ونحوها على وجه الأطناب والخطاب ورب شيء يجوز تبعاً ولا يجوز استقلالاً.

---

(١) رواه النسائي بزيادة «وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته، وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ. كنزُ العمال /٢١٧٥/.

(٢) هو حديث عن أبي هريرة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاةٍ وقُمنا معه، فقال أعرابيٌ وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولاترحم معنا أحداً. فلمّا سلّم النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي: (لقد حجّرت واسعاً).. يريد رحمة الله. وهذه رواية البخاري ـ باب رحمة الناس والبهائم ـ ج ٥ /٥٦٦٤/ وعند أحمد بلفظ (لقد تحجّرت واسعاً) ج ٢ /٢٣٩و٢٨٣/.

(قوله) حميد هو فعيل بمعنى مفعول، لأنه حمد نفسه، وحمده عباده، أو بمعنى فاعل، لأنه الحامد لنفسه، ولأعمال الطاعات من عباده.

(قوله) مجيد من المجد، وهو الشرف، والرفعة، وكرم الذات، والفعال التي منها كثرة الأفضال، والمعنى أنك أهل الحمد والفعل الجميل، والكرم والإفضال، فأعطنا سؤالنا، ولا تخيب رجاءنا.

(وقوله) في الصلاة الرابعة في الأولين، أي المتقدمين بالزمان على هذه الأمة من أهل الإيمان في الأمم الماضية، أو المراد أول هذه الأمة، أو المراد من كان قبل هذه الصلاة هذا كله إن كانت الأولية باعتبار زمان وجودهم، ويحتمل أن تكون الأولية باعتبار الصلاة، والمعنى صلِ عليه في أول من تصلي عليه، وفي آخر من تصلي عليه.

(وقوله) في الآخرين، هم هذه الأمة أو آخرها، أو من يأتي بعد هذه الصلاة على مقابلة ما تقدم في الأولين.

(قوله) في الملأ الأعلا، هم الملائكة، وقيل الملائكة العلوية، ومحلهم السماء، وهي أعلا من الأرض، والملأ. الجماعة مطلقاً، أو الجمع من الأشراف، أو ذوو الرأي من القوم يملئون العيون رواءً والقلوب جلالة وبهاء والأعلا نعت له وهو أفعل من العلو دال على زيادته.

(قوله) إلى يوم الدين أي صلاة دائمة إلى يوم الجزاء وهو يوم القيامة، من دانه يدينه جزاه ومنه قولهم كما تدين تدان.

(وقوله) في الصلاة الخامسة كما أمرتنا أن نصلي عليه الكاف للتشبيه وما مصدرية أي كأمرك إيانا أي صل عليه صلاة توافق أمرك.

(قوله) كما ينبغي أن يصلى عليه أي كما يطلب ويحتمل الوجوب

والاستحباب، ولا يخفى أن للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وجوباً واستحباباً.

(وقوله) في الصلاة السادسة اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح أي الأرواح التي يصلى عليها وهي أرواح الملائكة والأرواح المؤمنة من الإنس والجن، والمعنى صل على روحه في جملتها أو المعنى خصه فيها بصلاة تخصه من بينها، وقد ذكر هذه الصلاة الجزولي بزيادة وعلى آله وصحبه وسلم في آخرها، وذكر الناسي أن من صلى بها على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة رآه صلى الله عليه وسلم في منامه. قال وفي أعمال الصفا في فضل الصلاة على المصطفى روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال اللهم صل على روح محمد في الأرواح وعلى جسد محمد في الأجساد وعلى قبر محمد في القبور اللهم بلّغ روح محمد تحيةً وسلاماً رآني في المنام».

(وقوله) في الصلاة السابعة وعلى أهله هكذا وجد بخط من يوثق به.

(وقوله) في الصلاة الثامنة الذي ملأت قلبه من جلالك، الجلال هو العظمة ولما كان القلب محل الهيبة والعظمة والإجلال كما أن العين محل رؤية الجمال قال ما قال، والمعنى الذي ملأت عين قلبه دائما من مشاهدة جمالك وعين رأسه عندما كشفت عنه الحجاب حتى رآك بها من غير كيف ولا أين ولفظ هذه الصلاة على ما عند الجزولي بعد قوله فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله على ذلك.

(وقوله) في الصلاة التاسعة وأجر يارب لطفك في أمري هي في بعض الروايات وأجر يا مولانا لطفك الخفي في أمري، قيل إن هذه الصلاة من

ذكرها ألف مرة فرّج الله كربه وقضى حاجته كائنة ما كانت.

«الفائدة الثانية»: قال في مفاخر الإسلام أن كعب الأحبار دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه فقال كعب الأحبار من شرف النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه لدى ربه ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفون بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويضربون بأجنحتهم القبر ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى يدخل عليهم الصباح هكذا إلى يوم القيامة، ومن نزل وصعد لم يعد، إكراماً له صلى الله عليه وسلم وتنويها بذكره وتنبيها على عظم قدره صلى الله عليه وسلم، وعن عبد الله بن عمر رضي[1] الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تضربوا صبيانكم في المهد فإن بكاء الصبي في المهد أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأربعة أشهر دعاء لوالديه، وأربعة أشهر الصلاة على نبيكم صلى الله عليه وسلم».

«الفائدة الثالثة»: من المواطن التي تطلب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سماع ذكره صرح بالاستحباب الفاضل[2] زكريا من الشافعية والشيخ أبو عبد الله الحطاب[3] من المالكية. ومقتضى الأحاديث

---

(١) عبد الله بن عمر: بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه أحد الأعلام في العلم والعمل وشهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان. مناقبه جمة أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح. قال ابن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر. توفي سنة أربع وسبعين.

(٢) الفاضل زكرياء: زكريا الأنصاري السنكي المصري الشافعي أبو يحيى: شيخ الإسلام. قاض مفسر من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ. له تصانيف كثيرة (فتح الرحمن) و(فتح الجليل).

(٣) أبو الحسن اللخمي: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن المعروف باللخمي: فقيه مالكي له معرفة=

الشريفة وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره لما تضمنته من الوعيد على الترك المستلزم للوجوب وبه قال الشيخ أبو الحسن اللخمي[1] من المالكية وأبو عبد الله الحليمي وأبو حامد الأسفرايني[2] من الشافعية وابن بطة[1] من الحنابلة وأبو جعفر الطحاوي[3] من أئمتنا الحنفية، وإن تكرر ذكره صلى الله عليه وسلم فهل تندب كلما ذكر أو تجب أو يكفي مرة واحدة قال شيخ الإسلام زكرياء إن الصلاة تندب كلما تكرر ذكره صلى الله عليه وسلم، وقال السخاوي قد صرح بوجوب الصلاة كما ذكر غير واحد ممن قال بوجوبها عند ذكره، وقال الحافظ شهاب[4] الدين أبو البركات أحمد الخفاجي الحنفي الشهير بأفندي نزيل مصر في شرح الشفاء:تجب كلما سمع أو ذكر. قال الأديب أبو حجلة رحمه الله تعالى:

صلوا عليه كلما ذكر اسمه ... في كل حين غدوةً ورواحا
فعلى الصحيح صلاتكم فرض إذا ... ذكر اسمه وسمعتموه صراحا
صلى عليه الله ما شب الدجا ... وبدا مَشيب الصبح فيه ولاحا

= بالأدب والحديث قيرواني الأصل نزل سفاقس وتوفي فيها. صنف كتباً مفيدة من أحسنها تعليق كبير على المدونة في فقه المالكية سماه (التبصرة) وله (فضائل الشام).

(١) أبو حامد الأسفرايني: أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الصبغي، أبو الحسن ابن المحاملي: فقيه شافعي، بغدادي المولد والوفاة. له تصانيف منها (لباب الفقه) و(المجموع) و(المقنع) في فقه الشافعية.

(٢) ابن بطه: عبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري. عالم بالحديث فقيه من كبار الحنابلة من أهل عكبرا مولداً ووفاة. صنف كتباً تزيد على المئة منها: (السنن) و(الشرح والابانة على أصول السنة والديانة)..

(٣) أبو جعفر الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي. ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين وكان ثقةً ثبتاً فقيهاً عاقلاً. توفي سنة احدى وعشرين وثلاث مائة.

(٤) شهاب الدين: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد ونشأ بمصر، ومن أشهر كتبه (شفاء العليل في كلام العرب من الدخيل).

وأورد بعض الأفاضل أنه يلزم التسلسل وأجيب بأن المراد بالذكر ما هو بالقصد الأول أو ذكر غيره، ونقل محي الدين النووي قال: يروى عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس، وقال الشيخ ابن عرفة[1]: والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا تكرر ذكره في الكتب والتآليف يكفي فيها أن يقال صلى الله عليه وسلم، لأن في تكرار ذلك مشقة إلا في مواضع مخصوصة كالصلاة عليه في الصلاة. وقال الكواشي[2]: وطريق الأدب والاحتياط أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر «واعلم» أن المصلي عليه صلى الله عليه وسلم يصلي عليه بنية القربة والاحتساب وقصد التعظيم ورجاء الثواب وامتثال أمر الله ومحبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كره العلماء الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في عشرة مواضع نظمها بعضهم بقوله:

ذبح عطاس أو جماع عثرة وتعجب وكشهرةٍ لمبيع
أو حاجة الإنسان فاعلم عندها كرهوا الصلاة على أجَلِ شفيع
أو عند حمامٍ وأكلٍ مثله ومواضع الأقذار للترفيع

قوله وكشهرةٍ لمبيع إشارة إلى ما قاله الشيخ أبو عبد الله محمد الرصاع لما ذكر شهرة المبيع ويلحق بهذا عندي ما يصدر من العامة في الأعراس

---

(١) ابن عرفة: محمد بن محمد عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها قام بالخطابة والفتوى والإمامة. من كتبه (المختصر الكبير) يروى أنه كان ثقة. توفي سنة ٨٠٠.

(٢) الكواشي: أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع موفق الدين أبو العباس الكواشي: عالم بالتفسير من فقهاء الشافعية من أهل الموصل. من كتبه (تبصرة المتذكر) و(كشف الحقائق).

وغيرها فإنهم يشهرون أفعالهم للنظر إليها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع زيادة عدم الوقار والاحترام بل بضحك ولعب. قال الشيخ أبو عبد الله الحطاب رحمه الله بل يذكرون بلفظ محرف إن قصدوا معناه كفروا، فإن كثيراً منهم يكسرون السين من السلام نعوذ بالله من ذلك.

«الفائدة الرابعة»: قال الحافظ السخاوي: ويحافظ الطالب على كتابة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كتبه بدون رمز كما يفعله الكسالى ولا يسأم من تكراره سواء كان ثابتاً في الأصل أو لا، ومن أغفل الصلاة والسلام حرم أجراً عظيماً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال[1]: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». رواه الطبراني في الأوسط قال الشيخ زروق[2] قدس سره ويحتمل أن يكون المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قراءة الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى.

«الفائدة الخامسة»: اختلف في الحكمة في أمر الله سبحانه إيانا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال القشيري في تفسيره أراد سبحانه أن يكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافيهم من الشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافى سبحانه على لسانه عليه الصلاة والسلام: «من صلى علي مرةً واحدةً صلى الله عليه عشر مرات». وقال الحليمي: المقصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) كنزُ العمال ج١ / ٢٢٤٣ . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

(٢) الشيخ زروق: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق: فقيه محدث صوفي. من أهل فاس (بالمغرب) تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة وغلب عليه التصوف فتجرد وساح وتوفي في تكرين. وانفرد بجودة التصنيف في التصوف من كتبه (شرح مختصر خليل) توفي سنة ٨٩٦ هـ.

علينا. وتبعه ابن عبد السلام[1] في شجرة المعارف فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافاة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله إلى الصلاة عليه لمّا علم عجزنا عن مكافاة نبينا.

«الفائدة السادسة»: اختلف في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ونفعها هل هو عائد على المصلي فقط أو عليه وعلى المصلي عليه صلى الله عليه وسلم فقال بالأول جماعة منهم أبو العباس[2] المبرد والقاضي أبو بكر بن العربي[3] ومشى عليه ابن فرحون[4] وقال بالثاني الإمام أبو القاسم القشيري في تفسيره. قال القرطبي: يزيده الله رفعة بصلاة أمته عليه ويرجع إليهم بأجورْ ووجوب شفاعته قال بعضهم: وقد يقال لا خلاف، بل أحدهما تنبيه على الأدب في القصد والآخر إخبار عن كرم الله وعدم تناهي أفضاله وقال شيخ الإسلام أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن يوسف بن محمد الفاسي: صلاة الناس على النبي صلى الله عليه وسلم هي في عرف الشرع طلب الصلاة من الله تعالى والسلام طلب السلام عليه منه، فغاية صلاتنا صلاة الله تعالى عليه وهو يتنفع بها على كل حال ولا أظنهم يختلفون فيه كما أنهم لا

---

(١) (عبد العزيز بن عبد السلام المعروف بعز الدين السلمي) وقال المناوي والشعراني هو سلطان العلماء شيخ الشافعية وقدوة الصوفية، وكان قاضي القضاة في مصر. قال المناوي: مات بمصر سنة ٦٦٠ هـ ودفن بالقرافة الكبرى، في آخرها.

(٢) إمام النحو، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، النحوي الأخباري، صاحب «الكامل» وكان إماماً «علامة»، جيلاً، وسيماً، مضيئاً، مفوّهاً، موثّقاً، صاحب نوادر وطرف. مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومئتين.

(٣) أبو بكر بن العربي: محمد بن الطيب الباقلاني إمام أهل السنة وقاضي مدينته توفي سنة ٤٠٣ هـ.

(٤) ابن فرحون: هو إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، برهان الدين اليعمري. عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة وهو مغربي الأصل، وهو من شيوخ المالكية له (الديباج المذهّب) في تراجم أعيان المذهب المالكي. توفي سنة ٧٩٩ هـ.

يختلفون قطعاً في حصول الأجر لنا بطلبها فانظر ما معنى اختلافهم في انتفاعه بصلاتنا وترددهم في أن النفع عائد علينا أو له.

«الفائدة السابعة»: قال الحافظ ابن حجر إن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم شرعت في الخامسة من الهجرة وقيل في ليلة الإسراء. وذكر القسطلاني في مسالك الحنفاء أن آية «إن الله وملائكته» نزلت في شعبان فلذلك كان شهر الصلاة عليه. وهذه الآية تدل على الوجوب على تسعة أقوال. أحدها: إنها تجب في الجملة من غير حصر لكن أقل ما يحصل به الأجزاء مرة وهو الذي شهّره القاضي أبو الحسن[1] ابن القصار من الملائكة. الثاني: أنه يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد وهو للقاضي أبي بكر بن بكير[2] من المالكية. الثالث: تجب كلما ذكر وبه قال الطحاوي وجماعة من أصحابنا وجماعة من الشافعية واللخمي من المالكية وابن بطة من الحنابلة، وقال ابن العربي: أنه الأحوط. الرابع: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً حكاه أبو عيسى[3] الترمذي عن بعض أهل العلم. الخامس: في كل دعاء. السادس: أنها تجب في العمر مرة ككلمة التوحيد وهو لأبي بكر الرازي[4] من علمائنا الحنفية. السابع: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل

---

(١) أبوالحسن بن القصار: هو علي بن عمر بن أحمد الفقيه الثقة له كتاب في الخلاف كثير الفوائد لم نصنف في بابه أحسن منه، وهو من أئمة المالكية منسوب لصفة قصار الثياب وهو تبييضها.

(٢) ابن بُكَير: الإمام المقرىء المجوِّد، أبو بكر، محمد بن عمر بن بُكير بن وَدّ البغدادي، جارُ أبي القاسم بن بشران. ولد سنة ست وأربعين ومئتين.

(٣) أبو عيسى الترمذي: الإمام الحافظ الضرير مصنف الجامع وكتاب العلل قال ابن حبان: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر وكان يضرب به المثل في الحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين. مات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ.

(٤) أبو بكر الرازي: الحافظ الإمام محدث نيسابور صاحب التصانيف. قال ابن عقدة: كان من الحفاظ وقد سمعت منه. عاش أربعاً وخمسين سنة، ومات سنة خمس عشرة وثلاث مائة بالطابران.

وهو عن أبي جعفر الباقر[1] رضي الله عنه. الثامن: تجب في التشهد وهو للشعبي. التاسع: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل وهو للإمام الشافعي[2] ومن تبعه.

«الفائدة الثامنة»: هل يجب أن يصلي على نفسه صلى الله عليه وسلم أم لا والذي نقله الحافظ شهاب الدين الخفاجي في شرح الشفاء عن الخزانة ما نصه أجمعوا على أنه لا يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي على نفسه. قال: واذا لم يجب أن يصلي فهل كان يصلي على نفسه في صلاته بطريق السنة والاستحباب أو لم يكن يصلي عليه قال بعض الفضلاء: إنها مسألة لم يصرح بها أحد من الفقهاء.

«الفائدة التاسعة»: اختلف العلماء هل كانت الأمم الماضية متعبدة بالصلاة على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام أم لا قال القسطلاني في المواهب اللدنية: أنه لم ينقل لنا ذلك ولا يلزم من عدم النقل عدم الوقوع.

«الفائدة العاشرة»: قال القاضي أبو بكر ابن العربي في عرضاته: الذي أعتقده أن قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى اللهعليه بها عشراً ليست لمن صلى عليه وسلم بل لمن قصده بالصلاة عليه ابتداء.

«الفائدة الحادية عشرة»: هل يقطع بقبول الصلاة والسلام عليه صلى

---

(١) أبو جعفر الباقر: محمد بن علي بن الحسين الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني أحد الأعلام ولد سنة ست وخمسين. اشتهر بالباقر من قولهم بقرَ العلم: أي شقه فعلم أصله وخفيه، عده النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة. توفي سنة أربع عشرة ومائة.

(٢) الإمام الشافعي: العلم حبر الأمة أبو عبد الله محمد بن ادريس القرشي المطلبي الشافعي المكي نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصر سنته. ولد سنة خمسين ومائة بغزة. كان بارعاً بالرمي والشعر واللغة وأيام العرب. أقبل على الفقه والحديث وجود القرآن وكان يختم في رمضان ستين مرة. قال ابن راهوية: الشافعي إمام ماأحد تكلم بالرأي إلاّ والشافعي أكثرهم اتباعاً وأقلهم خطأ. توفي سنة أربع ومائتين في مصر.

الله عليه وسلم أم لا قال الشيخ أبو إسحاق[1] الشاطبي في شرح الألفية: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مجابة على القطع فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى فيه، فقيل وهذا المعنى مذكور عن بعض السلف الصالح واستشكل بأنه لو قطع بها للمؤمن لقطع له بحسن الخاتمة، وهي مجهولة لكل أحد، وأجيب بأنَّ معنى القطع بقبولها أنه إذا قضى للمؤمن بخاتمة الإسلام وجد حسنات الصلاة مقبولة بلا ريب بفضل الله تعالى بخلاف سائر الحسنات فإنه لا وثوق بقبولها، وكتب بعض المغاربة على هذا الجواب ما نصه وأقرب من هذا أن معنى القطع بقبولها هو كون الله يقبل دعاء الداعي بها بأن يعطي للنبي صل الله عليه وسلم ما سأله له هذا الداعي وهو حصول الصلاة عليه من الله تعالى وهذا مقطوع به عند صلاة المصلي وقبله وبعده ولا يستلزم ذلك كون هذا العمل من المصلي مقبولاً بمعنى يثاب عليه. تأمله.

«الفائدة الثانية عشرة»: ورد أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حبس على صاحبها لا مطمع للخصوص فيها قال بعضهم وذلك مشروط بما إذا قصد بها صاحبها التعظيم والمحبة وأنشد الشيخ أبو عبد الله محمد العياشي رحمه الله.

ثواب المريض وأجر الصيام صلاةً عليه عليه السلام
وحسنة تضعيفها مع دعا إلى المحسنين لوجه السلام
فليس لمظلومنا أخذها وفي البعض منها لبعضٍ كلام

قال قوله وفي البعض منها لبعض كلام يشير بذلك إلى أن الإمام القرطبي ناقش في ثواب الصيام وسئل رضي الله عنه من أين لنا أن هذه

(١) كنزُ العمال /٢٢٠٦/ وفي الحديث زيادة «فليكثر عليَّ عبدٌ من الصلاةِ أو ليقلّ». البيهقي عن أبي طلحة.

المسائل المذكورة في النظم لا توخذ في التبعات ؟ فأجاب بأن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد فيها حديث بأنها حبس على صاحبها، وأما الأربعة الباقية فكان العارف بالله سيدي أحمد زروق يذكرها عن بعض أشياخه، ثم قال رضي الله عنه ويقاس عن ثواب المريض سائر المصائب النازلة بالمؤمن كمن يضربه أو يشتمه إذا صبر فإن ذلك لايؤخذ في التبعات إن شاء الله وقد جمعها بعضهم أيضاً:

بفضل الله لم تأخذ أجور ... علينا حبست عند العذاب
دعاء من له أحسنت يوما ... وأجر الصوم مرض ذي احتساب
وتضعيف الأجور كذا صلاة ... على المختار في يوم الحساب

«الفائدة الثالثة عشرة»: إفراد الصلاة والسلام أحدهما عن الآخر مكروه ومعنى الكراهة أن يفرد أحدهما عن الآخر ولا يسلم أصلاً، وأما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلا نص على ذلك السخاوي في القول البديع.

«الفائدة الرابعة عشرة»: قال النووي وقد أجمع من يعتد به على استحباب الصلاة على سائر الملائكة والأنبياء إستقلالاً قال: وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم وهل هذا المنع على التحريم أو على الكراهة قولان والصحيح الذي عليه الأكثر أنه مكروه كراهةَ التنزيه، لأنه من شعار أهل البدع قال علماؤنا والأصل في ذلك أن الصلاة مخصوصة عند السلف رحمهم الله بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما أن قولنا قال الله تعالى وقال الله عز وجل مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال محمد عز وجل، وإن كان عزيزاً

جليلاً لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه وسلم وإن كان معناه صحيحاً قال رحمه الله تعالى: واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة فيقول: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعهم وسلم تسليماً، قال: وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني[1] من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال علي عليه السلام قال وأما الترضي فغير مخصوص بالصحابة رضي الله عنهم خلافا لمن لا يعتد بخلافه بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه في حق الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد الصالحين رضي الله عنهم.

«الفائدة الخامسة عشرة»: الكثرة المأمور بها في الأحاديث من قوله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة». قال أبو طالب المكي: أقل ذلك ثلاثمائة مرة.

«الفائدة السادسة عشرة»: خص يوم الجمعة بالحض على الإكثار فيه من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما فيه من الفضل فهو يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه فيه صلى الله عليه وسلم صلاة من صلى عليه، وفيه ساعة الإجابة، إلى غير ذلك مما ذكر في فضائله، وقال ابن القيم: أن الحكمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهو أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فهو عيد لهم

---

(١) هو شيخ الشافعية عبد الله بن يوسف أبو محمد السنبسي الجويني والد إمام الحرمين. كان فقيهاً مدققاً محققاً، نحوياً مفسراً. روى عنه أبو المعالي، وله من التواليف التبصرة في الفقه. توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة. وهو صاحب وجه في المذهب. وكان يرى تكفير من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

في الدنيا وأعظم كرامة تحصل لهم في الآخرة فإنها تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيدهم في الدنيا، ويوم يسعفهم الله بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وجعل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأدى القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته. وقال غيره إن فضل ليلة الجمعة ويومها بما أن فيها حل النور الباهر الشريف في بطن المكرمة آمنة فيكون لليلة الجمعة ويومها نسبة من مولده الشريف من إتخاذه عيداً وإكثار الصلاة عليه فيه شكراً لله وفرحا به وتعظيماً والله أعلم.

* ولنختم * هذا التعليق المبارك المختصر. بفوائد أخر كاليواقيت والدرر، عظيمة الأجر والثواب، رفيعة القدر والجناب، فنقول ذكر الجلال السيوطي رحمه الله تعالى أن من ذكر هذه الصلاة ليلة الجمعة ولو مرة ولازم عليها لم يلحده في قبره إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم). ونقل عن الأستاذ البكري[1] رحمه الله تعالى أنه قال: من ذكر هذه الصلاة في عمره ولو مرة واحدةً ودخل النار يقبضني بين يدي الله تعالى وهي: (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم). قال بعض العارفين: إن هذه الصلاة المرة منها بستمائة ألف صلاة. وعن علي رضي الله عنه أنه قال: من صلى على

(١) البكري: احمد بن زين العابدين بن محمد البكري، أديب من فضلاء الشافعية بمصر أقرأ بالجامع الأزهر له: «روضة المشتاق وبهجة العشاق».

النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات فقد صلى عليه بصلاة جميع الخلائق، قال: يقول صلوات الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: من صلى عليه بهذه كل يوم ثلاث مرات ويوم الجمعة مائة مرة حشره الله تعالى يوم القيامة في زمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى يدخله الجنة، وخرج الحافظ أبو عمر بن عبد البر عن أبي عمرو عثمان بن حُنيف[1] الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير البصر فشكا إليه ذهاب بصره وقال ادع الله أن يعافيني،قال:إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، فقال: يارسول الله صلى الله عليك وسلم ليس لي قائدٌ وقد شق علي التخلف عن الجماعة، فقال له صلى الله عليه وسلم: ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم ادع الله بهذه الدعوات: (اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يامحمد إني توجهت بك إلى ربك وربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه فيَّ). قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأنه لم يكن له عمى قط. وفي كتاب الفوائد والعوائد للشيخ الإمام المحدث زين الدين أحمد بن أحمد الشرحبي الحنيفي اليمني ما نصه روي عن الفقيه الصالح عمر ابن سعيد[2] صاحب سيدي عقبة[3] رحمه الله تعالى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) هو عثمان بن حنيف بن واهب الصحابي الأنصاري من بني عمرو بن مالك بن الأوس أخو سهل بن حُنيف. قال الترمذي أنه شهد بدراً، وقال الجمهور أول مشاهده أحد واستعمله عمر رضي الله عنه في مساحة الأرضين وجبايتها وضرب الخراج والجزية، وولاه علي رضي الله عنه على البصرة. وكان آخر عهده أقام في الكوفة ومات في خلافة معاوية.

(٢) هو الإمام المحدث، القدوة العابد عمر بن سعيد، الطائي المنبجي، حدث عنه الطبراني وبن حبّان وغيرهم، قال ابن حبّان: كان قد صام النهار وقام الليل ثمانين سنةً، غازياً مرابطاً رحمةُ الله عليه.

(٣) عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني. أمير من الصحابة كان رديف النبي صلى الله عليه=

وسلم: من قال كل يوم اللهم صل على محمد وآله صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداءً ثلاث وثلاثين مرةً فتح الله له ما بين قبره وقبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بابا ينظره منه حتى يبعث معه. وعن بعض الصالحين أنه قال: من وقع في كربة فقال اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفك بها الكرب، ويكرر ذلك فرج الله عنه، صحيح مجرب، وذكر صاحب مفاتيح الإسلام في فضل الصلاة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مجلسه اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة». وذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير القرآن بالحديث المأثور عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فسلم عليه فرد النبي صلى الله عليه وسلم السلام وأطلق وجهه وأجلسه إلى جنبه فلما قضى الرجل حاجته نهضَ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ياأبا بكر هذا الرجل يرفع له كل يوم عمل كعمل أهل الأرض قلت: وبم ذلك يارسول الله قال: إنه كلما أصبح صلى علي عشر مرات كصلاة الخلق أجمع، قلت: وما ذاك قال: يقول اللهم صل على محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك وصل على محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه وصل على محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه. وخَرّج ابن وداعة وحُيي بن محمد حديث أن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة ألف مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي فإنه يرى من ليلته في المنام ربه أو نبيه أو منزلته من الجنة، فإن لم يره ففي جمعتين أو ثلاث إلى

= وسلم. كان شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً، من الرماة، وهو أحد من جمع القرآن له (٥٥) حديث. مات بمصر سنة ثمان وخمسين.

خمس، وحصول الأمنية لا يكون إلا بعد خلوص النية. وقال الشيخ البكري رضي الله عنه: من ذكر هذه الصلاة ولو مرة في عمره ودخل النار يقبضني بين يدي الله ومن قالها ثلاثا فقد اشترى نفسه من الله، وهي اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد صلاةً تزن الأرض والسموات وما في علمك عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد. وقال بعض العارفين: هذه الصلاة بلغنا أنها تعدل دلائل الخيرات سبعين مرةً، وهي اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد صلاة تعدل صلوات أهل محبته وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه سلاماً يعدل سلامهم وقال الشيخ العياشي رضي الله ـ عنه ـ رأيت في بعض التقاييد ما نصه من قرأ هذه الصلاة مرة واحدة فكأنما قرأ دلائل الخيرات أربعين مرة، وهي اللهم صل وسلم وكرّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة تدوم بدوام ملكك. وقال أيضاً رضي الله عنه:

رأيت في جدار قبة بعض الأولياء ما نصه اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما اتصلت العيون بالنظر وتزخرفت الأرض بالمطر وحج حاج واعتمر ولبى وحلق ونحر وطاف بالبيت العتيق وقبل الحجر، من قالها مرة بخمسين ألف صلاة. ونقل عن بعض العارفين أن من صلى بهذه الصلاة مرةً واحدةً عدلت له خمسمائة ألف صلاة وكانت له فداءً من النار، وهي اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله. وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد اليوسي السوسي رحمه الله أنه قال: مما جرب للغنى قراءة هذه الصلاة سبعاً صباحاً ومساءً، وهي اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير أنت

الرب المولى نعم المولى ونعم النصير. وعن الشيخ السنوسي[1] قدس سره أن من حافظ على هذه الصلاة المباركة المشتملة على أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة من غير شك، وهي اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جعلت رأسه من الهدى وحاجبه من التفكر وعينه من النور وسمعه من الطاعة وأنفه من الزهد وفمه الحكمة وأسنانه من اللؤلؤ ولسانه من الصدق ولحيته من الرضا وعنقه من الخضوع ويديه من السخاء وصدره من الحياء وقلبه من الإخلاص وكبده من الحنانة ورئته من السكينة وطيحاله من الوقار وبطنه من القناعة وبشاشته من العصمة وفخذيه من الورع وقدميه من الاستقامة وعلى آله وصحبه. وهذه صلاة الشريف البنوي والقطب العلوي أبي العباس سيدي أحمد البدوي من قالها ليلة الجمعة مائة مرة في موضع خال من الناس، فإنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم وكل مرة منها تعدل مائة ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي هذه: اللهم صل على الشجرة الأصلية النورانية ولامعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخلقة الآدمية وأشرف الصورة الجثمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية من اندرج النبيئون تحت لوائه فهم منه وإليه، فصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ماخلقت ورزقت وأمتّ وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت. وعن ابن العباس[2] رضي الله عنهما قال من قال عشية الجمعة عشر مرات اللهم يادائم

---

(١) السنوسي: أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي الخطابي، مجاهد، من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب نسبته إلى آل «الخطاب» من قبيلة «مجاهر» بالجزائر. ولد وتفقه في «الجغبوب» وأقام في «التاج». توفي في المدينة. كان على علم غزير وأستاذ كبير صنف في أوقات فراغه عدة كتب منها: «الأنوار القدسية» و«الفيوضات الربانية».

(٢) مولده رضي الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلاً يقول له في منامه ياعلي انتقل من هذه البلد إلى مكة المشرفة فإن لنا في ذلك شأناً=

الفضل على البرية ويا باسط اليدين بالرحمة والعطية يا صاحب المواهب السنية، صل على سيدنا محمد خير الورى بالسجية واغفر لنا ياذا العلى في هذه العشية. كتب الله عز وجل له مائة ألف ألف حسنة ومحا عنه مائة ألف ألف سيئة ورفع له مائة ألف ألف درجة، وإذا كان يوم القيامة زاحم إبراهيم عليه السلام في قبته. وهذه الصلاة التي أهداها القطب الرازي إلى ابن العراقي[1] وذكر أن من قرأها كل يوم كان في قلب القطب الذي هو الكعبة الحقيقية محل نظر الله تعالى من هذا العالم وهي هذه: اللهم جدد وجرّد من صلواتك التامات وتحياتك الزاكيات ورضوانك الأكبر الأتم الأدوم على أكمل عبدٍ لك في هذا العالم من بني آدم الذي أقمته لك ظلاً وجعلته لحوائج خلقك قبلةً ومحلاً واصطفيته لنفسك وأقمته بحجتك وأظهرته بصورتك واخترته مستوى لتجليك ومنزلاً لتنفيذ أوامرك ونواهيك في أرضك وسمواتك واسطة بينك وبين مكوناتك، وبلغ سلام عبدك هذا إليه فعليه منك الآن من عبدك أفضل الصلاة وأشرف التحيات وأزكى التسليمات، اللهم ذكّره بي ليذكرني عندك بما أنت تعلم إنه نافع لي عاجلاً وآجلاً على قدر معرفته ومنزلته لديك لا على قدر علمي، ومنتهى فهمي إنك بكل فضل جدير وعلى ما تشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

= وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة. وانتهى بهم المطاف بعد أن تنقلوا إلى مكة المكرمة، وفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له: قم وسر إلى طندتا فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً. وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخنا سيدي عبد القادر وسيدي أحمد الرفاعي، فقالا ياأحمد مفاتيح العراق والهند والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أي مفتاح شئت منها فقال لهما: لاحاجة لي بمفاتيحكما ماآخذ المفتاح إلاّ من الفتاح. ولقب بالبدوي لكثرة مايتلثم بلثامين وتمنى أحدهم أن يرى وجهه فقال ياعبد المجيد كل نظرة برجل فقال: أرني ياسيدي ولو مت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال. مات رضي الله عنه سنة خمس وسبعين وستمائة هـ.

(١) ابن العراقي: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري ولي الدين: قاضي الديار المصرية. مولده ووفاته بالقاهرة. من كتبه (فضل الخيل) و(رواة المراسيل) و(تذكرة).

إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين. وفي كتاب اليواقيت والجواهر قال صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد صلى الله على جبريل فإذا مات زار قبره كل يوم سبع مرات مع سبعين ألف ملك مع كل ملكٍ هديةً، وكان يوم القيامة في ظل جناح جبريل. وسئل العارف بالله سيدي محمد العياشي[1] رحمه الله عن كيفية الصلاة على سيدنا جبريل عليه السلام قال تقول: اللهم صل على سيدنا جبريل سيد أهل السماء، اللهم صل على سيدنا جبريل عدد التراب والماء. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطي من الأجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر» وفي روايةٍ كانت له حرزاً من الشيطان من الجمعة إلى الجمعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من قال بعد أن يقضي الجمعة سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرةً غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زار قبر أبويه أو أحدهما كل جمعة غفر له وكُتب باراً». رواه الطبراني في الصغير والأوسط. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى ليلة الخميس بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرةً وآية الكرسي خمس مرات فإذا سلم استغفر الله خمس عشرة مرة، وجعل لوالديه ثوابها فقد أدى حقهما وإن كان عاقاً لهما». وعن جابر بن عبد الله[2]

---

(١) محمد العياشي: أبو سالم، فاضل من أهل فاس نسبته إلى آية عياش، قام برحلة دوَّنها في كتابه (الرحلة العياشية) سماها (كتاب المواثد).

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. غزا تسع عشرة غزوة. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً وله (مسند).

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من قال اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات حيهم وميتهم كان له بعدد كل مؤمن حي أو ميت من لدن نوح إلى أن قالها حسنة. وقال صلى الله عليه وسلم:من قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان له بكلِ عبد صالح من أهل السموات والأرض من أول الدهر إلى آخره حسنةً. من شفاء ابن سبع ومنه أيضا هذا دعاء علمه جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم من دعا به قضى الله له سبعين ألف حاجةً أدناها المغفرة والعتق من النار وتفريج الهم وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلاَّ الله واحدٌ وحده. بادٍ رشده. صادقٌ وعده. ناصرٌ عبده. لا إله قبله. ولا شيء بعده. اللهم اجعلنا ممن سألك فأعطيته. وتوكل عليك فكفيته. وآمن بك فهديته. واستغاث بك فأغثته. واستجار بك فأجرته. واستعان بك فأعنته). وعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله تعالى في كل قبر من الشرق إلى المغرب أربعين نوراً ووسع الله عز وجل عليهم مضاجعهم وأعطى الله للقاري ثواب ستين نبياً ورفع الله له بكل ميتٍ درجةً وكتب له بكل ميتٍ عشر حسنات ذكره القرطبي في تذكرته». قال صاحب النفحات القدسية بعد أن ذكر هذا الحديث وظاهره أنه ولو كان في بيته وفضل مولانا لا يحصى، وفي التذكرة أيضا من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول[1] الله صلى الله عليه وسلم: «من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرةً ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات». وورد أنه ما من عبد يقف عند قبر أخ من إخوانه ويدعو بهذا الدعاء إلا غفر الله لذلك الميت ذنوب خمسين سنة ويكتب الله تعالى لقائلها خمسةً وأربعين ألف حسنةً ويرفع

(١) كنزُ العمال ج١٥ / ٤٢٥٩٦ الرافعي - عن علي.

له خمسةٌ وأربعينَ ألف درجةً: (وهو الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحداً أحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كما هو أهله فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم شَهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم). ثم يقول: اللهم اجعل ثواب هذه الكلمات لصاحب هذا القبر. ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء من أتاني يوم القيامة وفي صحيفته أربع آلاف مرة بسم الله الرحمن الرحيم ركّزت لواءه إلى قائمة من قوائم العرش وشفّعته في اثني عشر ألف عتيق قد استوجبوا النار، ولولا إني قضيت على كل نفس بالموت ما قبضت روحه ولا يمنعه أن يدخل الجنة إلا أن ينزل به الموت. وعن تميم الداري[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]: «من قال بعد صلاة الصبح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد إحدى عشرة مرة كتب الله له أربعين ألف ألف حسنةً». رواه الديلمي في مسند الفردوس. قال صاحب النفحات القدسية: ومن أراد أن يأمن وسوسة الشيطان فليقرأ عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات: ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾[3] وإن أضاف إليها: ﴿ قل أعوذ برب الناس . . . ﴾. إلى آخر السورة كان أجود. وعن أبي بكر

---

(١) تميم الداري: تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، نسبته إلى الدار بن هانىء، من لخم. أسلم سنة ٩ هـ. وهو أول من أسرج السراج بالمسجد وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين روى له البخاري ومسلم ١٨ حديث.

(٢) كنزُ العمال ج٢ / ٣٥١٧ ابن السني عن تميم الداري.

(٣) سورة فاطر / آية ١٦ .

الكتاني[1] قال: رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت: ادع الله لي أن لا يميت قلبي فقال: قل كل يوم أربعين مرة ياحي ياقيوم لا إله إلا أنت ووقتها بعضهم بما بين فرض الصبح وسنته. وعن الحسن بن علي[2] رضي الله عنهما من قرأ[3] آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى قال بعض العارفين: آية الكرسي خمسون كلمة على عدد الصلوات المأمور بها أولاً في تلك الحضرة، ولعل هذا هو سبب ما ثبت من أنه لا يقرب من يقرأها عند النوم شيطان لأن من كان في حضرة الرحمن عال عن وسواس الشيطان. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياأبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يارسول الله قال ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك قلت: بلى يارسول الله قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني.[4] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى صاحب[5] بلاءٍ فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على

(١) هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني. بغدادي سكن مكة، يعرف بسراج الحرم صحب الجنيد والخراز والنوري. ومن أقواله: عيش الغافلين في حلم الله عنهم، وعيش الذاكرين في رحمته، وعيش العارفين في ألطافه وعيش الصادقين في قُربه.

(٢) الحسن بن علي: بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث وروى أيضاً عن أبيه وأخيه وخاله. كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه هو وأخوه كثيراً ويدعو الله أن يحبهما. اختلفت الروايات في سنة وفاته.

(٣) كنزُ العمال ج١ / ٢٥٦٥ رواه الطبراني وابن منصور. عن الحسين بن علي.

(٤) رواه أبو داود في دعاء قضاء الدين.

(٥) كنزُ العمال ج٢ / ٣٥١٢ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن السني. عن ابن عمر.

كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش». وفي بعض الروايات أنه يقول ذلك في نفسه ولم يسمع صاحب البلاء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك. قال الأبي رحمه الله: قوله أمسيت هو ظاهر في أن قول ذلك عند المساء كافٍ ولا يحتاج إلى تكراره عند دخول الدار ولا عند النوم وأنه لو قاله عند دخول الدار أو عند جلوسه للعشاء لم يحتج إلى تكراره عند النوم وانظر لو كتبت وعلقت، فكان الشيخ يقول يرجى نفعها ولا يلحق بالقول، وقال الشيخ أبو زيد الثعالبي[1] قد لدغتني العقرب في عمري ثلاث مرات فلم أجد لها وجعا إلا مثل قرص النمل أو نحو ذلك وهو الذي يدل عليه الحديث فإنه قال: لم تضرك ولم يقل لم تمسك. وقال في نفائس المرجان في عرائس القرآن روي عن بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا إحملنا فقال: إنكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما قالتا إحملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما قوله تعالى: ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾[2]. ماضرتاه وقال الدميري رحمه الله في حياة الحيوان: أخذ على العقرب أن لا تضر أحداً قال: ﴿ وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد ﴾. وفي العهود الكبرى وأدلك يا أخي على فائدة إذا قرصتك عقرب فادهن دائرة مخرج الغائط بالزيت الطيب فإن الحرقان يبرد في الحال وقد جربنا ذلك مراراً. وأفاد الدميري رحمه الله أن العقرب إذا دقت وألصقت على لسعتها أبرأتها وإذا بخر البيت بزرنيخ أحمر

---

(١) أبو زيد الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، وأبو زيد: مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن).

(٢) سورة الصافات / آية ٧٩.

وشحم البقر هربت منه العقارب، ومن شرب مثقالين من حب الأترج أبرأه من لسعة العقرب. وفي عجائب المخلوقات أنه إذا علق شيء من عروق شجر الزيتون على من لسعته عقرب برىء من ساعته. وعن معقل بن يسار[1] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من[2] استعاذ بالله في اليوم عشر مرات وكل الله به ملكاً يزيل عنه الشيطان». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل». وقال في نوادر الأصول لقي جبريل موسى عليهما السلام فقال: يا جبريل إن ربك يقول: من قال دبر كل صلاة مرةً واحدةً اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرقةٍ يطرق بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم إلى العظيم، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلي منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك قال الحكيم الترمذي: حصلنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار مثله فذلك كله ست عشرة مائة ألف ألف وثمانون ألف ألفٍ هذا ليومٍ وليلة، فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك. وعنه

---

(١) معقل بن يسار: عبد الله المزني: صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان. وسكن البصرة. وتوفي بها، و(نهر معقل) فيها منسوب إليه حفرهُ بأمرِ عمر.

(٢) انظر مجمع الزوائد في باب الإستعاذة من الشيطان ج١٠ عن أنس رواه أبو يعلى.

صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ آية الكرسي[1] دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صدّيق أو عابد، ومن قرأها إذا دخل مضجعه أمّنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله». وقال عليه الصلاة والسلام[2]: «ما قرأت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحرٌ ولا ساحرة أربعين ليلة». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[3]: «من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث الله إليه ملكاً يحرسه حتى يصبح». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ[4] آية الكرسي بعث الله ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة». وعن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: سبع أياتٍ من كتاب الله العزيز إذا قرأتهن لا تبالي ولو انطبقت السموات على الأرض الأولى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[5] الثانية ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخيرٍ فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾[6]

---

(١) رواه البيهقي عن علي ج١ /٢٥٦٩ . وابن حبان وابن السني عن أبي أمامة كنزُ العمال ج١ /٢٥٣٤ - ٢٥٧١ - ج٢ /٤٠٥٦/.

(٢) وفي الحديث «سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن لاتقرأ في بيت وفيه شيطان إلاّ خرج منه» آيةُ الكرسي. الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة. كنز العمال ج١ /٢٥٥٧ .

(٣) ومما ذكر في قراءتها قبل النوم عن علي قال: ماأرى رجلاً ولد في الإسلام، أو أدرك عقله يبيتُ أبداً، حتى يقرأ هذه الآية (الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم) ولو تعلمون ماهي، إنما أعطيها نبيكم من كنزٍ تحت العرش، ولم يُعطيها أحدٌ قبل نبيكم، ومابت ليلةً قط، حتى أقرأها ثلاث مراتٍ أقرأها في الركعتين بعد العشاء والآخرة وفي وتري، وحين آخذُ مضجعي من فراشي.

(٤) كنز العمال ج٢/٤٠٥٨ - ٤٠٥٩ . رواه (الديلمي، وشمس الدين الجزري في كتاب أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب مسلسلاً)، يقول كل راوٍ من رواته، ماتركت قراءتها كل ليلة منذ بلغني هذا الحديث وقال صالح الاسناد.

(٥) سورة التوبة / آية ٥١ .

(٦) سورة يونس / آية ١٠٧ .

الثالثة﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[1] الرابعة﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم﴾[2] الخامسة﴿وكأين من دابةٍ لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾[3] السادسة﴿مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[4] السابعة﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفاتُ ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكاتُ رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾[5] وعن مقاتل رضي الله عنه أنه قال: من كانت له إلى الله حاجة فليدع بهذا الدعاء مائة مرة بعد ما يصلي الصبح قبل أن يتكلم مع أحد، فإن قضى الله حاجته وإلا فليلعن مقاتل وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ياحي ياحليم ياقديم ياداثم يافرد يا وتر يا أحد ياصمد ثم يسأل الله ماشاء. ووجدت في بعض التقاييد من قال بعد صلاة الصبح مائة مرةٍ (اللهم أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب أذنبته عمداً أو خطأً سراً أو علانيةً بليلٍ أو نهارٍ فتح الله له سبعين باباً من الرزق وفتح له في قبره سبعين باباً من الجنة وأعطاه يوم القيامة ما أعطى الصديقين والشهداء والصالحين). وذكر العارف البوني[6] قدس سره أن من قرأ البسملة بعد

---

(١) سورة هود / آية ٦ .

(٢) سورة هود / آية ٥٦ .

(٣) سورة العنكبوت / آية ٦٠ .

(٤) سورة فاطر / آية ٢ .

(٥) سورة الزمر / آية ٣٨ .

(٦) العارف البوني: هو أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس صاحب المصنفات في علم (الحروف) متصوف مغربي الأصل نسبته إلى بونة (بأفريقية على الساحل) توفي بالقاهرة سنة ٦٢٢ هـ. من كتبه (شمس المعارف الكبرى).

صلاة الصبح ألفين وخمسمائة مرة وتوجه لحاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى. وفي شرح البناني للحزب الكبير للشاذلي قدس سره مانصه. «فائدة» يقال من عقد أصابعه بقوله كهيعص حم عسق، فجعل كل حرف مقابلة أصبع ثم دخل على من يخافه وفتح أصابعه في مجلسه وحيث يقابله سواءٌ رآه أو لم يره كانت له حصناً وقبولاً عظيماً وإن أضاف إليها فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم كان سراً عجيباً. وفي المصابيح أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إني رجل كثير النسيان فقال: النبي صلى الله عليه وسلم قل في كل يوم ثلاث مراتٍ اللهم اجعل نفسي مطمئنة تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك وترضى بقضائك وتصبر لبلائك قال فقلت ذلك فما نسيت بعدها. وفي بعض التقاييد من أراد قلة النوم فليقرأ ألم نشرح ثلاثاً ثم يقول اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك واستقناعاً من النوم باليسير. وقال القاضي مجد الدين الشيرازي[1] أن رجلا شكا إلى بعض العلماء قلة النوم، فقال: له إذا أردت أن تنام فاقرأ قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾[2]. وقال الشيخ زروق رضي الله عنه: إذا خطر لك نزوع إلى الذنب فضع يدك على صدرك قائلاً سبحان الملك الخلاق الفعال إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز سبعاً ترى بركة ذلك لوقته لا سيما إن أضفت إليه وجود الإستغفار والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم. وقال بعض العارفين: من خاف على نفسه الرياء فليقل هذا الدعاء كل يوم ثلاث مراتٍ فإنه يأمن منه، وهو اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.وذكر

---

(١) الشيرازي: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيرازي: فاضل امامي، من أهل شيراز وتوفي بها. له «العروة الوثقى» في تفسير القرآن وحواشي منها «حاشية على إلهيات الشفاء».

(٢) سورة الأحزاب / آية ٥٦.

الشيخ سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال: «من ولد له ولد فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان». رواه أبو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه عن الحسين. وفي فوائد الشيخ شهاب الدين الشرحبي رحمه الله تعالى عن بعض الصالحين أنه قال: إذا ضل الإنسان في الطريق فأذن هداه الله إلى الطريق. وقال في موضع آخر وروي عن بعض العلماء أن من أذن في أذن المصروع اليمنى وأقام في اليسرى أفاق بإذن الله تعالى. قال: ووجدت بخط بعض العلماء إذا أردت أن تخرج الجان من الإنسان فأذن في أذنه اليمنى سبع مرات واقرأ الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي والسماء والطارق وآخر سورة الحشر وسورة والصافات كلها فإنه يحرق كأنه في النار. وقال فيه أيضاً ومن الفوائد المكتومة التي لا يعرفها إلا القليل من الناس وجدتها بخط بعض العلماء الكبار أن تكتب الأذان والإقامة على ظهر المحموم فإنه يبرأ سريعاً بإذن الله تعالى، وفيه أن من أذن في قفا المسافر فلا بد أن يرجع بإذن الله تعالى. وفيه وعن علي رضي الله عنه أنه قال: رآني النبي صلى الله عليه وسلم مهموماً فقال لي: مر بعض أهلك أن يُؤذّن في أذنك فإنه دواءٌ للهم قال ففعلت فزال ذلك عني.[2]

وعنه رضي الله عنه مرفوعاً «إذا رأيت الهلال أول الشهر فقل الله أكبر ثلاثاً الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدّر لك منازل وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة ويقول يا ملائكتي اشهدوا إني قد أعتقت هذا العبد من النار». كذا في نزهة المجالس للصفوري وروى أبو داود وابن حبان عن

---

(١) كنز العمال ج١٦ / ٤٥٤١٤ ، رواه أبو يعلى في مسنده عن الحسين.

(٢) كنز العمال ج٢ / ٣٤٨٩ ، رواه أبو داود وبن حبان عن عثمان.

عثمان بن عفان رضي الله عنه من قال حين[1] يمسي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مراتٍ لم تصبه فجأة بلاءٍ حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاءٍ حتى يمسي، وفي رواية الترمذي لم يضره شيء وعنه صلى الله عليه وسلم[2] أنه قال: «إذا أصاب أحدكم همٌ أو حزنٌ فليقل سبع مراتٍ الله ربي لا أشرك به شيئاً». رواه النساءي. وذكر ابن الخطيب في المستطرف قال صلى الله عليه وسلم: «من قال عند مطعمه ومشربه باسم الله خير الأسماء لم يضره ما أكل وما شرب». وفي الحصن الحصين أن من خاف سلطاناً أو ظالماً فليقل الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذي لا إلـه إلا هو يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك ولا إله غيرك ثلاث مرات رواه الطبراني. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل منهما رأس صاحبه ويتفرقان على هاته الكلمات باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله باسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الحرق والغرق والسرق. قال الراوي: وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب. وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :من ساء خلقه من الرقيق والدابة والصبيان فاقرءوا في أذنه ﴿ أفغير دين الله

(١) كنز العمال ج٢ / ٣٤١٢ ، رواه النسائي عن عمر بن عبد العزيز.
(٢) كنز العمال ج١٥ / ٤١٦٦٦ ، رواه ابن عساكر عن أنس.

تبغون ﴾ الآية. وفي فوائد الشرحبي رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿ فإن[1] تولوا فقل حسبي الله ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿ فسيكفيكهم[2] الله وهو السميع العليم ﴾ هذه الآيات إذا تلاها الإنسان على الذي تخيل له الخيالات الفاسدة زال عنه ذلك بإذن الله تعالى. وفي صحيح أبي داود عن أبي الدرداء يرفعه من قال إذا أصبح[3] وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً وقال الشيخ زروق رحمه الله تعالى في شرحه على حزب البحر وقد جاء في الحديث من قال: «فإن تولوا فقل حسبي الله» الآية. بعد صلاة الصبح سبع مراتٍ كفاه الله يومه ذلك وإن لم يكن صادقاً في توكله، وإن قالها مساءً فكذلك حتى يصبح. ونقل عن الغزالي رضي الله عنه الحديث السابق بزيادة كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته، ثم قال فقف على هذه واغتبط فإن كثيراً من الأذكار تكون موقوفة على الصدق والحضور وقد عمت الرحمة في هذا الذكر لسائر الذاكرين وحصلت الكفاية من الهموم الدنيوية والأخروية لمن وفقه الله تعالى للنطق به، وإن لم يكن له قدم في التوكل فهذه نعمة لا يقدر قدرها ولا يقام بواجب شكرها، فله تعالى الحمد ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً. وفي فوائد الشرحبي رحمه الله تعالى هذا حرز مبارك أي فَاتْلُهُ تحفظ به ويرفع نوره أستارك وهو باسم الله الخالق الأكبر حرزٌ مما أخاف وأحذر لا قدرة لمخلوقٍ مع قدرة الله تعالى كهيعص حم عسق وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً وحسبنا الله ونعم الوكيل. وفي طبقات الشيخ الشعراني عند ترجمة السيد محمد الحنفي قدس الله سرهما وكان رضي الله عنه يلقن الخائف من الظالم

---

(١) سورة التوبة / آية ١٢٩.

(٢) سورة البقرة / آية ١٣٧.

(٣) كنز العمال ج٢ / ٣٥٨٨، رواه ابن السني وابن عساكر عن أبي الدرداء.

ويقول له إذا دخلت على ظالم، فقل باسم الله الخالق الأكبر حرزٌ لكل خائف لا طاقة لمخلوقٍ مع قدرة الله عز وجل فيرجع إليه والخلعة عليه. وفي فوائد الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى أن من كتب آية ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة إلى الصدور ﴾[1] وآية ﴿ محمد رسول الله إلى آخر ﴾[2] السورة وعلقهما عليه كان ملطوفاً به في جميع أحواله ونصره الله على أعدائه وفرج عنه كل هم وغم، وهما ينفعان للأمراض الظاهرة والباطنة دهناً وشرباً يكتبان في إناء نظيف ويمحى بدهن وردٍ وزيتٍ ويطلى به على كل ألم كالثآليل والجراحات والنفخ فيزول ذلك عن قريب وهو مجرب صحيح. وقال العارف البوني رحمه الله تعالى في خواص حرف الميم وإذا كتبت أربعين مرة وكتب معه ﴿ محمد رسول الله إلى آخر السورة ﴾ العدد المذكور وحمله إنسان فتح الله عليه الأمور الخفية إلى الكشف عن عوالم الملك والملكوت. وقال الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى في فوائده: ومن الذخائر النفيسة أن من كتب اسمه تعالى ودود في خرقة حرير أبيض وكتب معه مدوراً به محمد رسول الله خمساً وثلاثين مرةً، وأحمد رسول الله كذلك بعد صلاة الجمعة رزقه الله تعالى القوة على الطاعة والبر وكفاه همزات الشياطين، وحامله يرزقه الله تعالى هيبة في قلوب العباد واستدام النظر إليه كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كثرت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم وتيسرت عليه أسباب يومه، وقال أيضاً: ومن الفوائد إن من أراد أن تلد امراته الذكور فليضع يده اليمنى على صدرها وهي نائمة ويمسح على سرتها في أول حملها ولو في مبتدأ الثالث في الشهور، وليقل ثلاثاً اللهم إن كنت خلقت خلقاً في بطن هذه المرأة فكونه ذكراً واسميه أحمد بحق محمد صلى الله عليه وسلم رب لا تذرني

---

(١) سورة آل عمران / آية ١٥٤.

(٢) سورة الفتح / آية ٢٩.

فرداً وأنت خير الوارثين. وقال الشيخ مصطفى البكري رحمه الله تعالى عن بعض الصالحين من أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فليصل ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب مرة والإخلاص مائة مرة فإذا فرغ قال ثلاث مرات ياحسن ياجمل يا منعم يا متفضل أرني وجه محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه يراه إن شاء الله تعالى، وقال آخر من أراد رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام فليصل ركعتين يقرأ فيهما ما شاء وليقل مائة مرة يا نور النور يامدبر الأمور بلغ عني روح محمد عليه الصلاة والسلام تحيةً وسلاماً.

ومن الترغيب والترهيب عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مؤمن يصلي ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص خمس عشرة مرة ثم يُسلم ويقول ألف مرة صلى الله على محمد النبي فإنه يراني في المنام ومن رآني غفر له الذنوب».

وقال بعض العارفين: إذا أراد الإنسان أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم أو أحداً من الموتى الأولياء أو غيرهم فيخبرونك بالمخرج مما أنت فيه، فتوضأ والبس ثياباً طاهرةً ونم مستقبل القبلة على يمينك واقرأ والشمس وضحاها سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات ثم قل اللهم أرني في منامي ما أستدل به على إجابة دعوتي، فإنك ترى في تلك الليلة أو الثانية أو الثالثة إلى السابعة ما طلبت فإن لم تر شيئاً فذلك لشيء من أمرك وهذه من الأسرار المخزونة المنقولة عن الثقات. ووجدت بخط من يوثق به أن من قرأ سورة القدر مائة مرة عند الزوال أراه الله النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الشيخ مصطفى البكري رضي الله عنه: قال بعض الصالحين: أصابني وجع شديد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قد وضع يده على رأسي وقال: بسم الله، ربي الله، ماشاء الله، لا قوة إلا بالله، ثم قال استكثر من هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل سقم وفرجا من كل كرب ونصراً على

الأعداء. وفي الأربعين الإدريسية يا قاهر ياذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه، قال بعض العارفين: يكتب على جام صيني لحل المعقود وعلى ثوب المحارب في وقته لقهر الأعداء وغلبة الخصوم. وفي الأربعين الإدريسية أيضاً سبحانك يارب كل شيء ووارثه ورازقه. قال السهروردي[1]: المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاة الأمر فإذا أراد ذلك وقف قبالة المطلوب وقرأه سبعين مرة، ومن تلاه عشرين مرة على الريق رزق ذهنا يفهم به الغوامض، وإن قرأه المسجون بعد صلاة الجمعة مائة مرة سرح، والمريض يبرأ وكذلك المضيق عليه يفرج عنه. وفي شفاء ابن سبع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إذا كانت لك حاجةً إلى البخيل الشحيح أو السلطان الجائر أو إلى غريمٍ فقل اللهم أنت العزيز الكبير وأنا عبدك الضعيف الذليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم سخر لي فلان كما سخرت البحر لموسى بن عمران وألن لي قلبه كما ألنت الحديد لداود عليه السلام فإنه لا ينطق إلا بإذنك ناصيته في قبضتك وقلبه بيدك تُقَلِّبُهُ كيف تشاء ثم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر أنا ضامن لمن قالها موقنا أنه لا يخيب من قضاء حاجته إن شاء الله تعالى». وقال محي الدين النووي في أذكاره: روينا في كتاب ابن السني عن طلق ابن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء[2] رضي الله عنه فقال: ياأبا الدرداء قد احترق بيتك فقال: مااحترق

---

(١) هو الشيخ أبو النجيب عبد القادر السهروردي رضي الله عنه ويلقب بضياء الدين ونجيب الدين، ونسبه ينتهي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انعقد عليه اجماع العلماء بالاحترام وأوقع الله عز وجل له القبول التام في الصدور والمهابة الوافرة في القلوب. سكن بغداد إلى أن مات بها سنة ثلاث وستين وخمسمائة ودفن بمدرسته على شاطىء دجلة وقبره بها.

(٢) أبو الدرداء: ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الإمام الرباني ويقال هو حكيم هذه الأمة، قيل إن اسلامه تأخر إلى يوم بدر ثم شهد أُحداً وأبلى يومئذ بلاءً حسناً وحفظ القرآن عن رسول الله صلى=

لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وفي بعض الروايات أنه تكرر مجيء رجل إليه يقول له أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول ما احترقت لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال حين يصبح هذه الكلمات لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه وقد قلتها اليوم ثم قال انهضوا بنا فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء بإذن الله تعالى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل». وروى أبو نعيم[2] عن شداد بن أوس[3] قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حسبنا[4] الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف». وروى ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي

= الله عليه وسلم وكان عالم أهل الشام ومقرىء أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم. روى جملة أحاديث. آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان. مات سنة اثنتين وثلاثين.

(١) كنز العمال ج٢ / ٣٤١٧، رواه ابن مردويه عن أبي هريرة.

(٢) أبو نعيم: ابن دكين عمرو بن حماد الحافظ الثبت الكوفي الملائي التاجر من موالي طلحة بن عبيد الله التيمي. كتب عن أزيد من مائة شيخ. كان غاية في الاتقان والحفظ ولد سنة ثلاثين ومائة ومات سنة تسع عشرة ومائتين شهيداً بالخوانيق وبورشكين.

(٣) شداد بن أوس: شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى: صحابي من الأمراء ولاه عمر إمارة حمص ولما قتل عثمان اعتزل وعكف على العبادة. كان فصيحاً حليماً حكيماً. توفي في القدس عن ٧٥ سنة وله في كتب الحديث ٥٠ حديثاً.

(٤) كنز العمال ج٢ / ٣٤٤٥، أخرجه أبو نعيم عن شداد بن أوس.

صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته ثم تنفس الصعداء وقال حسبي الله ونعم الوكيل. وقال الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه في كتاب الإرشاد حفيظة للمسافر قال: تخط خطا دائراً على حوائجك وجميع ما معك ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ وتجعل من نون معرضون دائرة محيطة بجميع ما معك فإن الله تعالى يعمي عنك أبصار الظالمين بقدرته. وعن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال إذا ركب دابة باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء سبحانه ليس له سمي سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام قالت الدابة بارك الله في سفرك وأنجح حاجتك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال[1]: «إذ ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله ردفه الشيطان فقال تَغَنَّ فإن كان لا يحسن الغناء قال تمنّ ولا يزال في أمنيته حتى ينزل». وروى ابن السني عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال[2]: «إذا انفلت دابة أحدكم فليناد ياعباد الله احبسوا فإن لله عز وجل في الأرض حاصراً وفي روايةٍ حابساً يحبسه». قال محي الدين النووي رحمه الله حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله تعالى عليهم في الحال. قال: وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منهم بهيمة وعجزوا عنها، فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. وفي كتاب البدائع لابن القيم أن عشرة أشياء إذا فعلها الإنسان حفظ من الشيطان أولها الاستعاذة،

---

(١) كنز العمال ج٩ / ٢٤٩٩٥ أخرجه الديلمي عن ابن عباس.

(٢) كنز العمال ج٦ / ١٧٤٩٦ أخرجه أبو يعلى في مسنده وابن السني والطبراني عن ابن مسعود.

والثاني المعوذتان، والثالث آية الكرسي، والرابع أوائل سورة البقرة، والخامس خاتمتها وهي من آمن الرسول إلى آخر السورة، والسادس لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فمن قالها مائة مرة كانت له حرزاً من الشياطين، والسابع ذكر الله، والثامن الوضوء، والتاسع الصلاة، والعاشر ترك الفضول من الكلام والطعام وترك النظر ومخالطة الناس فإن الشيطان يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فنسأل الله العظيم أن يحفظنا من كيد الشيطان الرجيم.

وفي فوائد الشرحبي رحمه الله ومن قال عند الدخول على من يخاف شره: ﴿ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني ﴾[1] الآية. لم يضره شيء بإذن الله. وفيها أيضاومما يقال عند الدخول على الملوك: ﴿ قال رجلان إلى مؤمنين ﴾[2]. ﴿ فلما رأينه أكبرنه إلى كريم ﴾[3]. ﴿ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾[4]. ﴿ لاتخف نجوت من القوم الظالمين ﴾[5]. ﴿ لاتخف دركاً ولاتخشى ﴾[6]. ﴿ لاتخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾[7]. ﴿ لاتخف إني لايخاف لدي المرسلون ﴾[8]. وفيها أيضاً أن من كتب قوله تعالى: ﴿ قال رجلان إلى مؤمنين ﴾. في رق غزال بزعفران وكتب معها اسم من يريد واسم أمه وبخره بعود وند، فإذا أراد الدخول على الملوك والولاة والظلمة حمله معه خرست عنه ألسنتهم وقصرت عن نظره عيونهم ولا يستطيعون الكلام في حقه إلا

---

(١) سورة الإسراء / آية ٨٠.
(٢) سورة المائدة / آية ٢٣.
(٣) سورة يوسف / آية ٣١.
(٤) سورة القصص / آية ٣١.
(٥) سورة القصص / آية ٢٥.
(٦) سورة طـــه / آية ٧٧.
(٧) سورة طـــه / آية ٤٦.
(٨) سورة النمل / آية ١٠.

بخير. ومن قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاثة مرات، وآية الكرسي ثلاثة مرات وآخر التوبة ومضى في حاجة عند السلطان أو غيره رجع محفوظاً مسروراً بقضاء حاجته، ومن داوم على قراءة سورة القدر عند المصائب والكروب فإن الله يحفظه ويمحي الفقر من بين عينيه، ومن قرأها بعد الوتر سبع مرات استغفرت له الملائكة إلى طلوع الفجر، وخرج من قبره وهو يتلألأ نوراً ويعطيه الله كتابه بيمينه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الجنة. ومن واظب على قراءتها بعد صلاة الجمعة خمساً وعشرين مرةً كتب الله له بها ثواب ألف حجة وثواب ألف غزوة ويكتب له ثواب من صلى الجمعة ويخرج من قبره وهو يقرؤها حتى يدخل الجنة آمنا مطمئنا من أهوال يوم القيامة. ومن ضلت له ضالة فليتوضأ ويصلي ركعتين الأولى بالضحى بعد الفاتحة والثانية بسورة القدر بعد الفاتحة ثلاثة مرات، فإذا فرغ من صلاته قرأ الضحى والقدر وآية الكرسي والذي خلقني فهو يهديني إلى بقلب سليم فإن الله يحفظه ويحفظ الضالة من الآفات ويردها عليه، ومن قرأها بعد الفجر عشر مرات نظر الله إليه سبعين نظرةً ورحمه سبعين رحمةً وقضى له سبعين حاجةً أولها المغفرة لذنوبه ولوالديه ولجيرانه، ومن قرأها عند نزول المصائب إحدى وعشرين مرةً حفظه الله وعصمه من جميع العصيان حتى يكون من أعبد الناس، ومن قرأها يوم الجمعة ألف مرة نوَّر الله قلبه وكتبه من الصابرين الصادقين الموفقين ومن كتبها خمسا وعشرين مرةً في إناء وشربها لم ير في جسده شيئا يكرهه وعافاه الله من جميع العلل والأسقام ومن حافظ على قراءتها كل ليلة سبع مرات وليلة الجمعة خمسا وعشرين مرة لم يمت حتى ينزل رضوان عليه ويسقيه شربة من الجنة فيموت وهو ريان لا يلحقه عطش بعدها أبداً، فإذا كان يوم القيامة بعث الله إليه ألف ملك يحفظونه من أهوال يوم القيامة ويكون في ظل

العرش على كرسي من نور ومن لازم قراءتها حفظ الله لسانه من الكذب وعينه من الخيانة وبطنه وفرجه من الحرام، وكتبه من الصابرين الصادقين القانتين وجعله ينطق بالحكمة ويحفظه في أهله وماله وولده وجيرانه وتصافحه الملائكة حتى يخرج من القبر وتبشره برضوان الله وجنته وينجيه الله من أهوال يوم القيامة ويكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. كذا بخط من يوثق به، وفي كتاب النورين في إصلاح الدارين ومن أخذ من تراب القبر بيده وقرأ عليه سورة القدر سبعاً ووضعه في القبر لم يعذب صاحبه. ونقل عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه أنه قال ينبغي لكل عاقل أن يفدي نفسه من النار بفدية لا إله إلا الله محمد رسول الله سبعون ألفاً بشرط الجمع بين اللفظين فإن تركه ولو مرةً لم يحصل الفداء، وينبغي أن يقول صلى الله عليه وسلم مرتين أو أكثر ليخرج من حديث من ذكرت عنده فلم يصل علي، ولايشترط إيصال ذلك العدد بل في يومين أو أشهر أو أقل وفدية قل هو الله أحد مائة ألف مع البسملة، وفدية البسملة ثمانمائة، وفدية سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة بعد صلاة عصر الجمعة، وفدية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة. ومما وجد بخط من يوثق به إذا قرأ المسجون أو المأسور ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ألف مرة في مجلس واحد خلصه الله تعالى معجلاً، وقد جرب ذلك فصح والحمد لله. وذكر القشيري في رسالته عن عقبة بن عامر أنه كان ضرير البصر فدعا بقوله يا قريب يامجيب ياسميع الدعاء بالطيف لما يشاء فرد الله عليه بصره.

وعن بعضهم قال كنت كثير الاحتلام فشكوت لبعض الصالحين، فقال لي إذا آويت إلى فراشك فاقرأ والسماء والطارق إلى قوله فمالله من قوةٍ ولا ناصر، فإنه يذهب عنك قال ففعلت ذلك فانقطع عني والحمد لله.

ووجدت بخط من يوثق به من كتب سورة القارعة في طاسة ومحاها ورش البيت بمائها فإن جميع الهوام التي في ذلك البيت تنتقل وترتحل بإذن الله تعالى ومن كتب سورة القدر ومحاها وشرب ماءها سلم من ألم الجوف. وقال صاحب النفحات القدسية وهذه فائدةٌ جليلةٌ تكتب في إناء وتمحى بالماء ويغسل بها العينين، فإنه يأمن من العمى وإن شرب الماء لم تقع من شاربه معصية وهي أسماء ثمانية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم. معاذ بن جبل، وعثمان ابن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وتميم الداري، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير ابن العوام. رضي الله عنهم أجمعين. ومما وجد بخط العارف بالله تعالى محيي السنة المحمدية والطريقة الصوفية سيدي محمد بن ناصر الدرعي أعاد الله علينا من بركاته آمين ما نصه: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن ربيعة، وسعد بن أبي وقاص، وعبيدة ابن عبد الصمد، وخالد ابن الوليد المخزومي، والمقداد بن عمر الكندي، وعمران بن أمية الضمري، وعمر بن أويس القرشي، وأبو دجانة الأنصاري، وحمزة بن عبد المطلب، والعباس ابن مرداس، وعبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وحذيفة ابن اليمان، ومحمد بن عمر بن ربيعة الأنصاري بن سعيد، وسعيد بن مقاتل، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو طلحة الأنصاري، وعمرو بن العاص، وسلمة بن الأكوع، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأنس ابن مالك، وأبو هريرة، وبلال بن حمامة، أربعة وأربعون هؤلاء جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم من

كتبهم وجعلهم في خزينة لم يكشف ومن قرأهم على مريض برىء بإذن الله تعالى ومن جعلهم في حرز وعلقهم في عنق الميت أو بين أكفانه لم ير وحشة القبر بإذن الله تعالى. وفي النفحات القدسية أن من كتب أسماء الفقهاء المدنيين وجعلهم في حب لم يسوس ومن علقها من به صداع زال عنه بإذن الله تعالى وهي منظومة في هذين البيتين.

الأكل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفي الفتح المبين الزهاد الثمانية من ذكرهم وهو في مرض عوفي بإذن الله وإن مسات حشر معهم ومن كتبهم ، وعلقهم في عنق الميت لم يسأل في قبره ، وهم الحسن البصري . وهرم بن حبان . والربيع بن خيثم . والأسود ابن يزيد. وعامر بن عبد الله بن قيس. وأبو مسلم الخولاني ومسروق ابن الاجدع. وأويس القرني وفي النفحات القدسية من ذكرهم غفرت ذنوبه، ومن ذكرهم عند نومه حشر معهم يوم القيامة، ومن ذكرهم على وجع به أو بغيره برىء بإذن الله تعالى. وقال ابن الحاج[1] في مدخله نقل عن الشيخ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أن ولده مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه واشتد عليه الأمر قال، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت له ما بولدي فقال لي أين أنت من آيات الشفاء، فانتبهت ففكرت فيها فإذا هي في ست مواضع من كتاب الله عز وجل وهي قوله تعالى: ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾[2]. ﴿ وشفاءٌ لما في الصدور ﴾[3]. ﴿ يخرج من بطونها

(١) ابن الحاج: إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري أبو القاسم المعروف بابن الحاج، أديب أندلسي، من كبار الكتاب، ولد بغرناطة ورحل إلى المشرق فحج وعاد إلى الأندلس وولي القضاء بالقليم، له شعر جيد وتصانيف منها (تنعيم الأشباح في محادثة الأرواح).

(٢) سورة التوبة / آية ١٤ـ

(٣) سورة يونس / آية ٥٧ .

شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاءٌ للناس ﴾.[1] ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ﴾.[2] ﴿ وإذا مرضتُ فهو يشفيني ﴾.[3] ﴿ قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ ﴾.[4] قال فكتبتها في صفحة وحللتها بالماء وسقيته، فكأنما نشط من عقال أو كما قال: وقد جمعها بعضهم تقريباً للحفظ فقال:

وبشف شـــفاء يخرج وننزل ومهمى تزد إذا وقل كلمت ست

ومن شرح الجامع الصغير للعزيزي في حرف العين ما نصه ومما جرب نفعه للاستشفاء، أنه يكتب آيات الشفاء الست ثم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد. أي والله. أي والله. أي والله. الله الصمد. أي والله. أي والله. أي والله. لم يلد ولم يولد. لا والله. لا والله. لا والله. ولم يكن له كفؤاً أحد. لا والله . لا والله. لا والله. رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. ومن رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي ما نصه وممن اجتمعت به في الديار المصرية وسررت بالاجتماع به الإستاذ المقري الشيخ محمد البقري وإليه انتهت اليوم بالديار المصرية رئاسة علم القرآآت إلى أن قال: ومما استفدناه منه أيضا تكتب الفاتحة أحرفاً مقطعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الأحرف ف ج ش ث ظ خ ز بماء ورد وسكر وتشربها فإنها تزيل جميع ما في الإنسان من الأوجاع بقدرة الله تعالى. وعن العلامة المقري قال نقلت من خط الإمام سيدي محمد بن يوسف السنوسي أنه وجد بخط الإمام سيدي عبد الله

(١) سورة النحل / آية ٦٩ .
(٢) سورة الإسراء / آية ٨٢ .
(٣) سورة الشعراء / آية ٨٠ .
(٤) سورة فصلت / آية ٤٤ .

العبدوسي هذه الحروف تكتب في كف العليل ويلعقها على الريق هـ ع ا ل ك ا ح ا ح رح هذه الحروف الإحدى عشرة تكتب معها البسملة والفاتحة لجميع الأمراض وتكتب في ثلاث بروات وفي الكف للمسقوم وفي الجبهة للصداع والحمى وغير ذلك وأنشدوا في ذلك.

إن شئت برء من الألام والسقم فثق بقول ذوي الأحكام والحكم
والعق على الريق ما بالكف تكتبه وهي حروف أتت أولى لذي الكلم
هم عالجوا ألمي لمّا كبا أملي حتى استلقت حياتي رب حيهم

ومما نسب للشيخ سيدي أحمد بن ناصر رضي الله عنه أنه يكتب للحفظ سبع آيات من القرآن العظيم وهي: ﴿ وعلم آدم[1] الأسماء كلها ﴾. ﴿ وعلّمناه من لدنّا علماً ﴾[2]. ﴿ قال له موسى هل أتبعك[3] على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾. ﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني[4] يفقهوا قولي ﴾. ﴿ وقل رب زدني علماً[5] ﴾. ﴿ سنقرئك[6] فلا تنسى ﴾. ﴿ علّم الإنسان[7] مالم يعلم ﴾ تكتب للطفل قبل الرضاع في إناءٍ طاهر وتمحى بماء زمزم أو غيره، وتسقى له وللكبير أيضا لكن في سبع رغائف من القمح كل رغيفة بآية، ويفطر بها سبعة أيام متواليات كل يوم برغيفةٍ. ووجدت في بعض التقاييد فائدةً للفهم تكتب في سبع تمراتٍ وتفطر كل يوم بواحدة. تكتب في الأولى: ﴿ قال رب

(١) سورة البقرة / آية ٣١.
(٢) سورة الكهف / آية ٦٥.
(٣) سورة الكهف / آية ٦٦.
(٤) سورة طـه / آية ٢٧.
(٥) سورة طـه / آية ١١٤.
(٦) سورة الأعلى / آية ٦.
(٧) سورة العلق / آية ٥.

اشرح لي صدري ﴾. وفي الثانية: ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾. وفي الثالثة: ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾. وفي الرابعة: ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾. وفي الخامسة: ﴿ علم الإنسان مالم يعلم ﴾. وفي السادسة: ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾. وفي السابعة: ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾. ووجدت بخط من يوثق به تكتب في الكف ميكائيل عزرائيل جبرائيل إسرافيل فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين كهيعص حم عسق ن والقلم ويلعق على الريق مجرب للحفظ والفهم. وقال جماعة من العلماء رضي الله عنهم من تعسر عليه الحفظ فليكتب ألم نشرح لك[1] صدرك إلى آخر السورة ويمحوها ويشربها، فإنه يتيسر له الحفظ إن شاء الله تعالى. ورأيت بخط من يثق به نظماً في المعنى وهو هذا.

فائدة للحفظ إن كنت تريد ... من العلوم والقراءة تزيد
مرويةً عن خير خلق الله ... محمد نبينا الأواه
صلى عليه الله ما هب الفرج ... فانزاح من هبوبه مزن الحرج
قال رسول الله جاءني الأمين ... بتحفة من عند رب العالمين
فيا ابن عباس ألا أهديكها ... قال نعم قال فمني هاكها
تكتب يس بماء الورد ... وزعفران جيد بالجد
وسورة الملك بغير نكر ... وواقعة تضيفها للحشر
وسورة الإخلاص مع أم الكتاب ... والناس والفلق عوفيت العتاب
وست آيات من أول الحديد ... ومعها الدخان حقاً فتزيد
ولتمح ما كتبته بما المطر ... أو ماء زمزم إذا كان حضر
وإن تعذر وجود ما أصف ... من المياه فخذ الماء النظف

(١) سورة الشرح / آية ١ .

لاسيما إن كان من عين جرت ... فخذه من حيث المكان انفجرت
وتلق فيه جزء لوبان ذكر ... وزن ثلاثة مثاقيل ذكر
ووزن عشرةٍ من المثاقل ... من عسلٍ صافٍ يروق العاقلِ
بغير نارٍ قد تكون قطعت ... واحفظها إن قطعتها ووضعت
ومثل هذا الوزن سكر عجيب ... ولتعتن بشأنه ياذا اللبيب
تشربه بعد السحور دون مين ... وبعد شربه تصلي ركعتين
في الركعة الأولى بأم القرآن ... تقريرها عشرةً بلا توان
وسورة الإخلاص خمسين تزيد ... في كل ركعةٍ فمن ذا يستفيد
وبعد فعلك تمام الركعتين ... تصبح صائماً غداً من دون مين
فإن تكن أمياً ارتقيت ... بالحفظ قد تعبت من لقيت
وكل ما يطرق عمعك تعيه ... بعد بلادتك قد صرت نبيه
فلتحمد الله على الفطانه ... ولتطلبن مولاك في الديانه
فإنه يجيب من دعاه ... إذ ليس للعبد سوى مولاه
ذكرتها محذوفة الرواية ... إذ لا يؤول نظمها للغايه
عدتها إذا أردت عدها ... كو تجده حين تتلو سردها

* * *

وذكر الشيخ سيدي أحمد الأسقاطي أن من كانت له إلى الله حاجة، أو كان في كربٍ أو شدةٍ فَلْيُصَلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ما تيسر ويكرر هذين البيتين مراراً، فإنَّ حاجته تقضى كائنةً ما كانت ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما:

يارسول الإله أنت المرجى ... والوجيه المشفع المقبول
قد أتيناك في حوائجٍ فاسأل ... ربك اليسر فهو نعم الوكيل

وكذلك هذان البيتان

إليك رسول الله أشكو نوائباً مدى الدهر لا يقوى لها متحمل
وإني لأرجو أنها بك تنجلي لأنك لي جاه وحصنٍ[1] ومعقل

وكذلك أيضاً هذان البيتان

نبيَّ الهدى ضاقت بي الحال في الور ى وأنت بما أمّلت فيك جدير
فسل خالقي تفريج كربي فإنه على فَرَجِي دون الأنام قدير

وكذلك أيضا هذان البيتان يُذكران ثلاث مرات

كم حاصرتني شدةً بجيشها وضاق صدري في لقاها وانزعج
حتى إذا أيست من زوالها جاءتني الألطاف تسعَ بالفرج

وكذلك أيضا هذان البيتان

بتدبير مولاك كن راضياً ولا تنزعج أبداً من حرج
جرت عادة الله في خلقه إذا ضاق أمرٌ أتى بالفرج

وكذلك بيتا الإمام علي كرم الله وجهه

رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يُحسن فيما بقي

* * *

وقال الشيخ العارف أبو عبد الله محمد السكاك تلميذ ابن عباد شارح الحكم مانصه: ومما جرب أيضاً لدفع الشدائد والأزمات قراءة قصيدة البردة وذلك أن ناظمها كان له قصد صالح ودعا له قطب زمانه بالتأييد، ففتح الله

(١) حِصْنٌ: بمعنى التحصين وليس كِصْنٌ. كما هو في الأصل.

عليه في أبيات منها فمن الحزم تعاهدها بالقراءة، وقد كانت الشدائد تنزل بأهل القطر فأتوضأ وأقرؤها فما أُتم آخرها إلا والأمان قد نزل ببركة حبيب الله صلى الله عليه وسلم وربما قرأتها في الساعة الواحدة مراراً فأجد لذلك بركة ومن عجز عن قراءتها كلها فليقرأ أبياتاً منها وهي:

محمد سيد الكونين والثقلين ... والفريقين من عُربٍ ومن عجم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هول من الأهوال مقتحم
دع ما ادعته النصارى في نبيّهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ ... وأنه خير خلق الله كلهم
وقاية الله أغنت عن مضاعفةٍ ... من الدروع وعن عال من الأطم
ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به ... إلا ونلت جواراً منه لم يضم
يا خير من يمم العافون ساحته ... سعياً وفوق متون الأينق الرسم
ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأُسد في آجامها تجم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ومما قيل في فضل البردة أنها ما كانت في دار فحرقت، ولا في سفينة فغرقت، ولا في قافلة فنهبت، وهذه القصيدة بركاتها كثيرةٌ، وهي بذلك شهيرةٌ فلتقرأ في طلب الحاجات، ونزول المهمات فهي كبيرة البركات عظيمة الخيرات، وقد رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهذه القصيدة المباركة تُنشد بين يديه، وقد تواجد عند ستة أبيات الأول فكيف تنكر حباً. الخ الثاني فاق النبيئين الخ الثالث وكلهم من رسول الله الخ، أكرم بخلق نبيٍ الخ الخامس كالزهر في ترفٍ الخ، السادس فحزت كل

فخارٍ. . . الخ ، من بعض شروحها . وقال الشيخ عبد السلام[1] في آخر كلامه على خواص البردة: وبالجملة فإنها تقرأ عند نزول الشدائد ولذلك سميت قصيدة الشدائد المحتوية على جميع الفوائد ما قرأها أحدٌ عند نزول الشدائد إلا فرَّج الله عنه، وما قرئت في سفينة هال عليها البحر إلا سلمت وكذلك المريض إذا قرئت عنده شفاه الله، أو عند المسجون أخرجه الله سالماً، وما حملها مسافرٌ في برٍ ولا بحرٍ إلا سلِمَ من غوائل السفر وربح في سفره وبالله سبحانه وتعالى التوفيق. وقال الشيخ السكاك تلميذ ابن عباد ومما جرب أيضا يعنى لدفع الشدائد والأزمات القصيدة الأربعشرية لقطب وقته أبي الحسن علي بن وفا رضي الله عنه ولي عليها شرح شهير البركة والبرهان وهي هذه.

سكن الفؤاد فَعش هنيئاً ياجسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن ... جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه ... لاخوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تخشى فقراً فعندك بيت من ... كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ... هو في المحاسن كلها فردٌ أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها ... أعلى علي سار أحمد من حمد
روح الوجود حباه من هو واحد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جماله ... عبد الجليل مع خليل وما عنَد
لكن جمال الله جَلَّ فلا يُرى ... إلا بتخصيصٍ من الله الصمد
فأبشر بمن سكن الجوانح منك يا ... من قد ملأت من المنى عيناً ويد

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش ـ السيد الشريف الحسني. أحد أئمة العارفين وأكابر المرشدين الكاملين. وكان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من أجَل خلفائه. توفي سنة (٦٢٢ هـ) قدس الله سره.

عين الوفا معنى الصفا سر الندى نور الهدى روح النُهى جسد الرشد
هو للصلاة مع السلام المرتضى الجامع المخصوص ما دام الأبد

* * *

ومن ذلك أيضا حسبي الله من كل شيء الله يغلب كل شيء ولا يقوم لأمر الله شيء وقال أيضاً الشيخ السكاك المذكور: وأخبرني بعض أهل البيت قال: وجدت بمراكش في بعض كتب المؤرخين هذا الحصن الحصين وعد له فضائل، وهو جعلت نفسي في حمى الله الذي لا يرام، وفي جوار الله الذي لا يضام. وفي منعة الله التي لا تدرك وفي ستر الله الذي لا يهتك وفي جند الله المنيع. وفي ودائع الله التي لا تضيع، وجوار الله محفوظ. ومن اعتصم بالله معصوم وجل جلال الله. ولا يخلو مكان من الله، وذلت عين نظرتني بإذن الله. وسبحان الله والحمد لله. ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. أشرق نور الله، وظهر كلام الله، ونفذ حكم الله. وثبت عز الله. ودفعت البلاء والأعداء بلا حول ولا قوة إلا بالله. فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. قال وقد جربت هذا الحصن وكتبته لجمعٍ وأمرتهم بقراءته صباحاً ومساءً، فما منهم من أصابه مكروه، لا في نفسه ولا في ماله ولا في منزله، وكان ذلك في وقت امتحان وابتلاء، قل من سلم فيه ولي زيادة في استفتاحه فإني أقول: جعلت نفسي وإيماني ومالي وجميع ما لله علي من النعم في حمى الله الخ. قال: ومما جُرب أيضاً في باب الحفظ ذكر فتح به على بعض الأولياء، وقال: إنه أمان للأقليم الذي يذكر فيه، وهو مؤلفٌ من كلماتٍ جامعةٍ لحمد الله وشكره، وهو اللهم لك الشكر بكل شيءٍ تحب أن تشكر به على كل شيءٍ، تحب أن تشكر عليه حمداً وشكراً دائمين بدوامك عدد ما علمت، وزنة ما علمت، وملء ما علمت، ومداد كلماتك، وأضعاف أضعاف ذلك، اللهم

لك الحمد ولك الشكر بذلك على ذلك كذلك. يكرر هذا الذكر الأخير وهو اللهم لك الحمد ولك الشكر الخ. مائة مرة. قال: وهذا مما يتأكد على الملوك ملازمته لأن النظر في المصالح الشاملة التي تعم الأقليم إنما يتعين عليهم فوجب إذاً ملازمتهم لهذا الذكر كل يومٍ ليحصل بذلك أمانٌ تامٌ عامٌ لإقليمهم. وقال خاتمة الحفاظ جلال الملة والدين السيوطي[1] في الجامع الكبير: دعاء أول السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من عبد يصلي أول يوم من المحرَّم ركعتين يقرأ فيهما ما شاء فإذا فرغ من صلاته رفع يده، ثم يقول ثلاث مرات اللهم أنت الأبدي القديم، وهذه سنة جديدة أسألك العصمة فيها من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك وإلى رضاك ياكريم يا ذا الجلال والإكرام، إلا وكلَّ الله به ملكاً يذهب عنه الشيطان، وأعانه على نفسه، ويرى اليسر في جميع أموره، وإن عاش إلى تمام السنة يقول الشيطان قد أيسنا منه جميع السنة. ومن الجامع الكبير أيضاً دعاء آخر السنة اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه، وحلمت علي مع قدرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى الطاعة بعد جرأتي على معصيتك فإني أستغفرك منه وما عملت فيها من عمل ترضاه، ووعدتني عليه الثواب فإني أسألك أن تقبله مني ولا تقطع رجاءي منك يا كريم، وقال ابن فرحون: من قرأ هذا الدعاء يوم عاشوراء أمِن في عامه من كل شيءٍ حتى الموت، فإذا أراد الله أن يميته لم ييسر له ذلك الدعاء وهو هذا سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ

---

(١) السيوطي: هو الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي. ولد بالقاهرة ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، لم يكثر من سماع الرواية لاشتغاله بالدراية. انصرف إلى الجمع والتأليف وبلغت عدة مؤلفاته نحو ستمائة. وادعى الاجتهاد ولم يخرج في افتائه عن مذهب الشافعي. كانت وفاته في سحر يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ ودفن في مصر.

الرضا، وزِنة العرش لا منجا ولا ملجأ من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات الله التامات كلها أسألك السلامة كلها برحمتك يأرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، يقرأ في اليوم المذكور عشر مراتٍ. وهذه فائدةٌ أجازني فيها بعض من يعتقد فيهم وهي أن تكتب البسملة والفاتحة، وبعدها يا حميد اثنتين وستين مرةً في صحن وتمحوه ويشرب منه المريض، ويَدَّهن به فإنه يشفى بإذن الله تعالى. وعن بعضهم أن من قرأ الفاتحة على عين موجوعة إحدى وأربعين مرةً فإنها تشفى بإذن الله وورد في الحديث[1] أن من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة دفع الله عنه وجع السن فلا يوجعه أبداً قالوا ولا بد من البسملة في ذلك وقال الشيخ الجزولي من حفظ هذه الأبيات دخل الجنة وهي:

هذا الوجيه الذي بدت محاسنه[2] مصدقٌ صادقٌ بالصدقِ مرسول
من رُفِعَ المسخ من أجل نبوءته والشركُ من حينه للآن مخذول
إن الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مهندٌ من سيوفِ الله مسلول

(١) وفي الحديث: عن أبي سعيد الخدري قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلةٍ فشق ذلك عليهم، وقالوا أيُنا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال: الله الواحدُ الصَّمد ثلث القرآن». أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء بمعناه. ولاعجب أن تكون هذه الفضائل المتعددة والمتميزة بصفاتها ومنحها وأمنها وجلالها، مخصصة في فضل هذه السورة العظيمة لأنها شملت التخصيص في الوحدانية لله تعالى وتنزيهه عن الغير، ومعنى الصمد سبحانه إنه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. وفيها صفة الرحمن ومحبته لمن داوم على قراءتها كما قال أبو هريرة. وكما جاء في الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم: بعث رجلاً على أسرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد: فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال: إنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها: فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله سبحانه وتعالى يحبه». أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) ليس المراد حفظه فحسب ولكن المراد تحقق المحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباع ماجاء به قولاً=

وذكر الشيخ الإمام العارف بالله أبو نعيم في الحلية أن من قرأ هذين البيتين رزقه الله الحج ولو بعد حين وهما

يا قاصدين إلى المختار من مضر سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ ومن عدم ومن أقام على عذرٍ كمن راحا

ونقل عن الشيخ أحمد زروق قدس الله سره أن من صلى ركعتين بأم القرآن، وقل هو الله أحد إحدى عشرةَ مرةً في كل ركعة، ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرةَ مرةً ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة مرةً، ثم وقف واكتال بقدميه إحدى عشرة مما يلي المشرق ويبدىء بالقدم الأيمن ويختم بها ثم يَصل القدمَ الأيسرَ إليها ويقول يا سيدي عبد القادر إني جعلت الوسيلة إلى الله أنت في قضاء حاجتي كذا وكذا فإنها تقضى إن شاء الله تعالى وقال الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التجاني في شرح استغاثته، قيل من كانت له حاجة عند الله من أمر دينه ودنياه فليقرأ آية الكرسي وألم نشرح، ويهدي ثوابها للشيخ سيدي عبد القادر، ويمشي لجهة المشرق عشر خطوات وينادي الشيخ سيدي عبد القادر ثلاث مرات، فإن حاجته تقضى إن شاء الله تعالى. وفي طريق آخر يصلي ركعتين بفاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة ويذكر اسم الشيخ تقضى حاجته إن شاء الله تعالى. منه. وفي رياض الأنس كان محمد بن واسع[1] يقول في

= وفعلاً. وعند ذكر هذه الأبيات على لسان صاحبها تتكشف حقيقة ذلك المعنى بتأييد من واقع الاتباع والتصديق، وهو ماذكره سبحانه وتعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾.

(١) محمد بن واسع: بن جابر الأزدي أبو بكر: فقيه ورع من الزهاد من أهل البصرة. رفض قضاء بصرة. وهو من ثقات أهل الحديث.

كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدواً لنا بصيراً، بعيوبنا مطلعاً على عوراتنا، إنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، اللهم أيّسه منا كما أيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين الجنة، إنك على كل شيء قدير، قال: فتمثل له إبليس يوماً في طريق المسجد فقال له: يابن واسع هل تعرفني قال: ومن أنت قال له: إبليس قال له وما تريد قال له: لا تُعلِّم الاستعاذة لأحد ولا أظهر لك أبداً قال ابن واسع: والله لا منعتها من أحد فاصنع ما شئت. وعن مكحول الدمشقي[1] أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى وبعد صلاة العصر: السلام على الملكين الكريمين الكاتبين الحافظين اكتبا بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، اللهم إن هذا اليوم خلق من خلقك فلا تميتني فيه إلاَّ بالتي أحسن ولا ترني فيه جرأةً على محارمك ولا ركوباً لمعصيتك ولا استخفافاً بحق ما فرضته عليَّ، وأعوذ بك في هذا اليوم من الزيغ، والزلل، والبلاء، والبلوى، ومن الظلم، ومن شر كتاب سبق، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي، ولا مصيبة في ديني، ولا تسلط عليَّ من لا يخافك ولا يرحمني، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قيل فما مات حتى كلمه الملكان. وقال الشيخ سيدي مصطفى البكري قدس سره في شرح حزب النووي ما نصه: ومن أدعية الجد الأعلى

(١) مكحول الدمشقي: عالم أهل الشام أبو عبد الله بن أبي مسلم الهذلي الفقيه الحافظ. وداره بدمشق، كان يرسل كثيراً ويدلس عن بعضهم كعائشة وابن كعب، وكان يقول طفت الأرض في طلب العلم، وقال أبو حاتم: ماأعلم بالشام أفقه من مكحول، وقال مكحول: مااستودعت صدري شيئاً إلاَّ وجدته حين أريد. توفي سنة ثلاث عشرة ومائة.

الصديق الأكبر والرفيق الأفخر رضي الله عنه على ما رواه ابن أبي الدنيا[1] بسنده إلى يزيد الرقاشي عن سعيد بن المسيب قال: لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه حضره ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا خليفة رسول الله زودنا فإنا نراك لحمامك، قال: كلمات من قالهن حين يمسي ويصبح جعل الله روحه في الأفق المبين، قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع تحت العرش فيه رياض وأنهار وأشجار تغشاه كل يوم مائة ألف رحمة وقال: فمن مات على ذلك القول جعل الله روحه في ذلك المكان، اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً، وسعيداً، وغوياً، ورشيداً، فلا تشقني بمعصيتك، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك، اللهم إن أحد لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك لي أن أشاء ما يقربني إليك، اللهم إنك قدَّرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإرادتك فاجعل حركاتي في تقواك، اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عمالا تعمل به فاجعلني من خير القسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدٍ منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك، اللهم إنك أردت بقوم الهدى وشرحت صدورهم وأردت بقوم الضلالة وضيقت صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي، اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت وقبله حياةً طيبةً وقربني إليك زلفى، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجاءي ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، قال أبو بكر هذا كله في

---

(١) ابن أبي الدنيا: المحدث العالم الصدوق القرشي الأموي أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا صاحب التصانيف، ولد سنة ثمان ومائتين. قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وهو صدوق. مات سنة احدى وثمانين ومائتين.

كتاب الله عز وجل، كذا في الجامع الكبير. وفي شرح الصدور للجلال السيوطي رضي الله عنه أخرج الأصبهاني في الترغيب عن ابن العباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل ركعةٍ منهما بفاتحة الكتاب مرةً وإذا زلزلت خمسة عشرة مرة هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعاذه من عذاب القبر، ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة». وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[1] رضي الله عنه: من أراد أن يسلَم من أهوال الدنيا والآخرة فيقرأ إذا الشمس كورت. وعن أنس بن مالك[2] رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]:من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وناد مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه ألا إن فلان عتيق الله من النار فمن له قبله تباعه فليأخذ من الله عز وجل. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]: «من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة من يوم جرى عليه القلم إلى يوم يموت وجبت له الجنة بلغت ذنوبه ما بلغت ولو كانت ذنوبه مثل رمل عالج ومثل زبد البحر ولو من الأرض إلى عنان السماء، وبنى الله له مائة ألف مدينة من النور، وقال: إن

(١) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي. الضرير الزاهد نزيل الاسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني وابن مشيش وغيرهما. ومن أقواله: لاتشم رائحة الولاية وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها. ومن أقواله أيضاً: إن أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك وأخرج عن حولك وقوتك. مات رضي الله عنه بصحراء عيذاب قاصداً الحج فدفن هناك سنة ست وخمسين وستمائة.

(٢) أنس بن مالك: بن النضر ابن ضمضم الإمام أبو حمزة الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله صحبة طويلة وحديث كثير وملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم عمرّ دهراً وكان آخر الصحابة موتاً. خرّج له البخاري ثمانين حديثاً ومسلم سبعين حديثاً. مات سنة ثلاث وتسعين.

(٣) كنز العمال ج١/ ٢٦٦٤ الخيازجي في فوائده عن حذيفة بن اليمان.

(٤) في الحديث عن أنس بن مالك قال: «أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجبت. قلت: وما وجبت ؟ قال الجنة».

الملائكة لتسمي قاريء قل هو الله أحد المخلص في المخلصين الآمن في الآمنين الناجي من عذاب يوم الدين». وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ[1] قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة». رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ قل هو الله أحد إحدى وعشرين ألف مرةً فقد اشترى نفسه من الله تعالى وهو من خواص الله عز وجل». وروى البيهقي[2] في شعب الإيمان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]: «من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت، ورفع له عشر درجات، وبنى له مائة قصر في الجنة، ورفع له من العمل في يومه ذلك مثل عمل بني آدم وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة، وهي براءةٌ من الشركِ، ومحضرةٌ للملائكةِ، ومنفرةٌ للشيطان، ولها دوي حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله إليه وإذا نظر الله إليه لم يعذبه أبداً». ونقل الشيخ الحريفيشي[4] عن العلامة المنجور[5] أن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة ولو مرة واحدة في عمره مات على

(١) ج٧ من مجمع الزوائد في باب فضل سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ ورواه الطبراني في الأوسط وقال: لايروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ بهذا السند. عن عبد الله بن الشخير.

(٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر: من أئمة الحديث، ولد في (خروجرد) من قرى بيهق في نيسابور. نشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم الكوفة ومكة وغيرها وطلب إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء منها (السنن الكبرى).

(٣) كنز العمال ج١ / ٢٧٣٥ ، ابن عدي والبيهقي عن أنس بن مالك.

(٤) الشيخ الحريفيشي: شعيب بن عبد الله بن سعد بن عبد الكافي أبو مدين المعروف بالحريفيشي: متصوف مصري من أهل القاهرة جاور بمكة له كتاب (الروض الفائق في المواعظ والرقائق).

(٥) المنجور: أحمد بن علي بن عبد الرحمن أبو العباس المنجور: فقيه مغربي له علم بالأدب أصله من مكناسة وسكناه ووفاته بفاس. من كتبه (حاشية على السنوسية الكبرى).

حسن الخاتمة وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الذي ما وجد قط مثله في الوجود، اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الذي ما ولد قط مثله مولود وعلى آله وصحبه. وذكر الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى بالدلالة على الله قال نقل عن أبي العباس أحمد الخضر عليه السلام أنه قال: اجتمعت بأربعة وعشرين ألف نبي ومائة ألف نبي وكلهم أسألهم عن استعمال شيء يأمن به العبد من سلب الإيمان عند الموت فلم يجبني منهم أحد حتى اجتمعت بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم فسألته فقال: لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل عزرائيل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل إسرافيل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه فسأله فقال تعالى: ﴿من قرأ آية الكرسي[1] وآمن الرسول[2] إلى آخر السورة، وشهد الله أنه لا إله إلا هو إلى الإسلام[3]، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، والفاتحة دبر كل صلاة، أمن من سلب الإيمان﴾ وفي تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد العياشي رضي الله عنه ما نصه فصل وجد بخط أبي الحسن سيدي علي البطري رحمه الله ما نصه وجدت في بعض التقاييد قال القاضي عبد الله القائم ببغداد: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو أصفر اللون فقلت مالي أراك أصفر اللون؟ فقال لي: مات من أمتي مائة ألف وسبعمائة، إثنان على الإيمان، والباقي على غير الإيمان فقلت: ما يصنع العصاة من أمتك حتى يموتوا على الإيمان؟ فقال: خذ هذه الصحيفة فمن قرأها ونقلها من بلدٍ إلى بلدٍ ومن دارٍ إلى دارٍ يموت على الإيمان، ومن سمعها ولم ينقلها فإني بريء منه، فانتبهت فإذا بالصحيفة مكتوبٌ فيها لا إله

---

(١) سورة البقرة / آية ٢٨٥ . (٢) سورة البقرة / آية ٢٥٥ . (٣) سورة آل عمران / آية ١٨ ـ ١٩ .

إلا الله الموجود في كل زمان لا إله إلا الله المعبود في كل مكان لا إله إلا الله المعروف بالإحسان لا إله إلا الله كل يوم هو في شأن لا إله إلا الله نسألك الإيمان والأمان ونعوذ بك من زوال نعمتك ومن شر الشيطان الرجيم يا قديم الإحسان يا غفور يا غفار يا رحمان يا رحيم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. وفي المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي رحمه الله ذكر هذه الرؤيا آخر الكتاب حين تعرض لأوراد الشيخ نفعنا الله به وأسندها للقاضي عبد الله المذكور إلا أنه خالف العدد المذكور فذكر بدله مائة ألف وسبعين ولفظ الذكر فيه بعض مخالفة ونصه لا إله إلا الله الموجود في كل زمان لا إله إلاَّ الله المعبود في كل مكان لا إله إلا الله المعروف بالإحسان لاإله إلا الله كل يوم هو في شأن لا إله إلا الله الأمان الأمان وأعوذ بك من زوال الإيمان ومن تمرد الشيطان ياغفور ياغفار يا رحمن يا رحيم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

وفي النفحات القدسية وهذه فائدة جليلة لم توجد إلا في كتب قليلة عن سيدي عبد الوهاب الشعراني عن سيدي علي الخواص عن سيدنا داود على نبينا وعليه السلام أنه قال: من قال كل يوم ثلاث مراتٍ صباحاً ومساء: سبحان الدائم القائم سبحان القائم الدائم سبحان الحي القيوم سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح فإنه يموت على الإسلام من غير شك ولا تردد ولا توقف. ومن تقييد ابن القاضي[1] من داوم على هذا الدعاء يموت

(١) ابن القاضي: أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عافية المكناسي الزناتي أبو العباس بن القاضي: مؤرخ رياضي، من أهل مكناس (بالمغرب) ولي القضاء في سلا، واشتهر، وله نحو ١٥ كتاباً منها: (لقط الفرائد) و(درة الحجال في أسماء الرجال).

على حسن الخاتمة وهو اللهم ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين التوفيق والإخلاص والممات على حسن الختام إن الله لا يخلف الميعاد. ووجد بخط بعضهم ما نصه روي أن من داوم على هذه الكلمات لا يموت إلا على حسن الخاتمة وهي هذه اللهم إني أسألك بعزتك يا عزيز، وبقدرتك ياقدير، وبعظمتك يا عظيم، وبرحمتك يارحمان، وبمنتك يامنان، احفظني بالإيمان قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً وحياً وميتاً وعلى كل حال، وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي كتاب النورين في إصلاح الدارين للشيخ جمال الدين محمد ابن عبد الرحمن الجيشي[1] الوصابي رحمه الله ما نصه: وللأمان من نزع الإيمان عند الموت أن يصلي ركعتين فيما بين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعةٍ فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر والإخلاص ست مراتٍ والمعوذتين مرةً، ثم يقول إذا سلم ثلاث مراتٍ: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي. وأكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت أربعة أشياء ترك الشكر على الإيمان، وترك الخوف على ذهاب الإسلام، وظلم أهل الإسلام، وعقوق الوالدين. بلفظه. وعن الشيخ أبي عبد الله محمد العياشي رحمه الله تعالى أنه قال: صلاة حفظ الإيمان أن تصلي بعد المغرب ركعتين الأولى بالفاتحة وإنا أنزلناه مرةً وقل هو الله أحد سبع مراتٍ، وفي الثانية كذلك، وفي السجود تقول هذا الدعاء اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي، وكذلك بعد السلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن

---

(١) محمد ابن عبد الرحمن الجيشي الوصابي: فقيه شافعي يماني نسبته إلى وصاب قرب زبيد. من تصانيفه (مسائل الطلاق) و(فرحة القلوب وسلوى المكروب).

(٢) كنز العمال ج٩ / ٢٥٤١٨ ـ أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة.

يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله ما كان في مجلسه». واللغط كثرة الأصوات واختلافها. وذكر صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشر حديثاً مسنداً إلى الخضر وإلياس عليهما السلام قالا: سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا جلستم مجلساً فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين يوكل الله بكم ملكاً يمنعكم من الغيبة حتى لا تغتابوا أحداً، فإذا قمتم فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، فإن الناس لا يغتابونكم، وينهاهم الملك عن ذلك.

وعن عليٍ كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده من هذا التعليق، وخاتمة ما نظمنا من جواهر المسائل في عقود السطور بالتنميق، وقد ختمناه بفضائل أذكار ترغيباً لأمثالنا الضعفاء وتأنيساً لمن كان من الأقوياء. فإن من لم يعرف قدر ثواب الأعمال. ثقلت عليه في جميع الأحوال. ولا يحمل النفوس على الأعمال ملازمة قرع الباب. إلا معرفة ما لها من الثواب. ولا ينشط القلب من الكسل إلا الإطلاع على ثواب العمل. نسأل المولى سبحانه وتعالى توفيقنا إلى أقوم السبل. وفوزاً بنيل الأماني والأمل. وحسن ختامه عند حضور الأجل. ونوراً مشرقاً في القبر كبدر تم كمل. وأمناً في الحشر من كل كرب ووجل. ونجاةً من نيرانٍ حرها قدْ اشتعل. وشرباً من كوثر أذكى من المسك وأشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. وسكنى قصور قد غدت في أعلى محل. في جوار أفضل الأنبياء وأشرف الرسل. عليه أزكى صلاةً ما لها من مثل. وأفضل سلامٍ دائمٍ بها

اتصل (وأذيل) هذا التعليق بمناجاة الخضر عليه السلام التي قيل من دعا بها غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهي : إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فأشهدني بها يارجائي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي بها خطاءي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي بها ماقدمت يداي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي بها ماخطت رجلاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي بها مانظرت عيناي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي بها ماطويت عليه أحشاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاجعل عليها مماتي ومحياي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاجعلها من قروح الذنوب دواي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فأصلح لي بها سري ونجواي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فأعظم بها عند الموت مثواي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فثبتني بها عند منازعة خصماي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فارحمني بها يا من إليها منتهاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاجعلها من قرحة المعاشي شفاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاعطني بها سؤالي ومناي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاصرف عني بها أعداي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فلا تجعل إلهي النار مثواي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت هي كنزي وذخري ومناي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاجعلها في المحشر ضياي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فثبت بها على الصراط قدماي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي وتجاوز عما قدمت من خطاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر لي وارحمني يامولاي ، إلهي شهدت أن لا إله إلا أنت فاغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الحكيم (وأختم) بما

ختم به ابن عطاء الله القطب الشهير كتابه المسمى بالتنوير في إسقاط التدبير. تبركاً بلفظه العطير، وتيمناً بكلامه المشرق المنير. فأقول معطراً بذلك اللسان. ومنعماً السمع بتلك الجواهر الحسان. وسائلاً من المولى الفضل والامتنان: اللهم إنا نسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، اللهم

اجعلنا من المستسلمين إليك، ومن الدائمين بين يديك، وأخرجنا من التدبير معك أو عليك، واجعلنا من المفوضين إليك. اللهم إنك قد كنت لنا من قبل أن نكون لأنفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت لنا قبل وجودنا وألبسنا ملابس لطفك. واقبل علينا بحنانك وعطفك. وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا. وأشرق علينا نور التفويض في أسرارنا. وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه فينا وتختاره لنا أحب إلينا من مختارنا لأنفسنا. اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عمّا أمرتنا ولا بشيء أنت طالبتنا به عن شيء أنت طالبه منا اللهم إنك دعوتنا إلى الانتقاد إليك والدوام بين يديك. وإنا على ذلك عاجزون إلا أن تقدرنا. وضعفاء إلا أن تقوينا ومن أين لنا أن نكون في شيء إلاّ إن كونتنا وكيف لنا أن نصل لشيءٍ إلاّ إن وصلتنا، وأنى لنا أن نقوى على شيء إلاّ أن أعنتنا. فوفقنا لما به أمرتنا، وأعنا على الانكفاف عمّا عنه زجرتنا. اللهم أدخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعّمنا بها وفيها، واجعل أسرارنا معك لامع نعيمها ولذتها. وبك لا بزينتها وبهجتها. اللهم أشرق علينا من نور الاستسلام إليك، والاقبال عليك. ما تبتهج به أسرارنا. وتنكمل به أنوارنا. اللهم إنك قد دبرت كل شيء قبل وجود كل شيء. وقد علمنا أنه لا يكون إلا ما تريد. وليس هذا العلم نافعاً لنا إلاّ أن تريد. فردنا بخيرك. وسلمنا بفضلك. واقصدنا بعنايتك. وخصنا برعايتك. واكسنا من ملابس أهل ولايتك. وأدخلنا في وجود أهل حمايتك، إنك على كل شيء قدير. اللهم إنّا قد علمنا أنّ حكمك لا يعاند. وقضاءك لا يضادد. وقد عجزنا عن رد ما قضيت ودفع ما أمضيت. فنسألك لطفاً فيما قضيت. وتأييداً فيما أمضيت، واجعلنا في ذلك مما رعيت يارب العالمين. اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة إنك موصلها لنا، فوصّلها إلينا بالهناء والسلامة من العناء. مصانين فيها من الحجبة، محفوظين فيها بأنوار الوصلة، نشهدها

منك فنكون لك من الشاكرين. ونضيفها لك ولا نضيفها لأحد من العالمين، اللهم إن الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة لنا. والعود بالجدوى علينا. اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك، ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك. اللهم إنا إليك محتاجون فاعطينا، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا. وهب لنا قدرة على طاعتك. وعجزاً عن معصيتك. واستسلاماً لربوبيتك. وصبراً على أحكام ألوهيتك. وعزاً بالانتساب إليك. وراحةً في قلوبنا بالتوكل عليك، واجعلنا من دخل ميادين الرضا. وكرع من تسنيم التسليم. وجنى من ثمار المعارف وألبس خلع التخصيص، وأتحف بتحف القرب وفوتح من حضرة الحب الدائمين على خدمتك. متحققين بمعرفتك. متبعين لرسولك صلى الله عليه وسلم وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يارب العالمين. لنا ولجميع المسلمين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين. وحبيب رب العالمين. وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين. ووقع الفراغ من نظم الدر المنثور. في عقود هذه السطور ليلة الثاني والعشرين من جمادى الأولى من شهور سنة ١٢٠٤ أربع ومائتين وألف. من هجرة من يرى من الأمام والخلف. والمسئول من المولى الكريم أن ينفعني والناظرين بما فيه، وأن يوفقني وإياهم لما يحبه ويرتضيه. وأن يجود لكل سائل بما يرتجيه. بجاه المصطفى الطاهر النزيه. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه. وجيشه وجنده وناصريه.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

* انتهى بعون الله شرح الصلاة الصغرى وبقية *

* الصلوات ويليه شرح حزب الوسيلة *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(شرح حزب الوسيلة)

للقطب الرباني عبد القادر الجيلاني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتح أبواب الصلاة، بدوام الذكر والصلاة، ومانح الخير ومزيد البركات بالالتجاء إليه والتضرع بالدعوات، وجاعل الذكر مفتاح الواصلين، ومنشور لواء الأولياء والصالحين، والصلاة والسلام على إمام جامع قدسه، وخطيب حضرة أنسه، مبدأ الكون وسر ختامه وسيده وواسطة عقد نظامه، سر أسرار الوجود، ومعدن الكرم والجود، سيدنا محمد الذي شرّفه بصلاته، وأيده بمعجزاته، وجعله لنيل المقاصد وسيلة، وخصه بالشفاعة والفضيلة، وأمر بالصلاة عليه مؤمن الإنس والجان على ممر الدهور والأزمان، فسبحان من أجلّه بأنواع الجلال، وأمدّه بأنواع الكمال، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار.

* وبعد * فيقول راجي نيل الغفران محمد الأمين الكيلاني غفر الله ذنوبه وستر بمنه عيوبه إن بعض الأعزة عليّ المتردد جُلّ أوقاته إلي ممن له اعتناء بالدعوات المأثورة عن السادات، سألني أن أشرح له حزب الوسيلة المطرز بكل فضيله لسيد البدلاء والأقطاب، ورئيس النقباء والأنجاب، العالم العلامة والبحر الزاخر الفهامه صاحب الكرامات التي بانت مبلغ القطع لثبوتها بالمشاهدة والنقل والسمع، الهيكل الصمداني أستاذنا سيدي عبد القادر الجيلاني جعلنا الله من أهل لوائه بجاه رسوله وأنبيائه لاعتناء الأجلة بقراءته والمواظبة على تلاوته لأنه كاف عن غيره من الدعوات دافع للفقر

وجميع المضرات، ولذلك واظب على قراءته الولي الصالح، والزناد القادح ذو الكرامات الباهرة، والمناقب الزاهرة سيد أهل زمانه في عصره وأوانه، من أعطي منشور الولاية، وصحبته من الله العناية، فطار ذكره في الديار الفاسية، وخفقت رايته بالديار التونسية، صاحب العلم الرباني سيدي أحمد التجاني[1]. أمد الله من أنواره ونفعنا بعلومه وأسراره، فقد جعله رضي الله عنه من أجَّل دعواته، وواظب عليه في خلواته وجلواته، وناهيك به من سيد فاضل جامعٍ لأشتات الفواضل، واقتفى أثره في ذلك المريدون، فهم بقراءته والعون، ويسمونه دعاء المغني ولعمري إنها تسمية جليلة مفصحة بسر الوسيلة، بيد أنهم مقتصرون في قراءته من مبدأ الدعوات، مع أنه مبدو بآية الصلاة، ولعل رواية الشيخ التجاني. هكذا بسنده إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أو لسر رآه وتبين له معناه، وعلى كل فنفع هذا الحزب شهير، وخيره كثير، فأجبت سؤاله وقبلت مقاله، وألقيتُ علي جلباب المهل، وأمطت عني رداء الكسل بعد أن كنت أذوده عن مورد هذا الرسل، وأضرب لإسعافه أجلاً بعد أجل، فلم يزده اعتذاري إلا شغفاً وغراماً وإلحاحاً في الطلب، وهياماً لصدق نيته. وحسن طويته. واستخرت الله ذا الجلال. واستعنت به في جميع الأحوال.

* وسميته * المواهب الجليلة. في شرح حزب الوسيلة والله المسؤول في بلوغ المأمول، ولنقدم قبل المقصود في هذا الأرب شيئاً من التعريف بصاحب الحزب تبركاً بذلك ومقدمة لهاته المسالك، وإن كان رضي الله عنه لايحتاج لتعريف لشهرته واختصاص ترجمته بالتأليف إذ ذكره قد ذاع في

---

١) هو إمام العارفين وأحد أفراد أكابر الأولياء المكنى بأبي العباس وهو أجلُّ خلفاء الشيخ أحمد بن إدريس ثم صار صاحب طريقة مستقلة. وكان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة المجتهدين، وقد انتشرت طريقته في بلاد المغرب والسودان وسائر جهات افريقيا انتشاراً عظيماً.

الأمصار وعَمَّ البسيطة في سائر الأقطار. فأقول هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله أبي المكارم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما فبينه وبين بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر أباً، قال المسناوي في نتيجة التحقيق: اتفق الناقلون من المؤرخين وغيرهم أن هذا النسب كيف ذكر، وطبق مابين وسطر كالحافظ شمس الدين الذهبي[1] في تاريخه الكبير الجامع للأعيان، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ونور الدين الشنطوبي في بهجته، والعسقلاني في غبطته. وغيرهم من الأعيان المرجوع إليهم في هذا الشأن. حملت به أمه وهي ابنة ستين سنة، ويقال: لا تحمل في هذا السن إلا قرشيه، كما لا تحمل في الخمسين إلا عربية، ولد رضي الله عنه بقرية نيف من إقليم جيلان سنة سبعين أو إحدى وسبعين وأربعمائة اقتصر على الأول الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الطبقات وعلى الثاني صاحب البهجة وهو الصحيح، وَجَدَّ الشيخ عبد القادر موسى الجون أحد سبعة من أولاد سيدي عبد الله الكامل، وقد جمعهم بعضهم في بيتين كما في شجرة القادريين فقال:

محمد إبراهيم وموسى * سليمان إدريس وعيسى
كل ثلاثة أشِقا فريق * أخوهم يحيى وماله شقيق

فأما محمد فهو معروف بالنفس الزكية بويع له بالمدينة المنورة، وهو جد أولاد علي المقيمين بتفلالت بالمغرب، ومنهم السلطان عبد الرحمن صاحب

(١) الذهبي: الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه، الشافعي المعروف بالذهبي، ولد سنة ثلاث وسبعون وستمائة بدمشق. ومات سنة احدى وأربعين وسبعمائة بدمشق.

جمعداري اموال
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سلطنة المغرب في التاريخ، وأما إبراهيم لم يخلف نسلاً، وبويع له بالبصرة، وأما موسى الجون فهو جد القادريين القاطنين ببغداد وغيرها، وأما سليمان فهو جد الأشراف المعروفين بالسليمانيين بأرض تلمسان أعادها الله دار إسلام، وأما إدريس فهو السيد إدريس الأكبر جد الأدارسة بالمغرب وغيرها، وأما عيسى فلم يخلف نسلاً، وأما يحيى فهو ابن أمة ومنفرد، وقد انفرد هو وذريته بالسلطنة الكبرى ببلد برنو[1] وأحوازها إلى تاريخ الأن حسبما ذلك مبين بالشجرة المذكورة، ونقل المسناوي عن الشمسي أن موسى الجون لم يبايع له، وإن الله تعالى جعل البركة في عقبه فملك منهم ثلاث طوائف بنو الأخضر ملوك اليمامة، وهو ولد إبراهيم بن موسى الجون، والهواشم، وبنو عزيز ملوك مكة المشرفة، ثم قال بعد هذا: قال القصار رحمه الله: البركة الكاملة والنعمة الشاملة مولاي عبد القادر الجيلاني صاحب الملك الحقيقي، والخلافة القطبانية، وكم في ذريته من الأخيار. ولعلو مرتبة الشيخ رضي الله عنه أظهر الله مقامه للعارفين قبل أن يولد بسنين، روى صاحب البهجة بسنده إلى الولي الصالح أبي بكر بن هوار البطايحي[2] رضي الله عنه أنه قال: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله وعند الناس اسمه عبد القادر مسكنه بغداد يقول قدمي هذا على رقبة كل ولي لله، وتدين له أولياء عصره ذلك الفرد في وقته، وروى أيضاً بسنده إلى أبي بكر ابن صخر الأموي أنه قال الشيخ عبد القادر: أخذ العهد على كل ولي في زمانه أن لايعترف بحالة في ظاهر أو باطن إلا بإذنه. وهو ممن له الكلام في حضرة القدس المطهرة بإذن الله، وممن أعطي التصريف في الأكوان بعد موته كما

(١) (برْنُو) من قُرى نيسابور.

(٢) ذكر الإمام الشعراني في الطبقات الكبرى أن أبا بكر البطائحي كان شاطراً يقطع الطريق فوقع له سماع هاتف بالليل أما آن لك أن تخاف من الله تعالى فتاب من ساعته رضي الله عنه. وكان يقول التصوف ذكر باجتماع، ووجد باستماع، وتحمل باتباع.

كان قبل ذلك. وروى أيضاً بسنده إلى ابن حامد البغدادي أنه قال: كان الشيخ محي الدين سريع الدمعة شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله، وكان التوفيق رأيه، والتأييد يعاضده، والأنس نديمه، والبسط نسيمه، والصدق رايته، والفتح بضاعته، والحلم صناعته، والذكر وزيره، والفكر سميره، وآداب الشريعة ظاهره، وأوصاف الحقيقة سرائره، وإنه أنشد عقب ذلك:

لله أنت لقد رحبت جناباً ... وشرفت أصلاً طاهراً ونصاباً
وعظمت قدراً شامخاً حتى غدا ... قوس الغمام لأخمصيك ركاباً
وبنيت بيتاً في المعالي أصبحت ... زهر الكواكب حوله أطنابا
ياملبس الدنيا برونق مجده ... بعد المشيب نضارةً وشبابا
طلبتك أبكار العلا نجم الهدى ... وهي التي قد أعيت الطلاباً
لما رأتك حِسانها كفؤاً لها ... خطبت إليك وردت الخطاباً
وأتتك مسمحة القياد مناقب ... كانت على من رامهن صعاباً
رجل يروقك منظراً وجلالةً ... ومكارماً وخلائقاً وخطاباً
وترى عليه من المحاسن ملبساً ... ومن المهابة والعلا جلبابا

ونقل ابن عطاء الله في لطائف المنن عن الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي أن أبا السعود الشبلي كان يوماً في مدرسة الشيخ عبد القادر يكنس فيها فوقف عليه الخضر عليه السلام وقال له: السلام عليكم فرد أبو السعود عليه السلام وعاد إلى شغله بالكنس فقال له: الخضر؛ مالك لاتبتهل بي وكأنك لم تعرفني؛ فقال له أبو السعود: بلى قد عرفتك إنك الخضر فقال له لِمَ لَمْ تبتهل بي فقال له أبو السعود والتفت إلى الشيخ عبد القادر: لم يترك لي هذا

الشيخ فضلة لغيره. وروي عن أبي محمد صالح الدكالي عن شيخه أبي مدين[1] الغوث رضي الله عنه أنه قال: لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشائخ المغرب والمشرق في عصرنا وسألته عن الشيخ عبد القادر فقال: هو إمام الصدّيقين وحجة العارفين وهو روح في المعرفة، وشأنه الغربة بين الأولياء، وأنا أصرف مراتب الأولياء من وراء إشارته. دخل رضي الله عنه بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بقصد قراءة العلم وفي يوم دخوله سمي محي الدين في قصة ذكرناها في اختصار، وفي دخوله قيل انهل السحاب وأعشب العراق وزال الغي واتضح الرشد.

فعيدانه خضر وصحراؤه حمى ... وحصباؤه در وأمياهه شهد
يجيش به صدر العراق صبابةً ... وفي قلب نجد من محاسنه وجد
وفي الشرق نور من مقابس نوره ... وفي الغرب من ذكرى جلالته رعد

فأخذ رضي الله عنه علم الظاهر بسائر فنونه على جماعة من الأعيان، وبرع في جميع العلوم حتى كاد يعد للمناظرة في ثلاثة عشر فناً، ثم صحب بعد ذلك جماعة من أرباب القلوب وأكابر أهل الحقيقة فأخذ عنهم علم الطريقة، وكان عمدته الشيخ أبا حماد الدباس،[2] لازمه نيفاً وعشرين سنة، وتربى به وتأدب إلى أن صار من المحبوبين، ويتكلم ولا يبالي، ولما تمكن وتهذب في العرفان ووصل إلى مامنحه الملك الديان، تصدر للتدريس،

(١) أبي مدين الغوث: شعيب بن الحسن الأندلسي صوفي من مشاهيرهم أصله من الأندلس أقام بفاس وتوفي بتلمسان له (مفاتيح الغيب).

(٢) حمّاد بن مسلم الدباس ـ وهو الشيخ العارف ـ من أعظم مشايخ بغداد، روي عن الشيخ نجيب السهروردي قال: كان الشيخ حمّاد من أجلّ من لقيت من مشايخ بغداد. وهو أحد الراسخين في علوم الحقائق، انتهت إليه رياسة المريدين وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم، وهو أحد من صحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما، وأثنى عليه وروى كراماته. وأصله من رحبة الشام. رحل إلى بغداد وسكن بها. وقيل إنه مات بها سنة /٥٢٥/ ودفن بمقبرة الشونيزي.

والفتوى، والتربية، والوعظ. وسلم إليه قلم الفتوى في زمانه. ويسند صاحب البهجة إلى أبي قاسم البزار أنه قال: كانت الفتوى تأتي الشيخ عبد القادر، ومارأيته تبيت عنده فتوى ليطالع عليها بل يكتب عليها عقب قراءتها، وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد والشافعي رضي الله عنهما، وتعرض فتواه على علماء العراق فما كان تعجبهم من صوابه أشد تعجبهم من سرعة جوابه. وروي عن الشيخ البنوتي أنه قال: كان الشيخ محي الدين عبد القادر كريم السجايا، محباً في المنتسبين إليه، وكان يوماً يتكلم على الناس فدخل الناس فترةً فنظر الشيخ إلى السماء وقال:

لاتسقني وحدي كما عودتني إني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولايليق تكرماً أن يمنع الجلاس دور الكاس

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ومات واحد في المجلس أو اثنان الشك من الراوي، وبالجملة فمقام الشيخ رضي الله عنه لايحتاج إلى بيان، إذ قد عم البسيطة، واتصل بكل إنسان، وماهو إلا كما قال القائل: فيمن سلف من الأفاضل.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا نار على علم

ومناقبه رضي الله عنه أعظم أن تحصى، وأجل من أن تستقصى. في الحياة، وبعد المماة، وكراماته بلغت مبلغ القطع والتواتر، ولذلك قال شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام مابلغت كرامات ولي مبلغ القطع والتواتر إلا كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه. وعن ابن المقرفل رحمه الله أنه قال كان شيخنا الرديني ينتمي إلى الشيخ عبد القادر وينشد إذا ذكرت مناقبه:

حسنك لاتنقضي عجائبه كالبحر حدث عنه ولا حرج

ومتع الله الشيخ بسمعه وبصره وقوله إلى حين وفاته ليلة السبت الثامن من ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة هذا هو الصحيح خلافاً لما في طبقات الشعراني من أنه في سنة إحدى وثلاثين، ولعله سبق قلم أو تحريف، ودفن في يومه بمدرسته ببغداد، هذا ويتصل سندنا إليه في هذا الحزب وأحزابه المتعارفة، وأوراده ودعواته وأذكاره من طرق عديدة موصلة إلى الشيخ حسبما ذلك مبين في ثبتنا، ونذكر منها هنا طريقة واحدة متصلة به مسلسلة بعقبه السادة الأشراف نفعنا الله بجميعهم، كما أجازني بذلك المقدم الشيخ العفيف السيد الشريف عبد العزيز بن السيد رمضان القادري من أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلي عن ابن عمه السيد مراد عن أخيه السيد عبد الفتاح عن أبيه السيد عثمان عن جده السيد عثمان عن جده السيد عبد الرحيم عن ابن عمه السيد أبي بكر عن أبيه السيد يحيى عن أبيه السيد حسام الدين عن أبيه السيد شرف الدين عن أبيه السيد عبد العزيز عن أبيه سيد الأولياء ملحق الأصاغر بالأكابر محي الدين عبد القادر الجيلي القائل أخذت العهد على ربي أن لا يدخل النار أحد من أتباعي إلى يوم القيامة، وإن لم يكن صاحبي جيداً فأنا جيد، وعزة ربي لا برحت قدماي من بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة. وهو القائل * أعوذ الخ . . * أقول هكذا جميع النسخ التي رأيتها كلها مبدؤة بكتابة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو وإن كان الحزب مبدؤاً بآية الصلاة لكن القارىء إنما يؤمر بالإستعاذة عند القراءة ولايؤمر بكتابتها إلا أن الشيخ رسمها بالكتابة اعتناءً بشأنها، تنبيهاً للغافلين، وطرداً للشيطان، قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[1] وإنما اقترنت بخصوص القرآن مع أنها في كل شيء وفي كل وقت، لأن التلاوة أعظم عبادة، وفي القرآن من أحوال

(١) سورة النحل / آية ٩٨ .

الغيب مالايحصى، والشيطان لايتسلط في الغالب إلا في مثل ذلك، فالإقتران بخصوص القرآن لاينفي الأمر بالاستعاذة في غيره، كيف وهي سنة الأنبياء والمرسلين كما اقتضته آيات وأخبار واختلف في حكم الأمر بها، فمنهم من حمله على الوجوب، ومنهم من حمله على الندب، ومنهم من قال: الاستعاذة واجبة في حق الرسول عليه الصلاة والسلام ومستحبة في حق غيره، وقال عطاء: بالوجوب مطلقاً كانت القراءة في صلاة أم لا، ومذهب الإمام مالك رضي الله عنه وأصحابه أنه لايتعوذ في المكتوبة كما لايبسمل فيها وإن شاء المصلي فعل في قيام رمضان، وعلى التعوذ مطلقاً الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي رضي الله عنهما، ثم اختلف العلماء في لفظها فقيل: المطلوب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقيل أعوذ من الشيطان وهمزه، وقيل أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وعليه القاضي إسماعيل[1]، وعلى القول الأول الجمهور وهو المختار، واعتمده صاحب الحزب رحمه الله، إذا تقرر هذا فاعلم أن الاستعاذة مشتقة من العوذ، والعوذ له معنيان أحدهما الالتجاء والاحتراز. وثانيهما الالتصاق، يقال: أطيب اللحم عوذه وهو ماالتصق بالعظم فعلى الأول معنى أعوذ أحترز بالله وألتجي إليه، وعلى الثاني معناه ألصق نفسي بفضل الله ورحمته إتقاءً من الشيطان. وقوله (بالله) جار ومجرور متعلق بأعوذ والباء فيه للإستعانة، وهذا هو الركن الثاني من أركان الاستعاذة الثلاثة لأنها تستلزم مستعيذاً وهو المتكلم الناطق بالاستعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه، ولفظ الجلالة علم على ذات واجب الوجود، وأول من نطق به كما في الإبريز أبونا آدم عليه السلام قال رضي الله عنه:

---

(١) القاضي إسماعيل: الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق ابن حدث البصرة حماد الأزدي مولاهم البصري الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم، ولد سنة تسع وسبعين ومائة. شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وصنف موطأ. . مات فجاءة سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

لأنه لما نفخت فيه الروح قام مستوفزاً على رجل واتكأ على ركبة الرجل الأخرى فحصلت له في تلك الحالة مشاهدة عظيمة، فأطلق الله عز وجل على لسانه لفظاً يؤدي الأسرار التي شاهدها من الذات العلية وهو لفظ الله؛ فقال: الله، وقد خرج في علمه سبحانه وتعالى أن يسمى بهذا الاسم، وكذلك سائر أسمائه الحسنى فلذا أجملها على لسان أنبيائه وأصفيائه. ولو وضع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لأسرار المعاني التي حصلت له بالمشاهدة أسماء لذاب كل من سمعها ولكنه تعالى لطيف بعباده. وهذا الكلام منه رحمه الله ليس فيه مخالفة للعقيدة من جهة قدم الأسماء، لأن المراد بقدمها قدم معانيها لا ألفاظها المحدثة لأن كل لفظ عرض والعرض حادث لاسيما إذا كان سبباً له مثل الألفاظ والأصوات وذلك واضح، والاسم الشريف مما اختص بالتسمية به مثل الإله المعرف بأل ووقع خلاف بين أهل السنة وغيرهم هل الاسم عين المسمى أو لا، وأطالوا الكلام في ذلك وليس فيه كبير جدوى، فالكلام فيه من أشغال العقل وأعمال الفكر فيما لامنفعة فيه، ونقل شارح النصيحة الزروقية عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غيره فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له، وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة: عدَّ السبكي الكلام في الاسم والمسمى مما ينفع علمه ولايضر جهله، وأنكر الكلام فيه جماعة ورأوه بدعة منهم الشافعي وغيره.

قال شارح النصيحة على أنه لايظهر عند التحقيق موضع للنزاع لأنه إن أُريد بالاسم اللفظ فغيره قطعاً، وإن أريد المعنى فنفسه قطعاً، وتخصيص المسمى بما وضع له اللفظ وضعاً حقيقياً اصطلاح، ومن تصفح التراكيب وتأمل الاستعمالات علم أن الاسم قد يراد به نفس اللفظ كزيد ثلاثي، وقد يراد به ماهية المسمى كالحيوان جنس، وقد يراد جميع أفرادها كالانسان

مدرك، وقد يراد بعضها كأتاني إنسان. واعتذر عنهم في شرح المقاصد فراجعه. وقوله * من الشيطان * متعلق بأعوذ أيضاً، وهو الركن الثالث من أركان الاستعاذة، ومن تعليلية، والشيطان من مردة الجن، وقيل هو ابن الجن، وكان اتصف بصفة الملائكة، ولم يكن منهم ولا عبرة بقول من قال: إنه منهم، وهو مشتق من شَطَنَ بمعنى بعد لأنه بعيد من رحمة الله، ونونه أصلية، وألفه زائدة، وقيل هو مشتق من شاط إذا هاج واحترق، ولاشك إن هذا المعنى موجود فيه، والسماع يشهد للقول الأول، وعليه الجمهور وقوله * الرجيم * نعت للشيطان فهو على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم أخذ من الرجم وهو الرمي بالحجارة قال الراغب[1] ومنه سمي الترجمان ترجماناً لأنه يرمي بكلام من يترجم عنه إلى غيره. ومعنى كونه مرجوماً أي ملعوناً من قبل الله، أو مطروداً برجم الشهب والاحتراز منه بالاستعاذة مما يلقيه من الوسوسة في قلب الإنسان أو مسه له، وكيفية وسوسته على ماورد في الحديث والأثر أنه يغوص في بطن الإنسان ويضع رأسه على حبة قلبه، ويلقي إليه الوسوسة، ولذا قال صلى الله عليه وسلم[2]: (إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ألا فضيقوا مجاريه بالجوع) وقال: أيضاً عليه الصلاة والسلام: «لولا الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات».[3] وبالجملة هو أعظم القواطع عن الله ثم الدنيا ثم الهوى ثم الخلق، وعلاج الشيطان بالاستعاذة، وعلاج الهوى بمخالفة النفس، وترك

---

(١) الراغب: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني أو (الأصبهاني) المعروف بالراغب أديب من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي من كتبه (محاضرات الأدباء) و(الأخلاق).

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً» «أو قال شيئاً». ج-٤-صحيح مسلم. /٢١٧٥/-ص/١٧١٢/.

(٣) رواه أحمد عن أبي هريرة: كذا العراقي في شرح الإحياء ج ٩/٣ باب بيان خاصية قلب الإنسان.

الشهوات، وعلاج الدنيا بالزهد فيها، وترك حطامها لأن الرزق مقسوم وقد تكفل به المولى جل جلاله، ففي الحكم العطائية أرح نفسك فيما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك، يريد أن الله تعالى تكفل للخلق بالرزق وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبادته ووظائف تكليفاته، وقد جاء في الحديث: «ماقُدِّرلماضغيك أن يمضغه لابد وأن يمضغه، ويحك كله بعز ولاتأكله بذل» وعلاج الخلق بالانقباض عنهم والبعد منهم إلا فيما لابد منه خصوصاً في هذا الزمان فالإعراض عن الخلق عبادة، قال تعالى: ﴿ وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ﴾[1]، وقد أطبق جميع العلماء على أن الشياطين أشخاص جسمانية تجيء وتذهب مثل الناس، ثم اختلفوا في هيأتهم على قولين الأول أنهم أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال شاقة، الثاني إنها غير متحيزة ولا حالة في متحيز، ونقل صاحب الإبريز عن الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه أنه قال: إذا خفي عليك كيف هو الجن فانظر في نار مظلمة جداً لكثرة دخانها مثل مايكون في الفخارين، وصور فيها صورتها التي خلقوا عليها فإذا جعلت الصورة في ذلك الدخان وألبسته إياها فذلك هو الجن. وهم يأكلون ويشربون لقوله عليه الصلاة والسلام في الروث والعظم: (إنه زاد إخوانكم الجن) وهم يتوالدون لقوله تعالى: ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾[2] وولادتهم البيض عكس ماعليه الإنس، وعذابهم يوم القيامة بالزمهرير لأن النار طبعهم، قال في الإبريز: الجن في الدنيا يخاف من البرد خوفاً شديداً أفتراهم إذا كانوا في زمان الصيف في الهواء يتخوفون من هبوب الريح البارد، فإذا هبت فروا فرار حمر الوحش، وأما الماء فلا يدخله الجن

---

(١) سورة المائدة / آية ٤٢ .

(٢) سورة الكهف / آية ٥٠ .

والشياطين أبداً فإن قدر على أحد أن يدخله طفا وذاب، هذا وإن الشياطين لهم ولوع تام بتتبع الشعراء الذين ينظمون الشعر في غير الأمور المطلوبة شرعاً، مثل مدح الخمر، ومجالسه والنسيب والهجاء وسائر المجون يدل عليه قوله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾[1] كما في بعض التفاسير إن الغاوين هم الشياطين. (لطيفة) ذكر ابن بسام[2] رحمه الله في الذخيرة في ترجمة الوزير الكاتب أبي عامر بن شهيد أن صاحب الترجمة قال كان لي أوائل صبوتي هوى اشتد له كلفي، ووقع لي منه ملال فاتفق أن مات من كنت أهواه في أثناء مللي لذلك فرثيته وقلت:

تولى الحمام بظبي الخدور وفار الردى بالغزال الغرير

إلى أن انتهيت إلى الاعتذار من الملل الذي كان مني فقلت:

وكنت مللتك لاعن قلى ولا عن فساد ثوى في ضمير

وارتج على القول فإذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس أدهم قد اتكأ على رمحه ووجهه كوجه بغل فصاح بي أعجز يافتى الإنس؛ فقلت: لا وأبيك للكلام أحيان وهذا شأن الإنسان؛ فقال قل بعده كمثل ملال الفتى للنعيم إذا دام فيه وصال السرور، فأثبت إجازته وقلت له: بأبي من أنت قال: زهير بن نمير من أشجع الجن تصورت لك رغبة في اصطفائك؛ فقلت له: أهلاً بك أيها الوجه الوضاح صدقت قلباً إليك مغلوباً، وهوى نحوك محبوباً، وتحادثنا وتذكرت معه أخبار الخطباء والشعراء، ومن كان يألفهم من التوابع والزوابع، وقلت له: هل حيلة في لقاء من التفق منهم؛ قال: حتى

---

(١) سورة الشعراء / آية ٢٢٤.

(٢) ابن بسام: أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام العتيبي الوهيبي التميمي: قاض، ممن كتبوا في تاريخ نجد، من أهل أشيقر (من إقليم الوشم بنجد) ولي القضاء في بلدة (القصب) فمدينة (ملهم)، وتوفي بها.

أستأذن شيخنا، وطار عني ثم رجع وقد أذن له قال: فركبت معه على الأدهم وسار بنا كالطائر حتى شارفت جَوّه كجونا، ولمحت أرضه كأرضنا، متفرعة الشجر، عطيرة الزهر فقال لي: حللت أرض الجن أبا عامر، ثم جمعه بأنفار من الجن أتباع الشعراء المشهورين كامرىء القيس وطرفة وأبي تمام والمتنبي وأبي نواس وغيرهم ووقعت بينه وبينهم مناظرة ومذاكرة في معاني الأشعار وخيارها وأجازوه وسلموا له طول الباع في حكاية طويلة تراجع في محلها. والحاصل أن الشيطان عدو للإنسان يجري منه مجرى الدم يجب على العبد أن يكون دائماً متيقظاً له لأن عداوته أصلية. ثم قال الشيخ رضي الله عنه: (بسم الله الرحمن الرحيم) أقول لايخفى مافي البسملة من المناسبة لما قبلها ولما بعدها فقد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن قال تعس الشيطان: (لاتقل ذلك فإنه يتعاظم ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يصغر حتى يصير أقل من الذباب) وجاء في الحديث أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لايرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم) وعنه صلى الله عليه وسلم كما في الغنية لصاحب الحزب أنه قال: (أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة وافتحوا باب الطاعة بالتسمية) على أنه جرى العمل بين أهل العلم والمصنفين بتقديم البسملة في مفتتح الكتب والرسائل والدليل على ذلك من الحديث وغيره مشهور والكلام فيما يتعلق بها من جهة الألفاظ والمعاني مذكور في المطولات حتى أنه خص بالتأليف، والمناسب في هذا المقام ذكر فضائلها ومالها من الاحترام، ولو لم يكن من فضائلها إلاّ كونها جامعة لمعاني القرآن لكان كافياً فقد نقل الشيخ عبد الباقي الزرقاني في شرح خطبة مختصر سيدي خليل رحمهما الله من تفسير النسفي أن الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة صحيفة وأربع صحف منها ستون لشيث، ومنها ثلاثون لإبراهيم، ومنها عشرة لموسى قبل التوراة ثم التوراة، والإنجيل، والزبور،

والفرقان، والكل معناه في القرآن، ومعنى القرآن مجموع في الفاتحة، ومعنى الفاتحة مجموع في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعناها بي ماكان وبي مايكون. قال العلقمي[1] في شرح الجامع الصغير نقلاً عن الجلال السيوطي: أن وجه الجمع في بائها هو أن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب والباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجانب الرب، وذلك كمال المقصود. ومن فضائلها مانقله اليافعي عن كتاب مكنون الجواهر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يصبح بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم عشر مرات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ورفع الله تعالى عنه اثنين وسبعين باباً من البلاء أدناها الجذام والبرص ويوكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى الليل وكان أعظم ممن حج واعتمر سبعين عمرة متقبلة بعد حجة الإسلام)، وهي رقية من اثنين وسبعين داء. وهي لقضاء الحوائج ترياق مجرب ذكر الشيخ لطف الله في شرح الأسماء أن من مجربات البسملة الثابتة من ذكرها اثنى عشر ألف مرة في مجلس واحد على أي غرض أراده ولو بإنابة غيره على ذلك يحصل له المقصود عاجلاً بفضل الله مجرب صحيح، وجملة البسملة إنشائية لا خبرية، وما أبداه الشيخ عيسى[2] الصفوي من الإشكال في احتمالها الإنشاء والخبر مردود، انظر ابن زكري على النصيحة الكافية فإنه حرر الكلام في ذلك ورد جواب الغنيمي عن الاشكال المذكور بكلام نفيس أطال فيه وليس هذا محله، ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في أول الرسائل وما

---

(١) العلقمي: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي شمس الدين: فقيه شافعي عارف بالحديث من بيوتات العلم في القاهرة كان من تلاميذ الجلال السيوطي ومن المدرسين بالأزهر له (ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين) وغيره.

(٢) الشيخ عيسى الصفوي: عيسى بن محمد بن عبيد الله أبو الخير قطب الدين: فاضل متصوف من الشافعية هندي الموطن استوطن بمصر له كتب منها (مختصر النهاية لابن الأثير) و(شرح العزة).

يكتب بعد المسألة كما في الشفاء، ومن المعلوم أنها أفضل العبادات. بدأ المصنف حزبه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وصدر ذلك بآية الصلاة فقال: «إن الله وملائكته الخ..» كل ذلك تيامناً وتبركاً وترتيباً للإمتثال على الأمر لتقع صلاته بعدها امتثالاً لأمر الله واسم الجلالة أشهر من أن يشرح، وقد تقدم شيء من الكلام عليه وأدنى علمه ماوفق إليه الطائفة الصوفية بالتصفية والتجريد الشرعي، ولذا تاهت بعض العقول وضلت ومادنت إلى شيء منه بعد التعب الكثير، والقول المنصور أنه غير مشتق لما فيه من المناسبة التامة للمسمى وهو الاسم الأعظم عند صاحب الحزب وجم غفير من العلماء الأعلام ومرادهم بذلك أن له تأثيراً في الإجابة كتأثير الاسم الأعظم. ولذا اعتبروا في الدعاء به شروطاً، إذ الاسم الأعظم لايقدر على النطق به إلاَّ الكُمل من أهل الحقيقة ونطقهم مختلف على حسب صفاء السريرة وقوة الجأش فمنهم من ينطق به مرة، ومنهم من ينطق به أكثر من ذلك حتى إن من أراد أن ينطق به أكثر مما تحمله ذاته انفلق باطنه واحترقت ذاته كذا قال جُل أهل الحقيقة، وفضائل اسم الجلالة لاتحصى ولو لم يكن منها إلاَّ كون الشهادة التي بسببها ينتقل الكافر من كفره إلى الإيمان لابد أن يكون هذا الاسم فيها دون غيره من الأسماء لكان كافياً، لإنها إذا لم يكن فيها اسم الجلالة بل كان غيره من الأسماء لم يحصل له الإيمان على أحد القولين في شرط النطق بالشهادة. وهو المعتمد كما في عارضة ابن العربي وعليه الإمام ابن عرفه وجم غفير، ومن فضائله ماقال الشيخ لطف الله[1] أن من ذكره سبعين ألف مرة ودعا الله بما أراد فاز بالمطلوب. وقوله «وملائكته» قرأ العشر بفتح التاء نسقاً على لفظ الجلالة، وقرىء خارج العشر بضمها نسقاً على محل اسم الجلالة،

(١) هو لطف الله الرومي التوقاتي: العالم العامل الصوفي. (انظر جامع كرامات الأولياء) ـ ٤٤٥ ـ ج٢.

والملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي هو ملاك، والهمزة فيه مزيدة، وهو مشتق من الألوكة التي هي الرسالة والمراد موضعها لأن الملائكة وسائط بين الله وبين الناس، واختلف في حقيقتهم بعد الاتفاق على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وقالت الحكماء: أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وإنها أقل منها قوة وأكثر علماً. وهم ينقسمون إلى قسمين كما قال بعض أهل الحقيقة: قسم شأنهم الاستغراق في مشاهدة الحق، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، والمختار أن المأمورين منهم بالسجود لآدم عليه السلام ملائكة الأرض وجميعهم مكلفون لعموم البعثة ورجحه تقي الدين السبكي والجلال السيوطي، بل قال البسيلي[1] في تفسيره: ولا مانع من كونهم مكلفين في الدنيا والآخرة، وإن كانت الآخرة ليست بدار تكليف كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾[2] لأن صيغة الفعل صيغة أمر، واتفق العلماء أن الملائكة عليهم السلام لايأكلون ولا يشربون وإيمانهم لايزيد ولاينقص بخلاف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا الأصفياء، والأولياء فإن إيمان الجميع يزيد ولاينقص، والراجح أن عامة الناس إيمانهم يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها، والمنافقون وأهل الارتباط إيمانهم ينقص ولايزيد، وإذا حل بهم الموت ذهب بالكلية.

«يصلون على النبي» اختلف المفسرون في ضمير الجماعة فقيل عائد على الله وعلى الملائكة بناء على جواز الاشتراك بين الله وبين غيره في الضمير، وعليه فهو خبر إن، وقيل هو عائد على الملائكة فقط بناء على عدم جواز الاشتراك

---

(١) البسيلي: أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي. مفسر من أهل تونس. كان من تلاميذ ابن عرفة. حضر دروسه وجمع كتاباً مما كان يمليه عليه في (التفسير) وأضاف إليه زيادات.

(٢) سورة الصافات / آية ٢٢ .

في الضمير، وعليه فهو خبر عن الملائكة فقط، ويقدر خبر لأن الله أي أن الله يصلي وملائكته يصلون، واختلف في معنى الصلاة على أقوال المختار منها إنها من الله رحمةً، ومن الملائكة استغفاراً، ومن الآدميين تضرع ودعاءً، والمراد من ذلك الثناء عليه صلى الله عليه وسلم مع الدوام إلى يوم القيامة، وعند صاحب المغني أنها من قبيل المتواطي والمشكك بحسب الاعتبار لم تختلف في نفسها بل هي موجودة مع كل مسند إليه حقيقة على مايليق به وإنما زيد في تفسير الصلاة الدوام لأن المقصد المهم طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، إذ فيه من تحصيل الحاصل مالا يخفى، وهذا الدعاء إنما كان بلفظ الصلاة لكونه من خصائص الأنبياء والملائكة شُرع تعظيماً لهم ويجوز لغيرهم تبعاً، ويكره لغيرهم استقلالاً لأنه صار في العرف شعار الأولين، وقيل هو من خصائص الأنبياء فقط وأما الملائكة فالدعاء يكون لهم بالسلام ولا يشاركون الأنبياء في الصلاة. قال النووي في أذكاره: ويستثنى من التخصيص المذكور السيد لقمان والسيدة مريم على المشهور فإنهما وإن لم يكونا نبيين لكنهما ارتفعا عن مقام من يقال له رضي الله عنه فلا يكره في حقهما لفظ الصلاة. وكذا يقال في حق السيد الخضر عليه السلام فإنه مختلف في نبوءته وإنما قال يصلون بصيغة المضارع إشارة إلى الدوام والإستمرار، والنبيء يقرأ بالهمز وبغير همز ومعناه المنبأ، واشتقاقه من النبإ وهو الخبر لإنبائه عن الله، وهو إنسان أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ، وهل هو أفضل من الرسول أو الرسول أفضل؟ وعلى الأول العز ابن عبد السلام قائلاً: لأن النبوة أخبار عما يستحقه الرب سبحانه من صفات الجمال ونعوت الكمال فهي متعلقة بالله من طرفيها والإرسال دونها لأنه أمر بالإبلاغ إلى العباد فهو متعلق به من أحد طرفيه، وعلى الثاني صاحب كتاب التعاريف قائلاً: إن الرسول أفضل بالوحي الخاص الذي هو فوق النبوة «قلت» وهذا فيما يظهر هو الحق إذ

لايلزم من تعليل العز بن عبد السلام أفضلية النبوة على الرسالة إلاّ إذا وجدنا رسولاً وليس بنبي مع أنه لايكون رسولاً إلاّ إذا كان نبياً إذ كل رسول نبي ولا عكس وحيث كان كذلك فالرسول أفضل بزيادة الرسالة إذ قد اجتمع فيه المقامان اللهم إلاّ أن يقال مراد عز الدين رحمه الله أفضلية كل مقام بانفراده بقطع النظر عن اجتماع المقامين في الرسول، وإن كانت النبوة من لوازم كل رسول تأمله وأما الأنبياء فلا تفضيل بينهم لقوله تعالى: ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾[1]، وقد ورد النهي عن تفضيل بعضهم على بعض بالخصائص والأقيسة إذ التفضيل لاتقتضيه الخصائص بل بأمر الله، قال ابن عباد في بعض رسائله: إنما وقعت الأفضلية بين الأنبياء بحكم الله وللسيد أن يفضل بعض عبيده على بعض وإن كان كل واحد منهم كاملاً في نفسه بالغاً من ذلك الغاية التي تليق به، والتمثيل بالسيد أمر تقريبي إذ لا يخلو من البواعث والأغراض والله تعالى منزه عن ذلك، وقد حقق هاته المسألة شارح النصيحة والذي انفصل عليه نقلاً عن غيره أن ماورد من تفضيل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء نقول بموجبه ولانزيد عليه ولا نبالغ في الأفضلية بما نشاء إذ لم يرد فيها نص لما فيه من سوء الأدب مع أنبياء الله ورسوله إن النبيء عليه الصلاة والسلام[2] قال: (لاتخيروني من بين الأنبياء) والمقصود من هذا الحديث الوارد على عدم تفضيل بعضهم على بعض إنما هو بالمشيئة للقرب إلى الله تعالى، فنبينا صلى الله عليه وسلم وإن أسري به إلى فوق السبع الطباق واختراق الحجب، ويونس بن متى وإن نزل به إلى قعر البحار فهما بالنسبة إلى القرب من الله على حد واحد، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: (لاتفضلوني على يونس بن متى)[3]

(١) سورة البقرة / آية ٢٨٥ .

(٢) كنز العمال ج١١ / ٣٢٣٧٤ ـ رواه أحمد وابن ماجه ومسلم عن أبي سعيد.

(٣) قال الشيخ الجليل جلال الدين السيوطي رحمه الله: لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي في البخاري=

وأما أفضلية الأنبياء على سائر الأولياء فمما لاخفاء فيه وإن وجد كلام ظاهره يدل على تفضيل الأولياء على الأنبياء فهو إن صدر من عارف من أهل الحقيقة فهو مؤول وإلاَّ فهو كفر، ولذا أولَّ الشيخ أبو العباس المرسي[1] وغيره رضي الله عنهم قول أبي يزيد خضت بحراً وقف الأنبياء دونه فإن أبا يزيد يشكو بذلك عجزه عن اللحاق بالأنبياء ومراده أن الأنبياء عليهم السلام خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر يدعون الخلق إلى الخوض فيه، أي فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا فكلام العارفين لايفهمه إلاَّ من كان مثلهم، وآل في النبيء للعهد الذهني أو الحضوري أي النبيء الذي بين أظهركم، وإنما عد الصلاة بعلى مراعاة لأصلها لأن الأصل فيها الحنو والانعطاف فعدي لفظها بعلى، وقيل إن على بمعنى اللام لأن المحل محلها «ياأيها الذين آمنوا» في هذا الخطاب تشريف وتكريم لهذه الأمة بكرامة نبيها عليه الصلاة والسلام من حيث نودوا باسم الإيمان ونسب فعله إليهم وأثبت لهم، وقد نوديت الأمم السالفة في كتبها بيا أيها المساكين، وشتان مابين الخطابين، ويا حرف نداء، وأي منادى على الضم، وهاء التنبيه مقحمة بين أي وصفتها لتأكيد معنى النداء، وأي اسم مبهم مفتقر إلى مايزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو مايجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء إذ لايستقل بنفسه فهو ملازم للوصفية والعامل فيه وفي صفته حرف

= عن ابن مسعود رضي الله عنه: (لايقولن أحدكم: أنا خير من يونس بن متى). وفي سنن أبي داوود: (ماينبغي لنبي أن يقول: أنا أفضل من يونس بن متى). وفي الصحيحين (العبد) بدل (النبي). الشفاء ج ١/٢٦٥/.

(١) هو الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه: كان من أكابر العارفين، وكان يقال إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره. وهو أجّل من أخذ عنه الطريق ولم يضع شيئاً من الكتب. وكان يقول علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لاتحملها عقول عموم الخلق. ومن كلامه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام «خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة. مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة.

النداء، وإنما وجه الخطاب للمؤمنين دون غيرهم وإن لم يقل ياأيها الناس إن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من أجل القربات فلذا وَجَّهَ الخطاب للمؤمنين، ومن المعلوم الخلاف بين الأصوليين في كون الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أم لا وعلى القول بدخولهم تحت الخطاب فالكفار مستثنون من ذلك ولذا استثنى علم الدين البلقيني أشياء لاتدخل الكفار فيها منها ياأيها الذين آمنوا مهما كانت، فإنه لايدخل الكفار في الخطاب بها وإنما قال آمنوا ولم يقل آمنتم ليدخل تحته كل من آمن إلى يوم القيامة ولو قال آمنتم لاتخص بمن كان في عصره صلى الله عليه وسلم وهذا أحد قولين عند الأصوليين؛ والآخر إنه مختص بأهل عصره، والأول عليه السلف والحنابلة والخطاب عندهم في المؤمنين إلى آخر الأبد. «صلوا عليه وسلموا تسليماً» صيغة الفعل صيغة أمر والأمر إذا أطلق ينصرف للوجوب ويحصل الأمتثال ولو مرة واحدة ضرورة إنَّ الأمر المطلق لايقتضي تكريراً، فقوله صلوا أي ادعوا له بزيادة الرحمة والشرف والإكرام بأن تطلبوا له ذلك من الله، وحكم السلام في الأمر كالصلاة لاستوائهما في الطلب بصيغة الفعل، ولفظ السلام له معان كثيرة منها التحية قال القاضي عياض في الشفاء: وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أوجه أحدها: السلامة لك ومعك، ثانيها: السلام على حفظك ورعايتك مُتولٍ له وكفيل ويكون السلام هنا اسم الله، ثالثها: أن السلام بمعنى المسالمة والانقياد وقوله تسليماً مصدر منصوب بسلموا، وإنما كانت هاته الآية جملة اسمية مؤكدة بأن لتنزيل المخاطبين بها منزلة المتردد في شأنه عليه الصلاة والسلام من حيث التعظيم والتوقير؛ وفي الآية من إشارات الصوفية ذوي الهمم العلية ماقاله الإمام القشيري: أن الله تعالى أراد أن يكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافيهم عليها بالشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافاهم على لسان نبيه بقوله: (من صلى عليَّ

واحدة صلى الله عليه عشر مرات) نقله القسطلاني في مسالك الحنفاء، وفضل هاته الآية كثير فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إذا قرأ العبد إن الله وملائكته يصلون الخ . . ناداه ملك فلان لاتسقط لك عند الله حاجة) وفيها إيذان بعزازة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وفخامة أمره واستغنائه بصلاة الله وملائكته عليه عن صلاة غيرهم ﴿ إلاَّ تنصروه فقد نصره الله ﴾[1]. ثم قال: «اللهم صل على محمد وبارك وسلم» أعقب الآية رضي الله عنه بهاته الصلاة امتثالاً للأمر الذي تضمنته مع أن الصلاة مطلوبة في مفتتح كل أمر ذي بال، وهذا الحزب مما له بال قال القاضي عياض في الشفاء: الذي مضى عليه عمل الناس ولم ينكروه الصلاة في أول الرسائل وما يكتب بعد البسملة. فقوله اللهم أي ياالله ولذا لاتستعمل إلاَّ في الطلب فلا يقال اللهم غفور رحيم بل يقال اللهم اغفر لي وارحمني، ولأجل هذا تجعل في أول الأدعية غالباً كما هنا، والمختار أن ميم اللهم زيدت عوضاً عن حرف النداء المحذوف وهو مذهب البصريين، ولا يجوز الجمع بينه وبين الميم اختياراً إلاَّ في الضرورة الشعرية كقول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألما أقول ياالله يااللهما

وعند سيبويه أن هذا الاسم لايوصف فلا تقول ياالله الرحيم ارحمني وضمة الهاء أصلية، وإنما فتحت الميم لكونها بمثابة علامة جمع المذكر السالم وشددت لتعادل الحرف المحذوف لكونها عوضاً عنه، وعند أهل الطريقة إن هاته الميم جمعت سر الأسماء الحسنى ولذا قال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه. والذي تقرر أن اسم الجلالة علم على ذات واجب الوجود باعتبار اتصافها بجميع الصفات لا مجرداً عن ذلك،

(١) سورة التوبة / آية ٤٠ .

فلفظ اللهم حقيق أن يتوجه به في الدعاء لما تضمنه من عظيم الثناء، وأصل معناه اثن عليه يالله عند ملائكتك وشرّفه وكرّمه زيادة على ماشرّفته به وكرّمته، أو اجعل اللطف والرحمة المقرونة بالتعظيم المنبعثة عن العطف والحنان على محمد، وهذا الاسم أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم، وبه سماه جده عبد المطلب. وقيل له: لم سميته محمداً ولم يكن من أسماء آبائك وأجدادك فقال: لأني أرجو أن يحمده أهل السماء والأرض فحقق الله رجاءه، وقيل إنما سماه محمداً لرؤيةٍ رآها وهو أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف بالمغرب والناس يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فسماه محمداً رجاءً لذلك هذا وقد سماه الله به قبل أن يخلق آدم عليه السلام ولم يسم به أحد قبله إلاّ بقرب زمانه تسمى به خمسة عشر رجلاً رجاء النبوة (والله يعلم حيث يجعل رسالته)، وفي هذا الاسم أسرار عظيمة، ففي دلائل الخيرات ومن جملة التوسلات قوله وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم، وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرستْ، وعلى البحار فجرتْ، وعلى العيون فنبعتْ، وعلى السحاب فأمطرتْ. قال الشيخ ابن المبارك[1] في الإبريز سألت أستاذي عبد العزيز الدباغ على هذا الاسم فقال لي هو محمد. وناهيك بهذا السر العظيم وماختص به عليه الصلاة والسلام من التبجيل والتكريم والبركة كثرة الخير والكرامة والنمو والزيادة، أو هي الثبات على ذلك أو هي التطهير والتزكية

(١) هو أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك، أبو العباس السجلماسي اللمطي: فقيه مالكي، عارف بالحديث والتفسير. ولد ونشأ في سجلماسة وانتقل إلى فاس سنة (١١١٠ هـ) فقرأ بها وأقرأ وتقدم حتى صرح لنفسه بالاجتهاد المطلق وتوفي بها. له كتب الإبريز جمع فيه كلاماً لشيخه عبد العزيز.

من المعائب أو هي الزيادة في الدنيا والذرية فهي صالحة لهاته التفاسير، والمقصود أفض عليه بركات الدين والدنيا أو أدم عليه ما أعطيته من التشريف والكرامة. «وصلى الله على مجمع كماله» هذه الجملة إنشائية معطوفة على الجملة قبلها وإن كانت لفظها لفظ الخبر. ولاخفاء أنه صلى الله عليه وسلم مجمع أنواع الكمالات لأنه اجتمع فيه ماافترق في غيره من المظاهر فإن الغير مستمد منه وآخذ عنه فهو مجمع جميع الأسرار من الأسماء والصفات وهو منبعها ومظهرها وهو السر الذي أودعه الله في مكنوناته العلوية والسفلية الذي ظهرت به الأسرار وأشرقت الأنوار، فلا مكوَّن إلّا من سره الذي قام به أمره، وذاته الكريمة جمعت حقائق الموجودات، ونبوته جامعة لسائر النبوات، ونوره جامع لسائر الأنوار، ويومه جامع لسائر الأيام، وكتابه جامع لسائر الكتب. «ومحيط نواله» الإحاطة الاستدارة بالشيء، والنوال العطية، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم محيطاً بنوال الله وعطيته لما علم من أن كل شيء من المخلوقات متعلق ومرتبط به استناداً واستمداداً، فكل إنسان وكل حيوان بل وكلّ جماد استناده إليه صلى الله عليه وسلم علوياً كان أو سفلياً، لأن نعمة الإيجاد والإمداد اللتين ماخلا موجود عنهما، وكل مكوَّن لابد له منهما الواسطة العظمى فيهما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما يشهد لذلك حديث الخِطاب لآدم عليه السلام في قوله: (لولاه ماخلقتك) وحيث كان هو الواسطة في كل شيء صح أنه محيط بنوال الله وعطيته ولذا قال الإمام البكري رحمه الله:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أن تنزل
في ملكوت الله أو ملكه ... من كل مايختص أو يشمل
إلّا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل

«ومحضر إنزاله» أي المشاهد لإنزاله من الوحي بالتلقي عن جبريل عليه السلام أو المراد به أنه عليه الصلاة والسلام محل البركات التي يرسلها الله إلى الخليقة. «سيدنا محمد وآله» السيد قد فسر بتفاسير كثيرة منها الذي يفزع إليه وقت الشدائد وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في الحديث إطلاقه عليه، فمن ذلك حديث الترمذي رحمه الله (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) وفي حديث الصحيحين (أنا سيد الناس يوم القيامة) هذا وأن النبي صلى الله عليه وسلم معلوم بالسيادة طبعاً وخلقاً وأدباً إلى غير ذلك من المكارم من قبل ظهوره بالنبوة يعرف من اعتنى بالسير، وتعرف أحواله من الصغر إلى الكبر، والقرآن ناطق بسيادته عند علماء الحقيقة، قال القاضي عياض في الشفاء: من أسمائه عليه الصلاة والسلام يس ومعناه ياسيد، وقيل ياسيد البشير، والإضافة فيه لتعريف العهد الخارجي مع إفادتها التشريف، ومحمد بدل من سيد والآل مختلف في تعيينهم، فمذهب مالك رضي الله عنه أنهم بنو هاشم ماتناسلوا وهو المشهور، وقيل بنو عبد المطلب وهو قول قوي في المذهب، وأما حديث (آل محمد كل تقي من أمته)[1] فإنه رواه الديلمي بإسناد ضعيف قاله السمهودي في كتاب الغماز على اللماز.

* «واعلم» * بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض قال ابن عبد البر[2] أجمعت العلماء على أن الصلاة فرض على كل مؤمن للآية الشريفة والوجوب يحصل ولو بمرة واحدة في العمر، وعليه الإمام أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما وجم غفير من العلماء، وإنما الاختلاف في استحباب

(١) (آل محمد كل تقي من أمته) هذا الحديث تقدم ذكره والإشارة إليه.

(٢) ابن عبد البر: الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. ولد سنة ثمان وستين وثلاث مائة. ساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان. قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث، وكان يميل في الفقه إلى الشافعي. مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

الزيادة على الواحدة، وأما ذكرها في التشهد الأخير من الصلاة فاختلف المالكية فيه بالسنية والفضلية وشذ ابن المواز[1] منهم فقال بالوجوب ولم يجعله واجباً شرطاً، ولا أنَّ الصلاة تبطل بتركه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه فإن الصلاة في التشهد عنده واجبةً شرطاً وتبطل الصلاة بتركها، ولا قائلَ به غيره، ثم إن كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليست متعينة بلفظ مخصوص بل الباب في ذلك واسع، ففي مسالك الحنفاء بسند مؤلفه شهاب الدين القسطلاني إلى كعب ابن عجرة[2] قال: لما نزلت ﴿ إن الله وملائكته الآية ﴾ قلنا يا رسول الله: قد علمتنا السلام عليك يعني كيفية السلام في التشهد فكيف نصل عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. قال بعض الفضلاء فعلم من هذا أن مراده التعليم في الكيفية بأن نطلب من الله الصلاة عليه لا أننا نصل عليه بأنفسنا، فكانت الكيفية نص في ذلك ولا يضر حينئذ تغير الألفاظ الدالة على ذلك وصنيع السلف والخلف قاض بذلك «تنبيهان» الأول ربما يختلج في الصدر أن قاعدة العرب في التشبيه تقتضي أن المشبه بالشيء يكون أخفض رتبة وأعظم أحواله أن يكون مثله وههنا شبهت عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم بعطية إبراهيم عليه السلام كما في حديث التعليم المذكور، وكان عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله يبدي هذا الكلام في درسه وتحمل في الجواب عنه جم غفير وما أصابوا

---

(١) هو فقيه الدِّيار المصرية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الاسكندراني المالكي ابن المواز صاحب التصانيف. انتهت إليه رئاسة المذهب، والمعرفة بدقيقه وجليله. وله مصنف حافل في الفقه. قدم دمشق، وتَزَهَّدَ وانزوى ببعض الحصون الشامية في أواخر عمره حتى أدركه أجله. توفي سنة تسع وستين ومئتين.

(٢) كعب ابن عجرة: بن أمية بن عدي البلوي: حليف الأنصار صحابي شهد المشاهد كلها وفيه نزلت الآية: ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ سكن الكوفة وتوفي بالمدينة. له ٤٧ حديثاً.

المرمى حتى قبض الله له شهاب الدين القرافي قال رحمه الله في الفروق: إن الدعاء في لسان العرب لا يتعلق إلا بمعدوم مستقبل كسائر أنواع الطلب، وقولنا اللهم صل دعاء فلا يتعلق إلا بعطية لم تعط لرسول الله صلى الله عليه وسلم معدومة لأن طلب تحصيل الحاصل محال، فالحاصل له عليه الصلاة والسلام لم يتعلق به طلب لكونه وجوداً حاصلاً وبهذا الموجود الحاصل حصل له التفضيل إبراهيم عليه السلام، فيكون الواقع قبل دعائنا مواهب ربانية من خير الدنيا والآخرة لم يدركها أحد من الأنبياء قبله ونحن نطلب زيادة على ذلك تكون تلك الزيادة مثل المواهب الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

(الثاني) وقع خلاف بين العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل هي من المقطوع بقبوله أو هي من المظنون؟ قال: أبو إسحاق الشاطبي في شرح الألفية: أن الصلاة من المقطوع بقبولها، واستشكله سيدي محمد السنوسي رحمه الله فقال إذا قطعنا بقبولها قطعنا بحسن الخاتمة لكل مصل، قال: ويجاب عنه بأن معنى القطع بقبولها أنه إذا ختم له بالإيمان وجد حسنتها مقبولة لا ريب فيها بخلاف سائر الحسنات لا وثوق بقبولها وإن مات صاحبها على الإيمان، ويحتمل أن قبولها على القطع إذا صدرت من صاحبها على وجه محبته صلى الله عليه وسلم، فيقطع بانتفاعه بها في الآخرة ولو بتخفيف العذاب إن قضي عليه به ولو على وجه الخلود المؤبد لا على موقع محبة أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم؟ ألا ترى إلى انتفاع أبي طالب في الآخرة بمحبته له صلى الله عليه وسلم وكذا تمثيل أبي لهب في سعته في نقرة الإبهام وتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين لعتقه من بشّرته بولادته عليه الصلاة والسلام. وتعقب الشيخ ابن المبارك في الإبريز المبالغة المذكورة في قوله ولو على وجه الخلود الخ.. بأن النصوص تظافرت من الكتاب والسنة بإحباط عمل الكافر وأن الإيمان شرط في القبول، وأما أبو طالب وأبو لهب فقد خرجا

عن ذلك لنص فعدل بها عن سنن القياس فلا يقاس عليها، لأن من شرط المقيس عليه على ماتقرر في الأصول أن لايعدل به عن سنن القياس. وحينئذ فلم يبق إلا الظن القوي بقبولها، والذي حرره الشيخ ابن المبارك في هاته المسألة عن شيخه عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه أن القطع بقبولها ليس على إطلاقه، بل لايحكم بذلك إلا إذا أبرزت عن ذات طاهرة وقلب طاهر، لأنها إذا خرجت من الذات الطاهرة خرجت سالمة من جميع العلل مثل الرياء والعجب وغيرهما فالعلل كثيرةٌ جداً ولا يكون منها شيء في الذات الطاهرة والقلب الطاهر. وأما حديث (كل الأعمال فيها المقبول والمردود إلا الصلاة عليّ فإنها مقبولة غير مردودة) ضعيف قاله ابن حجر، وعن شمس الدين السخاوي إن الحديث المذكور من كلام أبي الدرداء من قوله: (إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى). إذا علمت هذا صح أنه لا دليل على القطع بقبول الصلاة، نعم هي أرجى في القبول من غيرها، وادخل في باب الظنون إلا إذا برزت عن ذات طاهرة وقلب طاهر كما سبق فينبغي للمصلي أن يحترز من العلل الموجبة للظلام الداخل على قلبه، فمن ذلك ماحكاه صاحب الإبريز قال: ترى الرجل يقرأ دلائل الخيرات، فإذا أراد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صورَّه في فكره وصورَّ الأمور المطلوبة له كالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وغير ذلك مما هو مذكور في كل صلاة وصورَّ نفسه طالباً لها من الله وقدَّر في فكره أن الله يجيبه عليه ويعطي ذلك لنبيه عليه الصلاة والسلام على يد هذا الطالب، فيظن أنه حصل منه للنبي صلى الله عليه وسلم نفع عظيم فيستبشر ويزيد في القراءة ويبالغ في الصلاة ويرفع بها صوته ويحس بها خارجة من عروق قلبه ويعتريه خشوع وتنزل به رقة عظيمة، ويظن أنه في حالة عظيمة مافوقها

حالة، وهو في هذا الظن على خطأ عظيم فلا يصل بصلاته هذه إلى شيء من الله عزَّ وجل، لأنها متعلقة بما ظنه وصوره في فكره وظنه باطل والباطل لايتعلق بالحق، فليحذر المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الآفات العظيمة، فإن أكثر الناس لايفطنون لها ويظنون أن تلك الرقة والحلاوة الحاصلة لهم كائنة من الله إنما هي من الشيطان ليدفعهم بها عن الحق، ومن موجبات إدخال الظلام على القلب الرياء في الصلاة، ولايقال إن الريـــاء لايدخل فيها لأنا نقول أفتى شيخ الإسلام [1] وغيرهما أن الرياء يدخل كل الأعمال حتى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاهدنا في زماننا هذا أناساً مراثين بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وبالأذكار، نسأل الله العافية بمنه وكرمه، والذي ينبغي له أن يكون الحامل على قراءته محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لاغير، وأما إن كان الحامل عليها نفع العبد فإنه يكون محجوباً وينقص أجره، أو الحامل عليها نفع النبي صلى الله عليه وسلم، فإن صلاته حينئذ لاتتعلق بالحق سبحانه ولا تبلغ إليه. كلامه. ثم شرع الشيخ رضي الله عنه فقال: «إلهي بك أستغيث فأغثني» أي يالإلهي فهو منادى حذف منه حرف النداء والمراد هنا بالإله المعبود بحق أعني واجب الوجود المطاع الثابت الدائم، وإن كان غير معرف بأل صح إطلاقه على الله وعلى غيره بخلاف المعرف بها فإنه لايطلق إلاَّ على الله وحده، وإضافته هنا للتشريف. قال ابن برجان في شرح الأسماء: ومن التطرق إلى معرفته من جهة الحروف المؤلفة قولهم أله بالمكان إذا قام به، ومن ذلك ألوه والتوله بمعنى إفراد المحبة والود والفرار إليه من سواه. والشيخ رحمه الله فار إلى الله ومستغيث به لابغيره كما يرشد إليه تقديم المعمول، ومعنى الإغاثة العون والنصرة، يقال: أغاث الله العبد إذا كشف

---

(١) بياض بالأصل.

الشدة عنه وهاته المناجاة إحدى التوجهات الثلاث عند القوم. الأول توجه بالاستسلام وذلك عند تعذر الأسباب وهي طريق العارفين. الثاني توجه بالطلب وذلك عند انشراح الوقت وجريانه بالمعتاد وموقف تذكير النفس بالافتقار حين غفلتها عن التوحيد والاضطرار أو يكون البساط بساط تعليم أو تذكار ونحوه. الثالث توجه بالتعريض وذلك حين يغلب حسن الظن والاكتفاء بالعلم كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾[1] وقول موسى عليه السلام: ﴿إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[2] والتوجه الثاني منطبق على كلام الشيخ هنا، (فإن قيل) مافائدة الدعاء مع أن القضاء لامرد له (قلت): قال الإمام الغزالي: اعلم أن من جملة رد البلاء والدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لايحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿ وليأخذوا حذرهم[3] وأسلحتهم ﴾ فقدر الله الأمر وقدر سببه. ثم قال: * وبك استعنت فأعني * جاء في الحديث عن ابن عباس[4] رضي الله عنهما (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) وجملة الاستعانة هاته توجد في بعض النسخ دون بعض، والمعنى أطلب منك الإعانة لا من غيرك، والسين والتاء للطلب، والإعانة لاتكون إلاّ من قادر عليها، والعاجز عنها لاقدرة له على إعانة نفسه فضلاً عن غيره. ثم قال * وعليك توكلت فاكفني * أي اعتمدت عليك لاعلى غيرك إذ التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو في حفظها بعد

(١) سورة الشعراء / آية ٨٢ .

(٢) سورة القصص / آية ٢٤ .

(٣) سورة النساء / آية ١٠٢ .

(٤) في مجمع الزوائد ج٧ / ١٧٩ عن عبد الله بن جعفر.

حصولها وفي دفع المضرات أو رفعها بعد وقوعها، وعند صاحب الحزب التوكل هو الخروج عن الحول والقوة مع سكون إلى رب الأرباب، وقال في كتاب التعاريف هو الثقة بما عند الله والإياس عما في أيدي الناس.

* واعلم * أن الناس في التوكل على ثلاثة أقسام منها أن يعتمد الإنسان على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله، ومنها أن يكون كالميت بين يدي غاسله وصاحب هذه الحالة لا حظ له عند نفسه، وبها كان صاحب الحزب يوصي المريدين كما في كتاب فتوح الغيب له.

* والحاصل * أن حقيقة التوكل عند أهل الحقيقة كلة الإنسان أمره إلى خالقه والتعويل على وكالته إذ قد سمى نفسه في الأزل وكيلاً، وأيد ذلك بإيجاد الخليقة ثم بإمدادها ثم بكمالها في جميع الأحوال بالخلق والرزق والأمر والنهي وغير ذلك، ومحل التوكل القلب كما قال القشيري، والحركة بالظاهر هي السبب وهو لا ينافي ما في القلب من التوكل بعد حصول ماتحققه العبد من أن كل مقدر كائن من الله، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره، وقوله فاكفني أي لاتحوجني إلى أحد سواك وادفع عني مايسوءني وأعني في جلب ماينفعني ودفع مايضرني، ولذا ناجاه بقوله * ياكافي اكفني المهمات * اسمه تعالى الكافي مشتق من كفى يكفي، قال ابن برجان: هذا إلى سبيل الدفاع أقرب، وقد كفى الله عبيده كما في قوله عز من قائل: ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾[1]، والمهمات جمع هم بالفتح وهو القصد إلى الشيء وعدم الفعل، ومنه الحديث الشريف[2] (لقد هممت أن أنهى عن

---

(١) سورة الزمر / آية ٣٦.

(٢) كنز العمال /٤٤٨٥٠/ رواه مالك، واحمد، ومسلم في كتاب النكاح باب جواز الغيلة رقم ١٤٠/١٤١.
وله تتمة وهي (حتى ذكرتُ أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم).

الغيلة)[1]، أي عن إتيان المرضع مع أنه صلى الله عليه وسلم مانهى عن ذلك، والمعنى تول صلاح أحوالي ومهماتي التي عزمت عليها ولم أفعلها. ثم قال: «منْ أمر الدنيا والآخرة» أي: حالهما إذ الأمر الحالة كما في المصباح، والدنيا في معناها قولان أحدهما أنه اسم لمدة بقاء العالم، ثانيهما أنها اسم لما بين السماء والأرض فما فوق السماء وماتحت الأرض ليس من الدنيا وعلى الأول الدنيا زمان وعلى الثاني مكان، ولفظها مشتق من الدنو فإن قارنه لفظ الحياة فزمان وإن لم يقارنه احتمل الزمان والمكان، وأما الآخرة فقال محي الدين بن عربي: هي الجنة والنار اللتان أعدهما الله للجزاء سميت آخرة لتأخر خلقها عن الدنيا بتسع آلاف سنة نقله الفاسي[2] شارح الحصن الحصين، ولايبعد أن يقال: إنما سميت بذلك لتأخر وصول الخلق إليها بالإقامة فيها، وإنما ناجى مولاه باسمه الكافي واسمه الرحمن الرحيم لمناسبة ذلك لمطلبه، لأنه استغاث به واستعان وعليه توكل لاعلى غيره كما يرشد إليه تقديم المعمول فناداه بهذه الأسماء ليكفيه ماطلبه ولايحوجه إلى غيره ويرحمه برحمته الواسعة، وهذا من أداب الدعاء ويرجى به القبول لإمتثاله سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان عليه السلام حين يدعو يذكر الله باسم من أسمائه مناسب لمطلبه ذكره ابن أبي جمرة[3]. وقوله «يارحمن الدنيا والآخرة ويارحيمهما» أي يارحمن أهل الدنيا والآخرة قال ابن برجان: معنى الاسم الأول مامنح الله به عباده من جلائل النعم، ومعنى الاسم الثاني مامنحهم من دقائقها، وإنما قدم

---

(١) الغَيْل: بالفتح، وهو أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضع، وكذلك إذا حملت وهي مرضع. النهاية ج ٣/٤٠٢ .ب.

(٢) الفاسي: أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر، أبو العباس الفاسي الفهري: فاضل، له (اللؤلؤ والمرجان).

(٣) ابن أبي جمرة: عبد الله بن سعد بن سعيد بن جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد: من العلماء بالحديث مالكي أصله من الأندلس وفاته بمصر، من كتبه (جمع النهاية).

الرحمن لأنه صار كالعلم من حيث أنه لايوصف به غيره تعالى ولا عبرة بتسمية مسيلمة الكذاب[1] بهذا الاسم في تسمية قومه له برحمان اليمامة، لأن ذلك من تعنتهم في الكفر وهما مشتقان من الرحمة التي هي الرفق والإحسان وإيصال الخير ودفع الشر والرحمة من صفات الذات والتعليل في أبلغية الرحمن على الرحيم، بأن كثرة الحروف تدل على زيادة المعنى غير مطرد كما حرروه، وعند أهل الحقيقة أن الرحمة تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة الأول هي الشاملة لكل حقيقة علمية قبل تعيينها وتسمى عندهم بالنفس الرحماني، والثاني هي الواقعة بعدها في حضرة من الحضرات، وقبول تاج الدين ابن عطاء الله نعمتان ما خرج موجود عنهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد إشارة إلى الرحمة العامة. ثم قال: «إني عبدك ببابك» هذا شروع منه في تعداد أوصافه الدالة على نقصه وحدوثه القاضية بكمال الله وعظمته وبقائه تواضعاً لربه، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه والعبد في اللغة خلاف الحر وهو اسم يضاف للرب والسيد، والمالك مأخوذ من قولهم عبدت الله أعبده عبادة وهي الانقياد والخضوع فالعبد من له رب ومن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، فالعبودية صفة قائمة بالعبد تحمله على امتثال الأوامر واجتناب المناهي والرضا بالأقدار ولها أول في مقام الإسلام وآخر في مقام الإحسان ولا صارف للعبد على إقامتها في مقاماتها إلاّ النفس الأمارة بالسوء، ولاسبيل إلى استسلامها إلى أحكام الربوبية إلاّ بمجاهدتها على طريق الطائفة الصوفية فشهود العبودية كمال الإنسان ومقامها أشرف المقامات ولأجلها كان الإيجاد.

---

(١) مسيلمة الكذاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي أبو ثمامة: متنبيء من المعمرين، ولد ونشأ في اليمامة وتلقب في الجاهلية بالرحمن. خاض معركة بقيادة خالد بن الوليد وانتهت المعركة بمقتل مسيلمة سنة (١٢ هـ). كان مسيلمة ضيئل الجسم وكان اسمه مسلمة وصغره المسلمون تحقيراً له.

قال تعالى: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون ﴾[1] ولذا كان اسم عبد الله أحب الأسماء إلى الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله)[2] فاستثبت ماهو ثابت له وأسلم لله ماهو له، وقوله ببابك متعلق بمحذوف أي واقفٌ ببابك يامالكي، وإضافة عبد للتشريف وكذا جميع مايأتي من الصفات مضافةً لكاف الخطاب. ثم قال: «فقيرك ببابك» أي المفتقر إليك في جميع الحالات، ومعنى الفقير في اللغة يأتي في قوله مسكينك ببابك، والاتصاف بالفقر إلى الله من أكمل الأوصاف لاقتضائه الغنى عمن سواه تعالى، وكلامه يرشد إلى حصول صفة الفقر له القاضية بالغنى عمن سواه تعالى كما ترشد إليه الإضافة إلى ضمير الخطاب، وفقير الله في طريقة القوم هو الذي امتلأ قلبه بربه ولاشغل له فيما سواه، فإذا فنى عن ذكره غيره كان فناء وهو على ثلاثة أقسام فناء في الأفعال لا فاعل إلاَّ الله، وفناء في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلاَّ الله، وفناء في الذات لاموجود على الإطلاق إلاَّ الله وأنشدوا في ذلك:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء

والاتصاف بصفة الفقر هذا عزيز، ولذا سأله القطب الشاذلي رضي الله عنه حيث قال في حزبه الكبير: نسألك الفقر مما سواك، لأن من كان افتقاره إلى الله انقطعت عنه علائق مايشغل عن الحق وتمحض للعبودية وبذلك يحصل له الغنى، ذكر في منهاج العاشقين أن موسى على نبينا وعليه

---

(١) سورة الذاريات / آية ٥٦.

(٢) رواه البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب واذكر في الكتاب مريم (ج ٤/٢٠٤) عن عمر بن الخطاب. ولفظه (لاتطروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبدُ الله ورسوله).

الصلاة والسلام ناجى مولاه فقال: إلهي أنا الغريب وأنا المريض وأنا الفقير. فأوحى الله إليه ياموسى الغريب من لم يكن له مثلي حبيب والمريض من لم يكن له مثلي طبيب والفقير من لم يكن له مثلي مجيب فيا من هو الغني بلا فقر والعزيز بلا ذل أسألك غنى لا فقر فيه وعزاً لا ذل فيه وليس ذلك إلا بك ياأرحم الراحمين وماأحسن قول الروذباري[1] في وصف الفقراء حيث قال:

فـاء الفقـير فنـاؤه ببقـائـه ... والقـاف قـرب محله للقـائـه
والياء يعلم كونـه عبداً لـه ... في جملة العتقـاء من طلقائـه
والراء راحة جسمه من كده ... وبـلائـه وعنـائـه وشقـائـه
هذا الفقير إن طلبت وجدته ... في جملة الأصحاب من رفقائه
أهل الصيانة والديـانة والتقى ... مضمون قصد الحق من تلقائه

* «واعلم» * أن الفقير هو من اتصف بالصفات السابقة وامتلأ قلبه بربه ولا شغل له بما سواه، وأما المتشبهون بهم الذين قصدهم الالتحاق بهم الآخذون في طريقهم وسبيلهم، فإذا صحبهم عمل التحقوا بهم لما رواه الطبراني بإسناد حسن (من تشبه بقوم فهو منهم) قال المناوي أي من تزيّ في ظاهره بزّي الصلحاء وهو من أتباعهم يكرم مايكرمون، ونقل عن الشيخ زروق أن المشائخ قالوا: من تشبه بهم من غير عمل فهو ملبس، نعم إن كان تشبه بهم لدفع ضرر فلا بأس به إذ قد أباحه الله قال تعالى: ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك ﴾[2] إلى قوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين فأخذ منها العلماء جواز المرقعة والعكاز والسبحة ومحفظة الكراريس واللوح ونحو ذلك لدفع الضر في الأسفار لا لجلب فائدة. وأما إذا ادعى الولاية وتشبه بالأولياء في

(١) الروذباري: محمد بن أحمد بن الهيثم أبو بكر الروذباري: عالم بالقراءات من أهل بلخ استوطن مدينة غزنة. له (جامع القراآت).
(٢) سورة الأحزاب / آية ٥٩.

زيهم فإن ذلك من الذي عقوبته سوء الخاتمة كما نصوا عليه. ثم قال: «سائلك ببابك» هذه الجملة توجد في بعض النسخ دون بعض وسائل اسم فاعل من سأل وهو عند الصوفية طلب الأدنى من الأعلى، فإن وقع من العبد إلى الله كان عزاً، وإن وقع لغير الله كان ذلاً قال تعالى: ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾[1] قال صاحب الحزب في كتاب فتوح الغيب إن الله عز وجل يبتلي طائفة من المؤمنين من أهل الولاية والمعرفة ليردهم بالابتلاء إلى السؤال فيجب سائلهم فإذا سألوا بحب إجابتهم ليعطي الكرم والجود حقهما، لأنهما يطالبانه عز وجل عند سؤال المؤمن بالإجابة وقد تحصل لهم الإجابة ولم يحصل لهم النقد والنفاذ لتعليق القدر لاعلى وجه عدم الإجابة والحرمان والصد، فليتأدب العبد إذا نزل البلاء، ويفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب النواهي ماظهر منها ومابطن إذ الغالب إنما يبتلي لذلك، فإن انكشف البلاء وإلاّ فليخلد إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم السؤال لجواز أن يكون ابتلاء ليسأله ولايتهمه في تأخير الإجابة، وقال أيضاً: في الكتاب المذكور لاتقل لا أدعوا الله فإن كل ماأسأله إن كان مقسوماً فسيأتيني سألته أو لم أسأله، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤالي قال رضي الله عنه: بل اسأله عز وجل جميع ماتريد وتحتاج إليه من خير الدنيا والآخرة مالم يكن محرماً لأن الله أمر بالسؤال له فهو عبادة محضة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[2] ورحم الله من قال:

تورّع عن سؤال الخلق طراً ... وسل رباً كريماً ذا هباتِ
ودع لذّات دنياك اللواتي ... تراها لاتحالة ذاهبات

(١) سورة النساء / آية ٣٢ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات برقم /٣٤٧٤/ عن أبي هريرة ـ والحاكم في كتاب الدعاء ج ١ /٤٣٩/ (بلفظ أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لايستجيب دُعاءً من قلبٍ غافل لاهٍ).

وقوله ببابك متعلق بمحذوف تقديره واقف بباب عطائك. ثم قال: «ذليلك ببابك» أي واقف بباب عزك، ومعنى الذل الهوان والضعف وهو يتعلق بالنفوس والأهواء كالإعزاز بخلاف الخفض والرفع فإنهما يختصان بالمراتب، وماسوى الله كله تحت قهر العبودية ذليل له ولو كان جباراً عنيداً، فوقوف العبد بباب العزيز وهو ذليل إعطاء لحق العبودية لأنه تارك للكفر متبريء من الحول والقوة، وبهذا ومثله ترجى إجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء، فقد قالوا: أبواب الملوك لاتقرع بالأيدي بل بنفس المحتاج، ورحم الله من قال:

ومـارمت الدخـول عليه حتى حللت محلة العبـد الـذليـل
وأغضيت العيـون على قـذاها وصنت النفس عن قال وقيل

فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر، وهو ديدن العارفين. قال تاج الدين بن عطاء الله: إلهي هذا ذلي بين يديك وهذا حالي لايخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك والحسنى بصدق العبودية بين يديك، ثم قال: (ضعيفك ببابك) هذه الجملة توجد في بعض النسخ دون بعض فقوله ببابك أي واقف ببابك ياقوي، والضعيف بفتح الضاد لغة بني تميم، وبضمها لغة قريش ومعناه خلاف القوة قال تعالى: ﴿ خلق الإنسان ضعيفاً ﴾[1] ولذا قال تاج الدين[2] تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته. وذلك لأن الإنسان ضعيف عن كل شيء من المعاني

(١) سورة النساء / آية ٢٨ .

(٢) الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: الزاهد المذكّر الكبير القدر تلميذ الشيخ ياقوت وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي كان ينفع الناس بإشاراته ولكلامه حلاوة في النفوس وجلالة. مات سنة سبع وسبعمائة وقبره بالقرافة يزار. وله من المؤلفات كتاب التنوير في إسقاط التدبير وكتاب الحكم.

والمحسوسات فيطلب من الله التقوية في كل شيء وإن يعينه على مراده، لأنه إن لم يعنه الله تعطلت عليه أسباب الإعانة مطلقاً ورحم الله من قال:

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مقصد ضللت ولو إن السماك دليل

وأضداد هاته الأوصاف أوصاف الربوبية من عز وغنى وقوة، قال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه: ملازمة العجز والفقر والضعف تصحيح للعبودية، وأضدادها أوصاف الربوبية فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه. ثم قال: (أسيرك ببابك) أي واقف وجالس بباب امتنانك إذ الأسر هو الحبس، وكأنه يقول أسير الله محبوس في طاعته وخدمته ومحبته ولا ميل له لمن سواه، وكيف لا وإحسانه لاينقطع عنه أبد الآبدين، وقد ألبس أولياءه ملابس الهيبة فقاموا بعزته مستعزين، وبدأ بالإحسان قبل توجه العابدين، وجاهر بالعطايا قبل طلب الطالبين فالوقوف ببابه عز وجل واجب، والأسر في محبته من المواهب لأن الإنسان عبد الإحسان، وهو عبد الكمال والكمال محبوب بالطبع عند من أدركه، وثمرة هذا النوع من المحبة الاستغراق في الشهود وارتفاع الحجب عن قلب صاحبه حتى يفنى في الشهود، وإلى هذا المعنى تشير السيدة رابعة العدوية[1] حين قال لها سفيان الثوري: كما في الإحياء: ماحقيقة إيمانك؟ فقالت: ماعبدته خوفاً من ناره، ولارجاء لجنته فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه ثم قالت:

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاك

(١) رابعة العدوية: تعتبر رابعة بنت إسماعيل العدوية من أشهر الصوفيين في الإسلام، وبلغت من المعرفة مكاناً عالياً حتى إستغناها في دقائق التصوف كبار المتصوفين في عصرها. وشقت أسلوباً رائعاً فريداً في الحب الإلهي، ولم تعد تفكر في جنة أو نار ولا ثواب ولا عقاب بل كانت تتجه نحو ذات الله وحده. ماتت سنة ١٣٥ هـ.

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهلٌ له فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

فنسأل الله أن يوفقنا لطاعته وأن يعصمنا من معصيته، ثم قال: (مسكينك ببابك) أي واقف يرجو رحمتك، والمسكين بفتح الميم لغة أسدية، وبكسرها عند غيرهم، واختلف في معناه فقال ابن السكين: المسكين الذي لاشيء له بخلاف الفقير فإنه الذي له بلغة من العيش، وعلى قوله الفقير أحسن حالاً من المسكين. وقال الأصمعي[1]: المسكين أحسن حالاً ويشهد له قوله تعالى: ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾[2] لأن السفينة تساوي جملة من الدراهم بخلاف الفقير فقد قال الله تعالى في حق الفقراء: ﴿ لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾[3] وقيل هما سيان والنفس تميل إلى قول الأصمعي، والأقوال في ذلك كثيرةٌ ولا طائل تحتها، ورحم الله أهل الفضل حيث قالوا الاختلاف في مثل هذا كاد أن يكون عبثاً إذ ليس تحته كبير فائدة ويطلق المسكين على الذليل المقهور وإن كان غنياً وهذا مناسب لكلام الشيخ هنا، وكذا القول الأول لكن بصرف الاحتياج إلى ماعند الله من خير الدنيا والآخرة. ثم قال: «ياأرحم الراحمين» روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:[4] «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول ياأرحم الراحمين فقال له

---

(١) الأصمعي: عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة، كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظاً.

(٢) سورة الكهف / آية ٧٩.

(٣) سورة البقرة / آية ٢٧٣.

(٤) رواه الحاكم ـ كتاب الدعاء ج ١ /٥٤٤/.

سل فقد نظر إليك الله». رواه الحاكم في المستدرك والله جدير بأن يتصف بكونه أرحم الراحمين، لأن جميع الرحماء محتاجون لرحمته مفتقرون إليه، قال بعضهم: لَمْ أنزل الله الرحمة إلى الأرض بعد تعلقها بالعرش جعلها سبباً للتعاطف والرأفة والحنان والسكون والتربية والنسل إلى غير ذلك من المصالح، فعاش في ذلك أهل الأرض أنسها وجنها وحيوانها وهوامها وتناسلوا وتعاطفوا وتم عليهم أمرهم ورفع أهل الإيمان في ذلك درجة فتعاطفوا وتحابوا. ولايخفى مناسبة مافي مناجاته ياأرحم الراحمين لما قبله في قوله مسكينك ببابك. (لطيفة) سأل بعض الشيعة عالماً من علماء أهل السنة ومقصوده إفحامه عن الجواب فقال له: إن الرحيم من حقه أن لا يعذب أحد من عباده فكيف يعذب بالنار وهو أرحم الراحمين فأجابه السني بأن أسماء الله عديدة ومنها المنتقم وكل أسمائه حقيقة لا مجاز ولابد لكل اسم أن يظهر مايدل عليه في عالم الوجود فمن خصه بالرحمة فلا يعذبه ومن خصه بالانتقام فلا يرحمه، وحكمته تخصص من شاء من عباده بما شاء على حقيقة كل اسم وصفة، قال تعالى: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم﴾[1] فبهت الشيعي وكأنه ألقم حجراً، ثم قال: «صنيعك ببابك» أي مصنوعك واقف ببابك، فصنيعٌ على وزن فعيل بمعنى مفعول، ولا جرم أن كل ماسوى الله صنيعته هو الذي خلقه وصوره على حسب مااقتضته الحكمة الربانية وأعطى لكل مايستحقه وأسدى إليه من النعم مالا يحصى ولو لم يكن منها سوى نعمة الإيجاد بعد العدم، ثم مااتقن به تربيته طوراً بعد طور حتى استقام أمره لكان كافياً. ولذا ناجاه بقوله: «يارب العالمين» إذ الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً سمي به المالك لأنه يحفظ ماملكه ويربيه ولايطلق على غير الله إلاّ

(١) سورة الحجر / آية ٤٩.

مقيداً كرَّب الدار ورب الدابة، وإضافته للعالمين أفادته التعريف والعالم اسم لما سوى الله تعالى وصيغة الجمع لشمول ربوبية الله لجميع الأجناس، وأل لاستغراق أفراد كل منها بأسرها، وإنما جمع جمع العقلاء لدلائه عليهم وعلى غيرهم بطريق الغلبة ولايخفى شموله لجميع العوالم إذ لاشيء أحدق به نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات إلاَّ وهو في حد ذاته محتاج للتربية، فلو فرض انقطاع آثار التربية فما استقر له قرار ولا اطمأنت به الدار، لكن من حكمة الله أن يفيض عليه في كل زمان من جميع النعم ماينا سب في التربية سبحانه ماأعظم شأنه وأعز سلطانه؛ ثم «الطامع ببابك» الطمع الانتظار في شيء يقرب حصوله وهو في هذا المعنى أكثر استعمالاً والطمع في الله عبودية محضة ولذا نُهي عن الطمع لغير الله، لأنه خسة وعبودية للمطموع فيه لاستلزامه ثلاثة أشياء أحدها بذل الطامع وجهه للمطموع فيه، ثانيها أنه يستغرق فكره في وجوه تحصيله بحسب الإمكان. ثالثها ما يترتب على ذلك من الذل في الطلب مع احتمال حصول المقصود وعدمه، ثم مايحصل بعد ذلك من المنة قال صلى الله عليه وسلم: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه»[1]، وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: أنعِم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج لمن شئت تكن أسيره وقال ابن عطاء الله: أنت حر عما أنت منه آيس، وعبد لما أنت فيه طامع، وقال الشاعر:

تضرع إلى الله ولا تتضرع إلى الناس ... واقنع بعرفانك المعز للناس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عن الناس

وقد جاء في الحديث عن سمرة بن جندب[2] رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) كنز العمال ج٦ /١٦٧٠١ ـ أخرجه مالك والبخاري وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة.
(٢) سمرة بن جندب: سمرة بن جندب بن هلال الفزاري: صحابي، من الشجعان القادة، نشأ في=

صلى الله عليه وسلم قال: (إنما السائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلاّ أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لايجد منه بداً)[1] والمراد بالكدح آثار الخدش في الوجه على أن الطمع في غير الله مفسد للدين، فقد قال الحسن البصري[2] لمّا سأله علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: ماصلاح الدين؟ قال: الورع، ومافساد الدين؟ قال: الطمع، وقال إبراهيم بن أدهم[3]: من خاصية الطمع في غير الله أنه يورث الحزن والغم وفي بعض النسخ الطالح ببابك مكان الطامع، فالمراد بالطالح الضعيف الهزيل الذي أثقلته أوزاره، وعلى كل فهو ملتجيء إلى ربه عارف بنفسه، ولذا استغاثه بقوله: «ياغياث المستغيثين» ليكون في عونه ونصرته إذ الغوث والعون والنصرة على المشاق وغياث صفة مبالغة ولا مغيث في الحقيقة إلاّ الله وحده، ومايرى من نصرة الخلق بعضهم بعضاً فهو من الله كما قال تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[4] ثم قال: «مهمومك ببابك ياكاشف كرب المكروبين» أي الذي سلط عليه الهم فصار مكروباً به، قال في المصباح الهم هو الحزن والكرب اسم لكل شاق على النفس لاتتحمله وفيه مضرة

= المدينة ونزل البصرة، كتب (رسالة) إلى بنيه، قال ابن سيرين: فيها علم كثير. مات بالكوفة وقيل بالبصرة.

(١) أخرجه أبو داود ـ كتاب الزكاة باب مايجوز به المسألة رقم /١٦٢٣/ وأحمد بن حنبل ج ٥ /٢٢/. ولفظ أوله (المسائلُ). وفيه زيادة [إلاّ أن يسأل (الرجلُ)]. وفي كنز العمال /١٦٦٩٨/.

(٢) الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب ثم سكن البصرة وقيل إن كلامه أشبه بكلام الأنبياء وأقرب هدياً من الصحابة. توفي في البصرة. له كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة)، بالأزهرية.

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور تفقه ورحل من بلخ إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء هذه الأقطار. كان يشترك مع الغزاة في قتال الروم. مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم).

(٤) سورة الصافات / آية ٩٦.

عليها، والمعنى أنه مهموم ومكروب من عدم وصوله لمرامه ومطلبه وذلك أمر قضاه الله عليه فهو واقف بباب العفو يرجو كشف ذلك عنه.

* «واعلم» * بأن الهم والحزن عند الأولياء، والصوفية أصل لهم، وحاصل بالتفكير في أهوال القيامة والخوف من حضرة الإطلاق التي يفعل الله فيها ما يشاء ولا أخوف منهم أحد بسبب المشاهدة الحاصلة لهم. وقوله: «ثلاثاً» أي تكرره ثلاثاً كما هي سنة الدعاء، ثم قال: «أنا عاصيك ببابك» العصيان في اللغة مخالفة الأمر والنهي، ومن شأن أهل الحقيقة أن يقدموا قبل سؤالهم وطلبهم الاعتراف بإساءتهم وأجرامهم وكونهم أهل لذلك وإن الله بضد ذلك رجاء الإجابة على أنهم رضي الله عنهم قد قهروا أنفسهم تحت مشاق التعبد، وعند أهل الكمال أن مطلق الغفلة عن الله معصية، قال أبو إسحاق الشاطبي[1]: في الموافقات قهر السلف رحمهم الله أنفسهم تحت مشاق التعبد وسووا بين الواجب والمندوب في طلب الفعل وبين المحرم والمكروه في طلب الترك وعدوا من لم يعمر أنفاسه بطالاً. فمن قصر منهم في عمل مندوب أو ترك مكروهاً، أو لم يعمر نفساً من أنفاسه بذكر الله عَدَّ نفسه عاصياً وحصل له الخوف العظيم، والأصل لهم في هذا حديث الندامة يوم القيامة يندم المحسن أن لايكون ازداد ويندم المسيء أن لا يكون نزع هذا وأن المعرفة بعيوب النفس، والاعتراف بها داعية للأدب والانكسار وطريق إلى رحمة العزيز الجبار. قال الكناني[2] رضي الله عنه: لم يفتح الله لسان امرىء بالمعذرة إلاَّ فتح له باب المغفرة. وقال تاج الدين في الحكم: معصية

---

(١) هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، ومات رحمه الله سنة ٧٩٠ هـ.

(٢) هو يحيى بن عمر بن يوسف: الإمام شيخ المالكية أبو زكريا الكناني الأندلسي، وكان له شهرة كبيرة بإفريقية، وحمل عنه عدد كثير، رحمه الله، وقال أبو العباس الأبياني: مارأيت مثل يحيى بن عمر في علمه وزهده ودعائه وبكائه. وسمع بإفريقية من سحنون وغيره. مات في ذي الحجة سنة تسع وثمانين ومئتين.

أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. وقال أبو مدين رضي الله عنه إنكسار العاصي خير من صولة المطيع.

* «واعلم» * بأن المعصية من المؤمن غير معصية الفاجر إذ بينهما فرق من ثلاثة أوجه، فالمؤمن لايعزم عليها قبل فعلها ولايفرح بها وقت فعلها، ولايصر عليها بعد ذلك، والفاجر بخلافه ولذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلاني في قصيدته العينية:

ولي نكتة غراء سوف أقولها ... وحق لها أن تحتويها المسامع
هي الفرق مابين الولي وفاسق ... تنبه لها فالأمر فيه فظائع
وماهو إلاّ أنه قبل وقعه ... تخبر قلبي بالذي هو واقع
فأجني الذي يقضيه في مرادها ... وعيني له قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما ... أرى الفعل مني والأسير مطاوع
فأوي الذي تهواه نفسي ومهجتي ... لذلك في نارٍ حوتها الأضالع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً ... فإني في علم الحقيقة طائع

وهاته القصيدة طويلة بها خمسمائة بيت كما هي في ديوانه رحمه الله وقد غلط في نسبتها أفاضل منهم الشيخ زروق فقد نسبها للشيخ عبد القادر صاحب الحزب وليس كذلك والشبه أتى لهم من لفظ الجيلي (فإن قلت) الأولياء محفوظون بالولاية فكيف تصدر منهم المعصية (قلت) هذه مسألة اختلف فيها على قولين أحدهما الحفظ شرط في الولي، ولايجوز عليه الهفوة والزلة بل الحفظ في حق الولي كالعصمة في حق النبي لكن تسمى عصمة الأولياء حفظاً رعاية للأدب فيقال الأولياء محفوظون كما أن الأنبياء معصومون والمعنى واحد إلاّ أن وقوع الذنب من الأنبياء محال ومن الأولياء جائز لكن يزول بسببه عن رتبة الولاية ومادامو موصوفين بها لايصدر منهم شيء والقول

الثاني أنه لامانع من وقوع الزلة والهفوة من الولي وعليه قول السائل:

من ذا الـذي مـاسـاء قط ومـن لـه الحسنـى فـقط

فأجيب بأن قيل له:

محـمـد الهـادي الـذي عـليـه جبـريـل هـبـط

والاختلاف فيها قوي انظر شارح النصيحة. ثم قال: «ياطالب المستغفرين» لاجرم أن الله طلب العصاة بالاستغفار حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾[1] وحكم على نفسه بالغفران لمن استغفر فضلاً منه ورحمة فقال جل من قائل: ﴿ ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾[2]، ويفهم من مجرى المناجاة في قوله ياطالب المستغفرين أنه استغفر ربه من العصيان المعترف به، وورد في الحديث صيغ كثيرة في كيفية الاستغفار منها مارواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال أستغفر الله العظيم الذي لاإله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف أي هرب من الجيش الذاهب للعدو»[3].

* «واعلم» * بأن الاستغفار النافع الذي تحمل عليه الأخبار الواردة هو الاستغفار باللسان مع تضرع القلب وابتهاله من الذنب، فإن قارنه توبة وعدم إصرار كان أكمل، وإن لم يكن مقروناً بذلك ولكنه مع الندم والانكسار فهو استغفار حقيقة، وإن لم يكن مع واحد من ذلك فهو استغفار الكاذبين الذي قالت فيه رابعة العدوية إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لكن قد ندب بعض الفضلاء الاستغفار والذكر بمجرد اللسان، ولاجرم أنه

---

(١) سورة نوح / آية ١٠ .

(٢) سورة النساء / آية ١١٠ .

(٣) كنز العمال ج١ /٢١٠٩ ـ عن الترمذي وابن سعد عن بلال ـ والحاكم عن ابن مسعود /٢١٠٧ .

خير من السكوت أو الكلام فيما لايعني، ثم قال رحمه الله: «المقر ببابك ياغافراً للمذنبين» أي المعترف بما جناه بسبب المخالفة والعصيان واقف بباب العفو والغفران وقوله ياغافراً هو اسم من أسمائه تعالى كالغفار، فهو مأخوذ من مادته ومعناه الساتر للذنوب والمتجاوز عن العقوبة عليها لطفاً وكرماً بخلقه ولسعة رحمة الله يرجو الشيطان حين يشاهد سعة الرحمة يوم القيامة أن تعمه ويغفر له ماقد جنى فيطيل عنقه لينالها وماقررنا به معنى الغفران هو في حق مولانا عز وجل يدل عليه الحصر في قوله تعالى: ﴿ ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ﴾[1] وأمّا تجاوز المحسن من الخلق على المسيء منهم فهو صفح وعفو لا غفران إذ لا ذنب إلاّ بمخالفة أمر الله وسبب المغفرة غالباً يكون بالتوبة وتعقيب السيئة بالحسنة لأن الحسنات يذهبن السيآت. ثم قال: «المعترف ببابك ياأرحم الراحمين» الاعتراف هو الإقرار أتى به تأكيداً وتقدم معنى أرحم الراحمين وما أبلغ دعاء الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك ياأرحم الراحمين، اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم وعملوا في الذي خلقتهم له فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك ياأرحم الراحمين. ثم قال: «الخاطيء ببابك يارب العالمين» الخاطيء اسم فاعل من أخطأ إذا عرج عن الصواب إلى ضده الذي هو الخطأ وهو يقصر ويمد ويستعمل الخطأ في الذنب أيضاً، وقوله يارب العالمين تقدم شرحه، ثم قال: «الظالم ببابك يامآل الظالمين» المراد بالظالم هنا الظالم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير محله وهو من شيم النفوس البشرية، ويستحيل في حقه تعالى لحديث (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي)[2] أي تعاليت عنه

---

(١) سورة آل عمران / آية ١٣٥.

(٢) رواه مسلم - كتاب البر - باب تحريم الظلم رقم ح /٢٥٧٧/ عن أبي ذر رضي الله عنه.

فتصرفات الله عز وجل كلها في موضعها بلا حاكم يتعقبه ولاحق يترتب عليه خلافاً للمعتزلة قبحهم الله، والمراد بقوله الظالم كونه ظالماً لنفسه كما قال الحسن البصري رضي الله عنه: ظلمنا أنفسنا بالاشتغال بغير الله، وكأنه رأى نفسه أنه اشتغل بأحوال الدنيا وترك الإقبال على خالقها، وقال ابن عطاء الله ظلمنا أنفسنا باشتغالنا بالجنة وطلبها من الله، وقوله يامآل الظالمين هكذا يوجد في بعض النسخ وفي بعضها لايوجد، والظالمين جمع ظالم ومآل الظالمين ورجوعهم إلى الله في اليوم الموعود الذي لايسأل فيه والد على مولود، والحكم لله الواحد القهار إن شاء الله تعالى ستر العيوب، وغفر الذنوب، وإن شاء عذب لا حرج عليه في ذلك ولا منفعة له في طاعة الطائعين ولا مضرة عليه في معصية العاصين، ولكن هذه الأمة المحمدية ناجية إن شاء الله تعالى مغفور لها قال المواق في سنن المهتدين: كان سيدنا عمر بن الخطاب يتلو قوله تعالى: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾[1] فلما فرغ من التلاوة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»[2]. هذا وإن السلف الصالح وأهل الحقيقة ومن وفقه الله لايركنون للبطالة اعتماداً على الحديث المذكور. لأن من ركن إليه ولم يتعب نفسه في مرضاة الله ومأموراته واجتناب منهياته، فلا شك أنه مغرور فقد قال السيد معروف الكرخي: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب والشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، والرجاء في رحمة من لايطاع حمق وجهالة.

* * *

(١) سورة فاطر / آية ٣٢.

(٢) كنز العمال ج٢ / ٢٩٢٥ - رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن عمر.

* «تنبيه» * الظلم ظلمان ظلم يتعلق بالإنسان في خاصة نفسه فيما بينه وبين الله وهو الذي عناه الشيخ هنا، وظلم يتعلق بالإنسان من أذايته للخليقة ومضرته إياها بالقتل والشتم والضرب وأخذ الأموال على وجه الغضب والحيلة والتخويف وغير ذلك من الأذايات وكلاهما صاحبه أمره مفوض إلى ربه، والأول أقرب للنجاة من الثاني والحكم في تبرعات الثاني من صدقة وحبس وهبة وعتق والرد وعدم انعقادها مهما عثر عليها وأمكن الحكم فيها إذا كان جميع مابيده منهوب من أموال الناس، لأنه والحالة هذه مستغرق الذمة ولا ثواب له في جميع التبرعات ومايقال من أن له ثواب المناولة باطل، لأن المناولة يشترط فيها الإذن من رب المال، وهو لا إذن له في الأخذ ولا في التبرع هذا مشهور مذهب مالك والموافق لقواعده «واعلم» بأن إعانة الظالمين معصية ولو بشطر كلمة وقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في بَرِّيَّةٍ هل يسقى شربة ماء فقال دعه حتى يموت، فإن ذلك إعانة له على ظلمه، وقال صلى الله عليه وسلم: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»[1] ومصداق معنى الحديث قوله تعالى: ﴿ وكذلك نولِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾[2] وذكر الغزالي في الإحياء أن بعض الناس أفتى بإسقاء الظالم الذي أشرف على الهلاك لكن يعرض عنه، ثم قال: «البائس الخاشع ببابك» البائس هو المضرور الذي نزل به الضرر وأقام عليه والخاشع هو الخاضع وكثيراً مايقع الخشوع في الأصوات والخضوع في الأعناق قال تعالى: ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾[3] والمراد هنا بالخاشع مايشمل المعنيين والمعنى المضرور الذي قام به ضر التقصير في العبادة وخاشع خاضع واقف ببابك.

---

(١) ذكره صاحب الفردوس بسنده من حديث ابن مسعود ـ كشف الخفاء رقم (٢٣٨٠).

(٢) سورة الأنعام / آية ١٢٩.

(٣) سورة طه / آية ١٠٨.

ثم قال: «ارحمني يامولاي وسيدي» قوله ارحمني هو فعل دعاء يقتضي طلب الرحمة التي هي الرفق والإحسان وإيصال الخير ودفع الشر، والمولى هو الناصر وهو اسم من أسماء الله مأخوذ من اسمه تعالى الولي، وله إطلاقات في الشرع قال تعالى: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾[1] ولما ارتجز أبو سفيان بن حرب يوم أُحد بقوله إن لنا العزة ولا عزة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أجيبوه فقالوا: يارسول الله مانقول؟ قال: (قولوا لهم الله مولانا ولا مولى لكم). والسيد هو المالك لغيره الذي يفزع إليه عند الشدائد، والمعنى أنه طالب من الله أن يرحمه ويتولى أمره بالنصر والإعانة على مطلبه، ثم قال: «إلهي أنت الغافر وأنا المسيء» أي ياإلهي والمراد بالإله واجب الوجود المعبود بحق الثابت الدائم، والإضافة فيه للتشريف وتقدم أن غافراً من أسمائه تعالى وأن معناه الساتر للذنوب المتجاوز عن العقوبة والإساءة المضرة يريد أنه أضر نفسه بالتقصير في عبادة ربه، ومن شأنه أهل الحقيقة إذا أرادوا أن يطلبوا شيئاً من الله قدموا شيئاً يدل على نقصهم وإساءتهم ولذا قال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ماسألت الله شيئاً إلاَّ قدمت إساءتي بين يدي لأكون طالباً لفضله بفضله لاباستحقاق، وذلك لتحقق الغنى به عمن سواه لأنه كفيل بالإجابة، قال تاج الدين بن عطاء الله: إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولكَ المنّة علي، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي، وقد توكلت لي فكيف أضام وأنت النصير لي، ثم قال: «مولاي إلهي أنت الرب وأنا العبد» أي يامولاي ويإلهي أنت الرب المالك والسيد القاهر القائم بالأمر المصلح المربي كل شيء إلى كماله، وأنا العبد لك في جميع الأحوال من فقرٍ وغنى وفقدٍ ووجد وغير ذلك. نقل في مجمع الأحباب عن كتاب الأمثال عن

---

(١) سورة محمد / آية ١١.

علي كرم الله وجهه أنه ارتجل بكلمات قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منها من ذلك قوله في مناجاته: كفاني غداً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت ربي كما أحب فوفقني لما تحب. ولايكون العبد عبداً لربه إلاَّ بالانقطاع له والاستسلام إليه والتصرف بمراداته، فإذا تخلفت هذه الصفات سلب معنى العبودية ضرورة انتفاء الشيء بانتفاء ثمرته. قال بعضهم: يقال للعارف عبد الله بطريق إضافة التشريف ولايقال للعاصي المنهمك عبد الله وإنما يقال له عبد، ثم قال: «وهل يرحم العبد إلاَّ الرب» أي المكمل كل شيء إلى تمامه وإنما سمي العبد عبداً، لأنه مأخوذ من قولهم طريق معبد أي مذلل، والعبد مسلك لمجاري القضاء والقدر، ويقال على أضرب: عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه وعبد بالإيجاد وذلك ليس إلاَّ الله وإياه قصد في قوله تعالى: ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلاَّ آت الرحمن عبداً ﴾[1] وعبد بالعبادة والخدمة وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾[2]، وعبد الدنيا وأعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «تعس عبد الدينار والدرهم»[3]. «واعلم» بأن هل حرف استفهام لطلب التصديق الموجب لاغير وقد يراد بها النفي وقد حملوا عليه قوله تعالى: ﴿ وهل نجازي إلاَّ الكفور ﴾[4] أي مايجازي والمعنيان صالحان هنا في عبارة الشيخ وكذا فيما يأتي بعد هذا فلا عود ولا إعادة؛ ثم قال رضي الله عنه: «مولاي إلهي أنت المالك وأنا المملوك» مالك اسم من أسمائه تعالى وبه قرىء قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ والمالك هو ذو القدرة على الإيجاد الغالب بحكمه على

---

(١) سورة مريم / آية ٩٣.

(٢) سورة ص / آية ٤١.

(٣) كنز العمال ح/٦١٧٠/ البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٤) سورة سبأ / آية ١٧.

كل شيء، ومالك الله لكل شيء حقيقة، ومالك غيره مجاز لأن الإيجاد والإمداد له وهما نعمتان ماخلا موجود عنهما ولابد لكل مكوّن منهما ولاقدرة لأحد سواه على ذلك، ولذا كان الله مالكاً لكل شيء وكل شيء مملوك له لا إله إلاّ هو خالق كل شيء، ثم قال: «وهل يرحم المملوك إلاّ المالك» لأن رحمته من جملة الامدادات الواصلة لسائر الموجودات العلوية والسفلية إذ كل ماسوى الله صنيعته ومملوك له بالإيجاد، ثم بالإمداد فهو محتاج إليه بالقهر والغلبة قال تعالى: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾[1](تنبيه) قوله تعالى: ﴿ وسعت كل شيء ﴾ ليس على عمومه بل هو مقيد بقوله تعالى: ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾[2] الآية وبموجب هذا لايدخل إبليس اللعين تحت العموم المذكور ومناظرته لعنه الله في هذه الآية مع سهل التستري[3] شهيرة في كتب القوم، ثم قال: «مولاي مولاي إلهي أنت العزيز وأنا الذليل» الأسماء الأول الثلاثة كلها مناداة بحرف نداء محذوف وإنما كررها، والمسمى واحد لأجل التأكيد والتلذذ بالخطاب وإظهار شدة التجائه إلى ربه سبحانه، ويُحتمل أنه أراد بالاسم الأول الإشارة إلى الزمن الماضي وبالثاني الإشارة إلى المستقبل وبالثالث الإشارة إلى الحال بحسب الأزمنة المتوالية عليه كما قرره في مثل هذا، والإضافة فيها للتشريف وهكذا يقال فيما بعده مما كررت فيه الأسماء فلا إعادة، وقوله العزيز هو من أسمائه تعالى ومعناه الغالب على كل ذي سطوة بعظم الجلال المرتفع على لحوق الاكتناه لذاته، أو وصول الإدراك إلى حقائق صفاته، وقوله الذليل أي المهان المقهور. قال بعض الفضلاء: على قدر تذلل العبد وترك مشيئته إلى مشيئة مولاه في جميع الأحوال يعظم

(١) سورة الأعراف / آية ١٥٦ .

(٢) سورة الأعراف / آية ١٥٦ .

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس التستري: ولد سنة ٢٠٠ هـ بتستر، وله كرامات مشهورة صحب ذي النون المصري بمكة، وكانت وفاته سنة ٢٨٣ هـ بالبصرة.

الحظ من تلك العزة، ثم قال: «وهل يرحم الذليل إلاَّ العزيز» الغالب بسطوته القوي على كل شيء، لأن الذليل لاقدرة له على رحمة نفسه وإنقاذها من ذلها فضلاً عن رحمة غيره وذل المخلوق للخالق من العبادة الموجبة للعز والارتفاع، قال تاج الدين بن عطاء الله: تحقق بوصفك يمدك بوصفه وتلك ثمرة الإيمان. وأما قوله عليه الصلاة والسلام (المؤمن لايذل نفسه يريد لغير الله). هذا وإن العز في غير الله أمره نسبي يزيد وينقص وينعدم أصلاً بخلاف عز الله، فإنه أبدي ذاتي لاينفك ولايتبدل أزلاً وأبداً، ثم قال: «مولاي مولاي إلهي أنت القوي وأنا الضعيف» القوي اسم من أسمائه تعالى، ومعناه القادر كما في المواقف وغيرها وقال الشيخ زروق: هو الذي لايلحقه ضعف ذاتاً وصفة وفعلاً، وعن بعضهم أنه مأخوذ من القوة التي هي وسط مابين حال باطن الحول وظاهر القوة قال: لأن الذي يوجد أولاً في باطن قوله العمل من الإنسان القوي يسمى حولاً ثم ما يحس به في الأعضاء مثلاً يسمى قوة، وأما في حق الله فمعناه الغالب على معارضه ومخالف أمره. وفي اتصاف غيره تعالى به كما في المشاهد يدل على المدافعة بسبب من الأسباب والله قوي غالب على أمره لايحتاج إلى معين ولا إلى سبب من الأسباب جل وعلا، وقوله وأنا الضعيف أي الذي لاقوة له على المدافعة إلاَّ بحول الله وقوته، ثم قال: «وهل يرحم الضعيف إلاَّ القوي» إذ الضعيف عاجزٌ لاقوة له بخلاف القوي الغالب على أمره بسطوته وقدرته وهو الله جل وعلا، ثم قال: «مولاي إلهي أنت الكريم وأنا اللئيم» الكريم اسم من أسمائه تعالى ولا أكرم من الله إذ هو المتفضل بالجود والإحسان على من طلبه ومن لم يطلبه، وعلى من آمن به أو كفر فالكرم صفة كمال في حق الله تعالى، ويعبر عنها بالفيض تسوق خزائن آلائه إلى المستحق وغير المستحق سواء طلب وانتفع أولاً، وفي حق غيره فطرة تحمل صاحبها على البذل في غير

مقابلة شيء ومجازاة، وله مراتب ترجع إلى صفاء تلك الملكة من كدراتها، ومن أوصاف الكريم إذا قدَّر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولايبالي كم أعطى كما قيل:

إذا كان الحساب على كريم فما استوفى كريم قط حقه

ومن هذه المادة الكرامة وهي الخارق المقارن للصلاح من غير تحدٍ لأنها تكرم صاحبها، ومذهب أهل السنة رضي الله عنهم جواز الكرامة للولي خلافاً للمعتزلة فإنهم أنكروها ولا حجة لهم على ذلك قال إمام الصوفية رحمه الله في لطائف المنن: لاخفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء يكون من الممكنات، لأنه إن لم يكن منها فإما أن يكون من الواجبات وإما أن يكون من المستحيلات، فإن المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي، ولايلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي وباطل، أو يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوباً إذ الطائفة الصوفية مجمعة على أنه قد يكون الولي ولياً، وإن لم تخرق له العادة فتعين أن يكون من الجائزات ولايحيله العقل وكل مالا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله به أولياءه والأدلة على إمكانها كثيرة، وكان بعض الرافضة امتحن الشيخ عبد القادر صاحب الحزب في ملأ من الخلق ليظهر عجزه عن الكرامة وإظهاراً لصحة معتقده فأتاه بقفتين مخيطتين مختومتين وقال له: أخبرنا بما في هاتين القفتين فنزل من أعلا كرسيه وكان إذ ذاك على الكرسي يسمع الناس ويعظهم ووضع يده على إحداهما، وقال في هذه صبي مقعد وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها فإذا بها صبي مقعد فأمسك يده، وقال له قم فقام يعدو، ووضع يده على القفة الأخرى وقال في هاته صبي لاعاهة به وأمر ابنه بفتحها، فإذا بها صبي فقام يمشي فأمسك بناصيته، وقال له اقعد فقعد فلما

رأوا ذلك منه تاب جميع الرافضة الحاضرون من اعتقادهم الفاسد ومات من المريدين في المجلس ثلاثة. نقل ذلك صاحب البهجة بسنده. واللئيم المراد به هنا ماقابل الكريم وهو العاجز عما اتصف به تعالى من صفات الكمال لا اللئيم بالمعنى المتعارف وهو البخيل الشحيح أو صاحب الفحش وغير ذلك من الأوصاف الذميمة، وإن كان ذلك من طبع الذوات البشرية إلاَّ من عصمه الله من ذلك خصوصاً الأنبياء والأولياء فإنهم مبرؤون من ذلك، قالوا من علامات اللئيم إذا ساد ونفذت كلمته آذى أهل الفضل وحسدهم، واستهزأ بمن صار يأتي إلى أعتابه وتشمَّت فيه، وسرح لسانه فيه بما يوجب مضرته، وتعرض له في وصول رزقه، وجفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بأصحابه، ونسي ماأسدوا إليه من الفضل وغير ذلك، ولقد رأيت في زماننا هذا كثيراً من الناس بهذه المثابة، نسأل الله أن يغنينا عن الخلق بمنّه وكرمه ويرزقنا من حيث لايكون لهم علينا يد فهو قادر على ذلك. روي عن المأمون العباسي رحمه الله أنه قال ثلاثة يضيع عندهم المعروف اللئيم والشرير والأحمق، فأما اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبيخة، وأما الشرير فإنه يرى ماأسديت إليه مخافة شره، وأما الأحمق فإنه لايدري مقدار ماصنعته إليه. ثم قال: «وهل يرحم اللئيم» العاجز عما اتصف به المولى من صفات الكمال «إلاَّ الكريم» المتفضل بالجود على الطالب وغيره يسوق خزائن آلائه إلى المستحق وغيره فسبحانه ماأكرمه، ثم قال: «مولاي مولاي إلهي أنت الرزاق وأنا المرزوق وهل يرحم المرزوق إلاَّ الرزاق» الرازق والرزاق كلاهما من أسمائه تعالى؛ قال ابن برجان[1] وسبيلهما سبيل اعتبار اسمه تعالى الخالق واسمه الخلاق فالمخلوقات مختزنة في الأرزاق والأرزاق مختزنة في خزائن

(١) ابن برجان: عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الأشبيلي أبو الحكم: متصوف من مشاهير الصالحين له كتاب في (تفسير القرآن) توفي في مراكش.

السموات والأرض ومقاليد السموات والأرض بيد الخالق الرزاق، ومعنى الاسمين: الممد كل كائن بما يحفظ به صورته ومادته فإمداد الأجسام بالأغذية، وإمداد العقول بالعلم، وإمداد القلب بالفهم، وإمداد الأرواح بالتجليات، والله خالق الأرزاق وموصلها إلى المرتزقين للتمتع بها، ثم إن الرزق رزقان ظاهر لظاهر وهو الأقوات للأبدان، وباطن لباطن وهو المعارف للقلوب والأسرار، وهو تعالى خالق الرزقين وموصلهما إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر هذا، وإن الله يرزق الحلال والحرام كما هو مذهب أهل السنة وذلك مشاهد بالأعيان خلافاً للمعتزلة، وجعل تعالى لكل شيء سبباً ظاهراً أو خفياً، ومن الثاني ماحكاه الشيخ رحمه الله في شرح الأسماء قال: سمعت سالكاً ومعه جماعة يرزقون من حيث لاتعرف لهم جهة معاش فقصدته واجتمعت معه مراراً وذكرت له ذلك فقال: إنه من دعاء شيخي ومن التوجه الصادق غير إنه إذا ضاقت الحال نجتمع وأظنه قال في الثلث الأخيرمن الليل ونروي الاسمين الشريفين، وهما الفتاح والرزاق ثلاثة آلاف مرة وندعو الله بالتيسير وهذه هدية الفقراء من مشائخ أهل الطريقة أو قال: من السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره. ومن المعلوم الضروري أن المرزوق لايرحمه ولا يرزقه إلاَّ الرزاق الذي بيده خزائن الأرزاق المتكفل به لجميع المخلوقات على اختلاف أجناسها سبحانه وتعالى ماأعظم شأنه وأعز سلطانه، ثم قال: «مولاي مولاي إلهي أنا الضعيف أنا الذليل أنا الحقير وأنت العفو وأنت الغفار وأنت الحنّان وأنت المنّان وأنا المذنب وأنا الخائف». تقدم معنى الضعيف وأنه الذي لاقوة له إلاَّ بحول الله وقوته، والذليل المهان المحقور، والحقير هو المهان في قدره الذي لايعبأ به، وهذه الألفاظ كلها دالة على التذلل والخضوع إعطاءً للنفس البشرية حقها فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه وكل ذلك داعية للأدب وطريق إلى الرحمة، والعفو اسم من أسمائه

تعالى ومعناه المتجاوز كثيراً عن المؤاخذة بالذنب إرشاداً وتربية لمن له لمعة نور من أنوار العناية، فالمصالح العامة والخاصة مترتبة على العفو من الله. وقوله وأنت الغفار أي الساتر للعيوب المتجاوز عن العقوبة وهو اسم من أسمائه تعالى وفي بعض النسخ زيادة وأنت الغافر ومادتهما واحدة. وقوله وأنت الحنَّان وأنت المنَّان هما أيضاً من أسمائه تعالى فأما الحنَّان، فمعناه في حق الله يرجع إلى معنى الرحمة والوداد والمحبة والعفو والمبالغة في ذلك ظاهرة من لفظه بخلاف حقيقته في حق المخلوق فإنها رقة النفس والميل المفرط في الطبع، والحيلة سببه شوق تضعف القوة عن حمله، وهذا الوصف القائم بالعباد ما عند الله أتم منه وأكمل حناناً؛ فقد جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقول للعبد إذا غلبته نفسه بالمعاودة للذنب المرة بعد المرة ويندم على ماكان منه فيستغفره ثم تغلبه فيعود، قال: فيقول له الحق في الثانية أو الرابعة ياويحه ياويحه لا هو تارك للذنب ولا هو تاركي من الاستغفار عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك» فَعَذرهُ عز وجل لضعفه عن مقاومة مايجده من عدوه الشيطان وعجزه عن الإتيان بما قد سطر له في أم الكتاب فهو بين هذا وهذا قد ضاقت حيله إلاَّ من استغفار ربهِ، وأما اسم المنَّان فهو مأخوذ من المن الذي هو الإحسان من غير طلب مثوبة ولذلك سمي ماكان أنزله الله على بني إسرائيل من السماء منّاً لأنه أنزله عليهم من غير طلب ولاسبب لهم فيه ولاسعي، بل إنه محض منة من الله وفضل، وقوله وأنا المذنب أي المستحق للعقوبة إذ الذنب يترتب على فعل يستحق فاعله العقوبة عليه كإتيان فعل ورد النهي عنه أو أنكره الشرع، وقد تقدم أن السلف الصالح وأهل الحقيقة يَعِدُّونَ من قصر في عمل مندوب أو ترك مكروه أو لم يعمر نفساً من أنفاسه بذكر الله عاصياً لقهرهم أنفسهم تحت مشاق العبادة، والذنب على الإطلاق ينقسم إلى أقسام أعظمها الشرك بالله، ثم الكفر بأنواعه. ثم المخالفة بما أمر

بفعله جزماً أو نهي عنه قطعاً، ثم الصغائر. والشرك والكفر كلاهما محبط للحسنات بخلاف غيرها من السيآت، فإن السيئة تكتب سيئة وإن عمل حسنة تكتب عشراً وإن الحسنات يذهبن السيئآت وقد جاء في الخبر: (من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن)[1] لأن كلتيهما علامة فالحسنة علامة على وجود مرضاة الله على العبد والسيئة علامة على سخطه عليه، فإن وفق الله العبد للصالحات سره ذلك لأنه علامة على رضا المولى عليه، وإن خذله فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لأنه علامة على السخط، وغلب عليه الخوف ولذا قال: «وأنا الخائف» والخوف توقع شيء فيه مضرة عاجلة أو آجلة. قال ابن أبي جمرة رحمه الله: الخوف ينقسم إلى قسمين خوف عوام المؤمنين وله حد محدود وكذا رجاؤهم ونهاية خوفهم من دخول النار، ثم هم يرجون ماوعدهم ربهم من جزيل العطاء والثواب، وخوف خواص المؤمنين لا حد له لأنهم يخافون عدله وعظمته ولذلك إذا طرق أحدهم طارق الخوف مات إذا لم يداركه الله برحمته، هذا وإن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لايعرف صحة عمله ولاقبوله لخفاء مايطرق الأعمال من الآفات والعبد إذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وخشي أن لاتقبل توبته، وفي بعض النسخ بعد قوله وأنا الخائف زيادة وأنا الضعيف وعليها فهو تكرار أتى به للتأكيد، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان في القبور وظلمتها وضيقها» أي ياإلهي أطلب منك السلامة من هول القبور والأصل في الأمان أن يستعمل في سكون القلب يقال أمن زيد من كذا إذا سلم منه، ولفظ الأمان الثاني تأكيد وفيه إشارة إلى شدة خوفه وكثرة التجائه إلى الله، والقبور جمع قبر وهو محل دفن الميت وضيق القبر لايخفى بحسب الظاهر وكذا ظلمته بعد وضع اللحود وأعظم أحواله الشدة التي تقع للإنسان من ضغطته، ولكن الله

(١) رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري /٧٠٠/ ج ١ ـ كنز العمال.

بالمؤمنين رؤوف رحيم، فقد وردت أحاديث كثيرة أن المؤمنين يفسح لهم في قبورهم دون غيرهم، من ذلك مانقله الحافظ السيوطي رحمه الله في كتاب شرح الصدور قال: أخرج البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة». ولايقال كيف يكون ذلك مع أننا نشاهد القبر على حالته لإنا نقول أمور الآخرة محل خرق العوائد، وقد أخبر صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بذلك فيجب علينا التصديق والقبر أول منازل الآخرة، وقد قال الإمام الغزالي[1] في الإحياء للتصديق: «بعذاب القبر ثلاث مقامات الأول أن ذلك أمر ملكوتي لاتصلحّ هذه العين لمشاهدته، فقد كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايشاهده إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحيّات التي تلدغ في القبور ليست من جنس حيّات عالمنا فهي تدرك بحاسة أخرى. «الثاني» أن يتذكر أمر الله ثم يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه كل ذلك يدركه من نفسه وينادي به كما ينادي اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى معه حية ولاغيرها والحية موجودة معه والعذاب حاصل له لكن لاتشاهده أنت. «الثالث» انظره في الإحياء إن أردت، ثم قال: والحق إن الكل في حيز الإمكان ومن أنكر ذلك فليضيق حوصلته، والتصديق بعذاب القبر واجب». والاشتغال بمعرفة هذا والوصول إلى كنه حقيقته من الفضول بل يشتغل الإنسان بما يدفع عنه العذاب وينجيه، ومثال هذا من حبسه السلطان ليقطع يده فأهمل طلب الحيلة من النجاة وصار طول ليله يتفكر هل

---

(١) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي: أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مئتي مصنف مولده ووفاته في الطابران. نسبته إلى صناعة الغزل. من كتبه (إحياء علوم الدين).

يكون القطع بالموس أو بالسكين. ولهذا قال في النصيحة الزروقية: إن أردت السلامة في اعتقادك فلا تتبع الشبه ولا تطلب الكيفيات في أمور الآخرة، وقال شارحه نقلاً عن الرسائل الكبرى: أن من التعدي طلب كيفية أحوال الآخرة إذ لانص قطعي يعتمد عليه في كيفية ذلك، لأنه مهما رام أحد أن يبين ذلك بكيفية خاصة ظهر فيها التناقض والتعارض، ومن ذلك الخلاف الواقع في الخوض هل هو بعد الصراط أو قبله والحق أن جواب السائل عنه يقال له سترد عليه وتعلمه وهكذا يقال في جميع أحوال الآخرة التي لانص قاطع فيها، ثم قال: «مولاي مولاي ياإلهي أسألك الأمان الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيئتهما» سؤال الملكين في القبر ثابت في الشرع يجب الإيمان به واختلف في اسميهما المشهور منكر ونكير كما هنا، وقيل إن هذين الاسمين اسم للملكين اللذين يسألان الكافر وأما اللذان يسألان المؤمن فاسمهما مبشر وبشير، وسؤال القبر لايتخطى أحداً واختلف في سؤال أطفال المؤمنين على قولين الصواب كما قال الحافظ السيوطي أنهم لايسألون ونصوص الاستدلال على ثبوت السؤال كثيرة من الحديث وها أنا أذكر منها حديثاً واحداً جامعاً فوائده: روى الحافظ السيوطي في كتاب شرح الصدور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة رجل من الأنصار فانتهى إلى القبر ولم يلحد الميت فجلس وجلس الناس كأنه على رؤوسهم الطير وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره الأرض ينكت بمخصرة معه ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه ويُهبطُ الله ملائكة معهم تحفة من تحف الجنة وحنوط من حنوط الجنة وكسوتها فيجلسون منه مد البصر سامطين فيبدأ ملك الموت فيبشره ثم تبشره الملائكة فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من في

السقاء فرحاً بما بشره ملك الموت حتى إذا أخذ نفسه لم تدعها الملائكة طرفة عين حتى يأخذوها ويحتضنوها إليهم بتلك التحف التي هبطوا بها، فإذا ريحها قد ملأ مابين السماء والأرض فتقول الملائكة: ما أطيب تلك الرائحة فتقول الملائكة: هذه الرائحة نفس فلان المؤمن قبض فإذا انتهوا به إلى السماء، فُتحت أبواب السماء لها فليس من باب إلاَّ وهو مشتاق إلى أن يدخل منه حتى إذا دخلوا بها من باب عمله بكى عليه الباب فلا يمرون على أهل سماء إلاَّ قالوا مرحباً بهذه النفس الطيبة التي قبلت وصية ربها حتى انتهوا إلى سدرة المنتهى، فيقول ملك الموت والملائكة الذين هبطوا إليها يارب قبضنا روح فلان بن فلان المؤمن وهو أعلم منهم بذلك فيقول الله: ردوه إلى الأرض فإني أعلم منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى فإنه يسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم إذا وليتم عنه مدبرين فتأتيه أملاك ثلاثة ملكان من ملائكة الرحمة وملك من ملائكة العذاب وقد اكتنفه عمله الصالح والصلاة عند رجليه والصيام عند رأسه والزكاة عن يمينه والصدقة عن يساره والبر وحسن الخلق على صدره، فكلما أتاه ملك العذاب من ناحية ذب عنه عمله الصالح، فيقوم بمزربة لو اجتمع أهل منى لم يقلوها فيقول: أيها العبد الصالح لولا ماكتنفك من الصلاة والصوم والزكاة والصدقة لضربتك بهذه المرزبة ضربة يشتعل قبرك ناراً هو لكما وأنتما له، ثم يصعد ملك العذاب فيقول أحدهما لصاحبه ارفق بولي الله فإنه نجا من هولٍ شديد فيقول: من ربك. فيقول: الله. فيقول: مادينك. قال: ديني الإسلام. فيقول: من نبيك. قال: محمد. فيقولان: ومايدريك قال قرأت كتاب الله عز وجل فآمنت به وصدقت وينتهرانه عندها وهي أشد فتنة تعرض على المؤمن فينادى من السماء صدق عبدي، فأفرشوا له من فرش الجنة واكسوه من كسوتها وطيبوه من طيبها وافسحوا في قبره مد البصر وافتحوا له باباً من أبواب الجنة

عند رأسه وباباً عن رجليه، ثم يقولان نم نومة العروس في حجبتها لم يذق عذاب القبر فيقول: رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي وما أعددت لي فيبعث من قبره يوم القيامة مبيض الوجه». فقوله في الحديث بمخصرة المراد بها العصا التي يعتمد عليها وطولها من الأرض إلى خاصرة الإنسان ويجعلها بيده تحت خاصرته وقد ورد في حديث (المخصرون يأتون يوم القيامة وعلى وجوههم النور) أي الذين يجعلون بأيديهم العصا المذكورة لكثرة تعبهم في العبادة والطاعة، وقوله ونفض أيديهم أي من تراب الدفن، وقوله بمزربة هي بكسر الميم في الأصل اسم لدقة يدق بها السبول، وقوله لكي ارجع الخ. يعني بالرجوع إلى الجنة وأرى أهلي وثمرة ماتصدقت به من المال وما أعد الله له من الثواب على فعله في الدنيا، وقول الشيخ رضي الله عنه وهيئتها يريد بذلك حالتها الظاهرة، وفي بعض النسخ وهيبتها بالباء مكان الهمزة وعليها، فالمراد بها عظمتها وعلى كلٍ فصورتها هائلة عليها السلام، حكي أن عيسى عليه السلام مر بمقبرة فرأى امرأة تبكي وتقول ياساكن القبر والتراب مافعل القبر بالشباب سكنت قبراً بلا أنيس وضيق لحد بغير باب مالك لا تجيبني، فقال لها عيسى عليه السلام: من هذا منك قالت: قال: تريدين أن أحييه بإذن الله فقالت ياليته فدعا عيسى عليه السلام فقام الغلام ينفض التراب من جسده وقد اصفر لونه وذاب جسمه وأبيض شعره، فلمّا رأته المرأة أنكرته وقالت: ولدي شاب وليس هو فقال الولد: بل أنا ولدك فقالت له: ماالذي غيرك فقال لها: هول منكر ونكير. . من منهاج العاشقين وقد جاء في الحديث ما يدل على عِظَم هيئتها. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف بك ياعمر إذا انتهى بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران شعرهما كأن أصواتها الرعد القاصف، وكأن

أعينهما البرق الخاطف يحفران الأرض بأنيابهما فأجلساك ياعمر فتلتلاك وتهلاك قال سيدنا عمر يارسول الله وأنا يومئذ على ماأنا عليه قال: نعم قال: أكفيهما بإذن الله تعالى يارسول الله)، وقوله في الحديث فتلتلاك: أي فحركاك إذ التلتلة التحريك والاضطراب، وقوله: وتهلاك: أي أوقعاك في الغلط، وقيل معناه التقريع أي قرّعاك، وقوله على ماأنا عليه يعني من العقا . قال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء: فيه دليل على أن العقل لايتغير بالموت يعني ولو زال محله وهو القلب فالحمد لله على ذلك. قلت وفيه دليل أيضاً على مقدار طول القبر وعرضه وصورة السؤال في الحديث الأول تقتضي أن السؤال واقع من الملكين باللسان العربي كما هو صريح فيه مع أن الحافظ السيوطي رحمه الله قال في منظومته:

ومن غريب ماترى العينان أن سؤال القبر بالسرياني

وقد قال في شرح الصدور وقع في فتاوي شيخ الإسلام علم الدين البلقيني[1] أن الميت يجيب السؤال بالسرياني؛ قال السيوطي: ولم أقف على نص يقتضيه ولذا جعله في منظومته من الغريب، وسئل عن ذلك ابن حجر فقال ظاهر الحديث أنه باللسان العربي ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانه. ويوافق فتوى علم الدين البلقيني ما نقله صاحب الإبريز عن شيخه عبد العزيز أنه يكون بالسرياني وعلله بأن السريانية لغة الملائكة والأرواح ومن جملة الملائكة ملائكة السؤال وفي الحقيقة أن الميت إنما تجيب روحه والروح تتكلم بالسريانية كسائر الأرواح، لأنه زال عنها حجاب

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح أبو حفص الكناني العسقلاني الشافعي، إمام الأئمة وعلم الأمة أعلم أهل عصره بجميع العلوم وأدراهم بالمنطوق والمفهوم وخاتمة المجتهدين. مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة بغربي أرض مصر ببلقينة. ومات رحمه الله سنة خمس وثمانمائة بالقاهرة (انظر تذكرة الحفاظ ج٣ - ص٢٠٦).

الذات وصورة السؤال على ماقال (موازهوا)، وصورة الجواب (مرادزيرهوا) ومعنى كل حرف من السؤال والجواب يدل على كلامَ تام الموجب في تلك اللغة وَبَيَّنَّهُ هناك عن تفسير شيخه وأطال فيه يراجع في محله، وإنما كانت الأرواح تتكلم بالسريانية لأنها لغة أهل الجنة قال في الإبريز: لمَّا نزل أبونا آدم إلى الأرض كان يتكلم بها مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد إلى زمن سيدنا إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدخلها التبديل والتغيير وأما حديث (أحب العرب لثلاث فإني عربيّ وكلام أهل الجنة عربي والقرآن عربي)[1] فقد أنكروه قال العقيلي: لاأصل له وعده ابن الجوزي في الموضوعات. ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدته» الوحشة الغم والمراد بالشدة الألم الحاصل للميت من ضعطة القبر ومايحصل له من الانفراد وهذه الحالة لاتتخطى إنساناً كبيراً كان أو صغيراً، قال الجلال السيوطي في شرح الصدور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «القبر أول منازل الآخرة فإن نجى منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: «مارأيت منظراً فظيعاً إلاَّ والقبر أفظع منه»[3]. ولذا ناجى الشيخ ربه وطلب السلامة من وحشته وشدته. ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» هذا اليوم هو يوم القيامة وله أحوال كثيرة مهولة مخوفة وكل حالة بانفرادها أمرها عظيم وخطرها جسيم، ولعظمها ذكرت كل حالة بانفرادها وأضيف لها لفظ

---

(١) [أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلامَ أهل الجنة عربي] رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ج ٤ /٨٧/ وفي كنز العمال (القصيلي، والطبراني، والحاكم، والبيهقي) /٣٣٩٢٢/.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ـ ص٦٣ ـ والترمذي وابن ماجه في الزهد عن عثمان بن عفان /ج٤٢٦٧/ في مجمع الزوائد.

(٣) أخرجه الترمذي وبن ماجه ـ في الزهد عن أبي هريرة في الجامع الصغير /ج٥ ـ ٧٩١٠/ ولفظه (مارأيتُ منظراً قط إلاَّ والقبر أفظعُ منه) عن عثمان بن عفان.

يوم كأنه يوم مستقل بالانفراد مع أنها حالة وصفة من صفاته، والقرآن نزل بذلك على حسب ماافتضاه سبب التنزيل وفي ذلك من التهديد والتقريع مالا يخفى، ومن حالات يوم القيامة أن طوله خمسون ألف سنة، وجميع أحواله منها ماهو في النفخة الأولى ومنها ماهو في النفخة الثانية هذه الآية التي ذكر بعضها الشيخ رضي الله عنه سيقت بياناً للمعارج والمصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي وكون هذا اليوم مقدار خمسين ألف سنة، أي مما يعده الناس وذلك منهاج التمثيل والمعنى أن المعارج التي تصعدها الملائكة بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة لو فرض ذلك واستطالة هذا اليوم أما أنه كذلك في الحقيقة، أو لشدته على الكفار، أو لكثرة مافيه من الحالات وأياً ماكان فهو في حق الكافرين وأما في المؤمنين فلا لما رواه أبو سعيد الخدري[1] رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماأطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[2]. والسنة هي الحول وتكون محذوفة اللام وفيها لغتان أحداهما جعل اللام هاء ويبني عليها تصاريف الكلمة والأصل سنهة وتجمع على سنهات مثل سجدة وسجدات وتصغر على سنيهة وثانيتهما جعلها واواً فيبني عليها تصاريف الكلمة أيضاً والأصل سنوة وتجمع على سنوات مثل شهوة وشهوات وتصغر على سنية قاله في المصباح. «واعلم» أن هذا اليوم سمي بالساعة قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي ﴾[3] وورد في الحديث أن جبرائيل سأل عن الساعة فقال له صلى الله

(١) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة روى حديثاً كثيراً وأفتى مدة، وأبوه من شهداء أحد. عاش ستاً وثمانين سنة. مات في أول سنة أربع وسبعين. كان من أهل الصفة وحديثه كثير في الصحيحين.

(٢) كنز العمال ج١٤ /٣٩٠٠٣/. (٣) سورة الأعراف / آية ١٨٧ .

عليه وسلم: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل فقال أخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»[1] قال الخطاب: وأكثر العلماء أن المراد بقوله تلد الأمة ربتها كناية عن كثرة السريات ومعلوم إذا ولدت السرية يكون ولدها سيداً لها كأبيه، وقيل إنه كناية عن كون الأرقاء يلدون الملوك فتكون أم الملك من جملة رعاياه وقيل غير ذلك، وقوله وأن ترى الحفاة أي مالا نعل له العراة من الثياب العالة الفقراء رعاء الشاة، وفي رواية رعاء البهم، وفي أخرى رعاء الإبل يتطاولون في البنيان أي يتفاخرون بطول البناء وكثرته، ومعناه كما قال اللقاني شارح الأربعين: أن أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويستوطنوها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها، فهو إشارة إلى كون الأسافل يصيرون ملوكاً أو كالملوك، ويتولى الرئاسة من لايستحقها، وتعطى السياسة من لايحسنها، وذكر صلى الله عليه وسلم هاتين الإمارتين تحذيراً للحاضرين وإلاّ، فالإمارات كثيرة منها ماهو مذكور في الحزب من الآيات ومنها غير ذلك يراجع في مظانه، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان (يوم ينفخ في الصور فصُعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله» الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام: روي عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول ماخلق الله تعالى من خلق السموات الصور فأعطاه إسرافيل عليه السلام[3] فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال:

(١) رواه الخمسة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أبو هريرة: الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن بن صخر، من أصحاب الصفة. وحفظ أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى، قال البخاري روى عنه ثلثمائة نفس أو أكثر. توفي أبو هريرة سنة ثمان وخمسين.

(٣) وفي الحديث عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم=

قلت يا رسول الله ماالصور قال: القرن قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارته كعرض السموات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ فيه نفخة لايبقى عندها في الحياة أحد»). وذلك قوله تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فصعق ﴾[1] الآية وهذه النفخة هي الأولى. وقوله: ﴿ إلا من شاء الله ﴾ أي عدم إصعاقه وفزعه، وفي بعض النسخ ففزع من في السموات الآية، وعليها فالنفخة هي النفخة الثانية والفزع هو الخوف الحاصل للإنسان إذ ذاك بسبب مايعتريه عند البعث ولانشور بمشاهدة الأهوال الخارقة للعادة في الأنفس، ولذا سأل الشيخ الأمان والسلامة من هذا اليوم أعني يوم القيامة تقبلنا الله فيه بالعافية والغفران، والصعق الموت أو الغشيان قال في الصحاح: صعق صعقاً مات وصعق غشي عليه لصوت سمعه. وكيفية النفخ ذكرها حجة الإسلام الغزالي في الإحياء على أسرار بينها هناك إلى أن قال: «وإذا أراد الله قيام الساعة ووقع النفخ فإذا الجبال تسير مثل السحاب والبحار يفجر بعضها في بعض، وإذا الشمس تكورت وعادت سوداء مزبدة، وسجرت البحار حتى امتلأ عالم الهواء ماء ودخل العالم بعضه في بعض، وانتشرت النجوم كالسلك إذا انتشر من نظمه، وعادت السماء كدهن الورد تدور كدور الرحى، والأرض قد زلزلت، ويأمر الله بخلع الأفلاك فلا يبقى في الأرضين ولا في السموات حي كائن إلاّ ذهبت نفسه وإن كان روحانياً ذهبت روحه، وقد خلت الأرض من عمارها والسماء من سكانها على ضروب الموجودين. ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم

= عن الصور، قال: (قرنٌ ينفخ فيه فإذا أمر إسرافيل بالنفخ ونفخ عندها تزلزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). رواه أبو داود والترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ باب ماجاء في شأن الصور /٢٤٣٠/.

(١) سورة الزمر / آية ٦٨.

زلزلت الأرض زلزالها ﴾، أي حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً بزلزالها المخصوص بها على مقتضى الإرادة والحكمة البالغة، وهو زلزال شديد لا غاية وراءه ويكون عند النفخة الثانية لقوله تعالى: ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾[1] أي مافي جوفها من الأموات والدفائن وهذا الزلزال لا أعظم منه ولانسبة بينه وبين الزلزال المعهود، قال في الإبريز: كان الزلزال كثيراً في أول خلق الأرض وقبل خلق الجبال وكانت الأرض تضطرب وتميد والسبب فيه تجلي الحق سبحانه، ثم حجبها عن ذلك وخلق الجبال فيها فسكنت قال، وفي آخر الزمان يكثر هذا التجلي فلا تزال تكثر فيه الزلازل والرجفات حتى يبيد من عليها. ثم قال: « إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم تطوى السماء كطي السجل للكتاب ﴾»[2] تطوى بالتاء والبناء للمفعول هو إحدى قراآت ثلاث، والثانية بالياء والبناء للمفعول أيضاً، والثالثة بالنون بدل التاء، والياء ومعنى الطي لغة ضد النشر وقيل هو المحو، والسجل الصحيفة أي طياً كطي السجل واللام في الكتاب متعلقة بمحذوف حال قال البخاري[3] في صحيحه السجل الصحيفة، ونقل صاحب الإبريز عن الطبري[4] قال: معناه كطي السجل على مافيه من الكتابة ونقل عن شيخه سيدي عبد العزيز: أن السجل الآلة التي يضع عليها الناسخ الكتاب الذي ينسخ منه قال: وأظنه

---

(١) سورة الزلزلة / آية ٢.

(٢) سورة الأنبياء / آية ١٠٤.

(٣) البخاري: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صاحب الصحيح والتصانيف مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومائة. قال ابن خزيمة عنه: ماتحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري. مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(٤) الطبري: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم المكي الشافعي شيخ الإسلام، مسند الحجاز وإمام الشافعية بالمسجد الحرام بمقام الخليل عليه الصلاة والسلام. ولد في جمادى الثانية أو في شهر رجب سنة ست وثلاثين وستمائة. ومات بمكة المشرفة سنة عشرين وسبعمائة.

قال لي: إنها لفظة سريانية والأقاويل في معناه كثيرة، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ﴾»[1] أي تفتح بالغمام وأصله تتشقق حذفت منه إحدى التاءين، والباء في بالغمام سببية أي بسبب طلوع الغمام منها، وهو سحاب دقيق أبيض مثل الضبابة ويقع خلال هذا الغمام نزول الملائكة بصحائف الأعمال ﴿ والملك يومئذ الحق للرحمن ﴾[2] لا ملك فيه لأحد بل السلطنة القاهرة والاستيلاء العام ظاهراً وباطناً على الدوام له تعالى، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾»[3] التبديل ينقسم إلى قسمين إما في الذوات وإما في الصفات فالأول كما في قوله تعالى: ﴿ بدلناهم جلوداً غيرها ﴾[4] والثاني كما في قولك بدلت الحلقة خاتماً إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى: ﴿ يبدل الله سيآتهم حسنات ﴾[5] على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست بنص في أحد القسمين فهي تحتملهما، وعن علي رضي الله عنه في تفسير تبديلها أنها تبدل أرضاً من فضة، وسموات من ذهب، وهو يرشد على أن التبديل في ذاتها وعن ابن مسعود[6] رضي الله عنه هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد:

---

(١) سورة الفرقان / آية ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان / آية ٢٦ .

(٣) سورة إبراهيم / آية ٤٨ .

(٤) سورة النساء / آية ٥٦ .

(٥) سورة الفرقان / آية ٧٠ .

(٦) ابن مسعود: الإمام الرباني رضي الله عنه. هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أم عبد الهذلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين. حفظ من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وتسمع عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو يدعو فقال: سل. تعطه، وقال من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. توفي في المدينة سنة اثنتين وثلاثين وله نحو من ستين سنة.

وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم

قال أبو السعود قدس الله سره: ويدل على ماقال ابن مسعود مارُوى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: (تبدل الأرض تبسط وتمدُّ مدَّ الأديم العكاضي لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وحينئذ تبرز الخلائق من أجدائهم التي في بطون الأرض) أو المراد بالبروز ظهورهم بأعمالهم التي كانوا عليها سراً ويزعمون أنها لاتظهر ولعل البروز نسب إليهم مع أنه لأعمالهم للإيذان بتشكلهم بأشكال تناسبها، وبروزهم لله الواحد القهار للحساب والجزاء والحكم إذا كان لواحد لايغالب ولا يظاهر كان في غاية مايكون من الشدة، ولذا سأل الشيخ الأمان من ذلك وفي بعض النسخ مكان قوله السموات الخ. ويبقى الله الواحد القهار، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾»[1] أي ينظر المرء ويشاهد ما قدمه من خير أو شر ويتمنى حينئذ الكافر أن يكون تراباً في الدنيا ولم يخلق ولم يكلف ولم يبعث لعظم مايشاهد في هذا اليوم من الأهوال واستحقاق العذاب كما قال تعالى: ﴿ ويحق القول على الكافرين ﴾[2] ولعظم تلك الأهوال سئلت السلامة في هذا اليوم، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان ﴿ يوم لاينفع مال ولابنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ﴾»[3] قال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿ لاينفع ﴾ الخ.. هو بدل من قوله تعالى: ﴿ يوم يبعثون ﴾ جيء به لتأكيد التهويل، لأن يوم البعث والحشر والنشر أمره مهول فأبدل منه يوم لاينفع مال تمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وفاعل النفع هنا عام، ومنه المال وهو لاينفع وإن صرف في

(١) سورة النبأ / آية ٤٠.
(٢) سورة يس / آية ٧٠.
(٣) سورة الشعراء / آية ٨٨.

الدنيا في أحوال البر، وكذا البنون لاينفعون وإن كانوا صالحين متأهلين للشفاعة، بل ولا ينفع شيء في هذا اليوم حتى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام كل منهم يقول نفسي نفسي ولا يتصدى للشفاعة إلاَّ سيد الخلق بعد الإذن، وقوله إلاَّ من أتى الله بقلب سليم أي من مرض الكفر والنفاق ولم تكن عليه تباعة، فإنه من الناجين بعد مشاهدة تلك الأهوال يوم القيامة، وإن من أهوالها ماحكاه حجة الإسلام الغزالي إن جهنم تنفلت من يد الزبانية والحال أن بينها وبين الخلق مسيرة ألف سنة ولها صلصلة وتصعيق، فيقال: ماهذا فيقال: جهنم انفلتت من أيدي سائقيها، فتجثوا الخلائق على الركب حتى الأنبياء والمرسلون ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بلواء محمد صلى الله عليه وسلم كل منهم يقول: نفسي نفسي يارب لاأسألك غيرها ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول: يارب يارب أمتي أمتي سلم سلم وليس في الموقف من تحمله ركبتاه سواه، وهو قوله وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها ﴿اليوم تجزون ماكنتم تعملون﴾، قال بعضهم وانفلات جهنم هو الموضع الثاني من مواضع الفزع الأكبر، ثم قال: «إلهي أسألك الأمان الأمان يوم ينادي المنادي من بطن العرش أين العاصون وأين المذنبون وأين الخاسرون هلموا إلى الحساب» هذه حالة أيضاً من أحوال يوم القيامة.

* «واعلم» * بأن العرش هنا المراد به الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي عرشاً لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك، لأن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك، وأما بطن العرش فهو عند القوم مشتمل على عوالم بها ملائكة الرحمن وهم المأمورون بمنادات الخليقة للحساب وهو مأخوذ من بطن الشيء يبطن إذا خفي ومنه سمي البطن بطناً، ومامن موجود إلاَّ له ظاهر وباطن إلاَّ الله عز وجل فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ليس شيء سواه هكذا فالدنيا باطنها الآخرة والعمل باطنه الثواب والعقاب إلى غير ذلك فمهما ظهر

أحد الزوجين بطن الآخر، وإذا بطن هذا ظهر هذا وليس كذلك الله عز وجلّ ،قال ابن برجان رحمه الله: وقد يعبر بالباطن عن المخفي في العيان. وبمقتضى ماقال يصح أن يكون المراد ببطن العرش مكاناً مخفياً عن العيان وبه ملائكة الرحمن الذين ينادون الناس للحساب، وفي الحقيقة أن العرش باطنه وظاهره لايعلمه إلاّ من وفقه الله وأهله لرؤيته، ولذا قال الشيخ لطف الله به في شرح الأسماء: ظاهر الكون مفهوم لايعتبر وباطنه حقيقة ناطقة لأهل العبر والظاهر واحد والباطن بطون وحقائق تحير الفكر فعقل العوام لايتعدى الظاهر، وفهم الخواص يغوص في بحور البطون ويحوز من جواهرها مايسعه القضاء والقدر، وحظ الظواهر العبارات، وحظ البواطن الإشارات، ولايبلغ درجة العقلاء من لم يبلغ شيئاً منها. وقد فصل الشيخ محيي الدين[1] في الفتوحات تفصيلاً يحسن ذكره هنا حيث قال: العرش في لسان العرب يطلق ويراد به الملك ويراد به السرير فعلى الأول حملة العرش هم القائمون به وعلى الثاني حملته مايقوم عليه من القوائم أو من يحمل على هياكلهم، وقد جعل الرسول حملته في مدة بقاء الدنيا أربعة وفي القيامة ثمانية وتلا قوله تعالى: ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾[2] يعني يوم القيامة قال رحمه الله ونفعنا به: روينا عن ابن ميسرة الجبلي من أكبر أهل الطريق علماً وحالاً وكشفاً، العرش المحمول هو الملك وأطال رحمه الله في مبادي أول المخلوقات من نور ولوح وقلم وملائكة ومأمر القلم بكتبه ومأودع في اللوح

---

(١) هو أحد أكابر العارفين بالله محيي الدين بن العربي أبو بكر محمد بن علي نزيل دمشق. لقبه الشيخ أبو مدين رضي الله عنه بسلطان العارفين وكان رضي الله عنه يكتب الإنشاء لبعض ملوك العرب، ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم وله في كل بلد دخلها مؤلفات. ومما يذكر أن الشيخ عز الدين عبد السلام كان يحط عليه كثيراً فلما صحب أبو الحسن الشاذلي وعرف أحوال القوم صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية. مات رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

(٢) سورة الحاقة / آية ١٧ .

من جميع مايكون إلى يوم القيامة، وأن الله أفاض على ذلك النور إفاضة ذاته فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحماني بالاسم الظاهر، فذاك أول ماظهر من عالم الخلق ثم خلق من ذلك النور الملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، ثم أوجد الكرسي في جوف العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلكاً في جوف فلك وفي كل فلك عالم يعمرونه سمّاهم ملائكة وزينهم بالكواكب وأوحى في كل سماء أمرها. كلامه باختصار ثم على القول بأن العرش سرير وأنه يحمله أربعة قال الشيخ محيي الدين بن عربي أحد الأربعة على صورة إنسان، والثاني على صورة أسد، والثالث على صورة نسر، والرابع على صورة ثور وهو الذي رآه السامري فتخيل أنه إله موسى فصنع لقومه العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى. وأما في قوله أين العاصون وأين المذنبون الخ.. أداة استفهام يسأل بها عن المكان كما هنا ويسأل بها عن المرتبة أيضاً كما قال الزمخشري[1] والاستفهام هنا تقريري وفيه من التهويل مالا يخفى ولأجله وقع الاستفهام وإلاّ فربك عالم بهم ومحيط. والعاصون جمع عاص وهو كل من خالف أمر الله ونهيه وإنما جمع بالواو والنون لأنه صفة للعقلاء، والمذنبون جمع مذنب وهو الأثم المتحمل للأوزار بسبب المخافة، والخاسرون هم الذين خسرت أعمالهم ولم يربحوا زاداً يبلغ مأمناً، لأن درجات الجنة تتفاوت بكثرة الأعمال الصالحة وقلتها وقبولها وعدمها، فمن ردت أعماله لعدم الإخلاص أو غيره أو لاعمل له أو قليل العمل فهو خاسر في ذلك. وقوله هلموا للحساب أي أقبلوا لأجله على ماكنتم تعملون في

---

(١) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأداب. ولد في زمخشر وتنقل في البلدان. توفي في الجرجانية من أشهر كتبه (أساس البلاغة) و(المفصل) و(المستقصى).

الدنيا، هذا وإن الخلق متفاوتون في الحساب والسرعة والطول على مراد الله ولكن الله بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن فضل الله عليهم ماحكاه حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه فيقول الله له اذهب في الناس التمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيجوس خلال العالمين فلا يجد من يعطيه ذلك، وكل من يسأله يقول له أخاف أن يخف ميزاني فأنا أحوج منك إليها حتى ييأس فيقول له رجل: ماتريد فيقول حسنة واحدة ولقد مررت بقوم لهم ألوف منها فبخلوا علي فيقول له الرجل: لقد لقيت الله تعالى وماقي صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني من الله شيئاً خذها هبةً لك فينطلق بها فرحاً فيقول الله تعالى ماحالك فيقول له ماكان من الرجل معه فيدعى بالرجل الذي أعطاه الحسنة ويقول الله تعالى له كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلق به إلى الجنة.

* * *

* «فائدة» * من قال هذا الدعاء كل يوم عشر مرات كُفيَ أهوال الموت وهو هذا: أعددت لكل هول لا إله إلاَّ الله، ولكل هم وغم ماشاء الله ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل طاعة ومعصية لاحول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم. قال الشيخ الرحماني في حاشيته على ذات البراهين: وأحسن من هذا أن يقال: اللهم ارحنا إذا غرق منا الجبين، وكثر الأنين، وأيس منا الطبيب، وبكى علينا الحبيب، اللهم ارحنا إذا وارانا التراب، وفارقنا الأحباب والنعيم، وانقطع عنا النسيم، اللهم ارحنا إذا

نسي اسمنا، واندرس رسمنا وقبرنا، وانطوى ذكرنا فلم يذكرنا ذاكر، ولم يزرنا زائر، اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر، وتبدو الضمائر، وتنشر الدواوين، وتوضع الموازين. ثم قال: «وأنت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم مافي نفسي فاغفر لي ذنبي» العلانية الظهور والسر مايكتم وهو خلاف الإعلان والنفس لغة وجود الشيء أو حقيقته وسيأتي لها مزيد بيان، أي تعلم ظاهري وباطني وجميع ذاتي بما احتويت عليه، والعذر طلب عدم اللوم بما يبديه المعتذر في طرد اللوم عنه فهو طالب من الله قبول عذره كي يسلم من الملام والعقاب وقبول العذر من شيم الكرام والله أكرم الأكرمين، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بقبول عذر من أتى معتذراً ففي حديث الترمذي: «من أتى معتذراً من ذنب فليقبل اعتذاره محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد الحوض».. وأنشد بعضهم:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً تجاوز عن مساويه الكثيرة
فإن الشافعي روى حديثاً بإسناد صحيح عن المغيرة
عن المختار أن الله يمحو بعذر واحد ألفي كبيرة

وقوله فاغفر لي ذنبي أي أطلب منك غفران الذنوب التي ارتكبتها، ومن غفرت ذنوبه فقد نجا وحصل على الهناء ولذا كان الشيخ يوصي المريدين بأن لا يطلبوا من الله إلاّ غفران الذنوب كما في كتاب فتوح الغيب قال فيه: لا تطلبون من الله عز وجل سوى المغفرة للذنوب السالفة والعصمة منها في الأيام الآتية والتوفيق لحسن الطاعة وامتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي والرضاء بجري القضاء والصبر على شدائد البلاء والشكر على جزيل النعماء والعطاء، ثم الموافاة بخاتمة الخير. هذا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر انتقل وهو يقول: «اللهم

اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلا» رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها فكيف بغيره من سائر الخلق فلا يكون له رضا عن نفسه وغفلة عن طلب المغفرة، ومن شأن العارفين الالتفات إلى منّة الله عليهم وتقصيرهم، وبذلك يغيب العارف فلا يكون له المجال الرحب إلاّ في الاستغفار إذ هو دأب العارفين بل مرقى خيرة الخلق من الأنبياء والمرسلين كما أخبر الله عن أبينا آدم عليه السلام بقوله﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[1] وعن نوح عليه السلام بقوله:﴿وإلاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[2] وعن إبراهيم عليه السلام بقوله﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾[3] وعن داود عليه السلام بقوله:﴿ إنه استغفر ربه وخر راكعاً﴾[4] وعن سليمان عليه السلام بقوله:﴿نِعم العبد إنه أواب﴾[5] وعن موسى عليه السلام بقوله ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك﴾[6] وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فقد وردت الأخبار أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكرة والصلاة حتى تورمت قدماه، ومع ذلك كان يعد له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة رب اغفر لي وتب علي، فما بالك بالصديقين والأولياء والصالحين ومن دونهم غفر الله ذنوبنا بمنّه وكرمه. ثم قال «وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي» أي مَسؤُولي والذي يفهم من كلامه أولاً وآخراً، أنه طالب للمغفرة لتكرر ذلك منه وفي كلامه إجمال بعد تفصيل، وتفصيل بعد إجمال وكل ذلك دل على تعظيم الربوبية وتحقيق العبودية وهو من باب إعظام المسألة لقوله صلى الله عليه

---

(١) سورة الأعراف/ آية ٢٣ .
(٢) سورة هود / آية ٤٧ .
(٣) سورة نوح / آية ٢٨ .
(٤) سورة ص / آية ٢٤ .
(٥) سورة ص / آية ٣٠ .
(٦) سورة الأعراف / آية ١٥١ .

وسلم: «إذا سألتم الله فأعظموا المسألة فإن الله لا يتعاظمه شيء فقالوا إذاً نكثروا يارسول الله قال الله أكثر»[1] بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة. ثم قال رضي الله عنه «إلهي آه آه من كثرة الذنوب والعصيان» كلمة آه بالمد وكسر الهاء لالتقاء الساكنين كلمة تقال عند التوجع، وقد تقال عند الاشفاق وكلا المعنيين صالح هنا، فعلى الأول هو متوجع من مجرد المخالفة التي أوجبت له ارتكاب الإثم، وعلى الثاني هو مشفق على نفسه من ذلك والذنوب جمع ذنب وهو الإثم وأما العصيان فهو المخالفة لما أمر به ونهى عنه والمخالفة في نفسها وبصورتها تمنع الإقبال على الحق، فكيف لا يتوجع العاصي ولا يشفق على نفسه ويحزن لذلك لاسيما أهل الخير والصلاح فهم أولى بذلك وأجدر. هذا وإن الذنوب تكفرها التوبة الصادقة ولو بمجرد النية قبل الفعل لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه[2] أنه قال: كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان: والله ما عصاني قط وقال الملك: إنه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر إلى أيهما أقرب فوجداه أقرب إلى القرية الصالحة. ومصداق هذا حديث: «إنما الأعمال[3] بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى».

* «واعلم» * أن الحزن من الذنوب مقام الفضلاء قالت رابعة

---

(١) وجدته بلفظ (إذ دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإنه لايتعاظمُ على الله شيء) ابن حبان عن أبي هريرة. /٣٢٥٠/. وفيه (إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربَّه) ابن حبان عن عائشة /٣٢٣٤/.

(٢) وفيه حديث طويل هذا أوله: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعينَ نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض» رواه البخاري في ذكر بني إسرائيل، ومسلم في التوبة.

(٣) رواه البخاري أول صحيحه في الإيمان ومسلم في الإمارة رقم (١٩٠٧).

العدوية رضي الله عنها: الحزن والتوجع الصادق مقام من مقامات السالكين يبعث على الانكماش في الأعمال والنهوض إلى الطاعة على كل حال. وجاء في الخبر إن الله يحب كل قلب حزين»[1] ومما نقله المواق في سنن المتهددين أن العابدة السيدة بريرة كانت تكثر القراءة بالمصحف وكلما مرت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بَنوعمها: انطلقوا بنا نعزلوها عن البكاء فدخلوا عليها وقالوا لها: كيف أصبحت فقالت: أصبحت بأرض غربة مقيمين أضياقاً ننتظر متى نُدعى فنجيب، فقالوا: لها إلى كم هذا البكاء أما رأيت عينيك قد ذهبتا فقالت: إن يكن لعيني عند الله خير ما يضرهما ما ذهب منهما في دار الدنيا، وإن يكن لهما عند الله شر فلا يردهما بكاء أطول من هذا فقالوا: قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه. وحكايات الصالحين في مثل هذا كثيرة.

* «واعلم» * أن من الذنوب ذنباً عقوبته والعياذ بالله سوء الخاتمة وهو دعوى الولاية والصلاح، قال حجة الإسلام الغزالي: دعوى الولاية والكرامة بالافتراء عقوبتها سوء الخاتمة، لأن مما يعظم عند العامة دعوى الوصول مع الله حتى ينتهي قوم إلى دعوى المشافهة بالخطاب تشبيها بأبي يزيد والحلاج[2] وهذا يعظم ضررَهُ في العوام، ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا هذا إنكار ناشيء عن العلم والجدل وهذا الأمر لا يقوم إلا من الباطن بمكاشفة وهذا مما استطال في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله في دين الله أفضل، وعلى الناس أن يشتغلوا بعبادتهم

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء /٥٨٩٨/ كنز العمال ـ وفي كشف الخفاء ـ الطبراني والقضاعي ج ١ /٧٤٩/. وله لفظ آخر (إن الله يحب القلب الحزين).

(٢) وهو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث. وهو من أهل بيضاء فارس. ونشأ بواسط، والعراق. وممن صحب الجنيد، وأبا الحسن النوري. قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي القعدة، سنة تسعٍ وثلاثمائة.

وتحصيل معاشهم ويتركوا العلم للعلماء والصلاح لأهله بالمعنى، وقد كثر في هذا الزمان دعوى الصلاح والكرامة طلباً لنهب الأرزاق وحظوظ النفس تاب الله علينا وعليهم بمنّه وكرّمه، ثم قال: «آه من كثرة الظلم والجفاء آه من نفسي المطرودة آه من نفسي المطبوعة على الهوى آه من الهوى آه من الهوى» الكثرة العدد الوافر والظلم وضع الشيء في غير موضعه المأمور به شرعاً وهو من شأن الحوادث، والجفاء يريد به الإعراض عن الحق والصواب والطرد البعد، والنفس معناها لغة وجود الشيء أو حقيقته يقال نفس الجوهر ونفس العلم أي حقيقته كل منهما، ويقال على الدم مثل قول الفقهاء ماله نفس سائلة، وعند الصوفية هو ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أفعاله وأخلاقه وكثيراً ما يعبرون بها عن مبدأ الصفات المذمومة، ولذلك كانت أعظم عدو للإنسان لصعوبة الخلاص من شرُّها، وتأوّه الشيخ رضي الله عنه من أمرها لصعوبة الخلاص من شرها، وقوله المطبوعة أي المجبولة على الميل إلى شهواتها فهو مشفق على نفسه من كثرة ظلمه وبعده على مطالبه وعدم تحصيله لما هو طالب وحكم على نفسه بسبب ذلك بالطرد، إذ من المقرر عند أهل الطريقة رضي الله عنهم أن الولي إذا لم يبلغ المقامات العلية بلغها غيره من أهل الحقيقة بحسب نفسه مطرودة بسبب من الأسباب، فيجتهد في العبادة والدعاء وإنما كرر التوجع من الهوى إشارة إلى أنه كلما جاهد النفس بالمخالفة يجدها غالبة له متقوية عليه، وهذا يرشد إلى أنه رضي الله عنه متيقظ إلى أحوال نفسه، فإن أعظم الناس جهلاً من جهل نفسه وأهمل أحواله حتى دخل رمسه، لأن الجهل بها يستلزم الرضا عنها ومواصل كل معصية ومعرفتها تستلزم عدم الرضا عنها وهو أصل كل طاعة كما قال الشيخ ابن عباد: لا شيء واجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها ويقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح حاله ويعلو مقامه،

ومما يعرِّفك قبح إهمال أحوال النفس قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[1]. ولما عظم عليه أمر النفس والهوى استغاث ربه بقوله: «أغثني يا مغيث ثلاثاً أغثني عند تغير حالي» أغثني فعل طلب، والنون نون الوقاية، والياء مفعول به، ومغيث اسم فاعل من أغاث أطلقه، إذ لامغيث في الحقيقة إلا الله، والإغاثة العون والنصرة على المشاقة، ومناجاة الله ... وطلبه عند الشدائد من الأمور المحبوبة عنده عز وجل. قال في نوادر الأصول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبدٍ لهفان قالوا يارسول الله ما اللهفان قال عبد أصاب ذنباً فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه خوفاً من الله، فقال يارب».

وقوله: أغثني عند تغير حالي يحتمل ذلك أمرين أحدهما تغيره باتباع النفس والهوى، ثانيهما تغير الحال في الدنيا والآخرة لأن الدنيا تحول بأهلها إلى الآخرة وحالات الآخرة بعد الموت عديدة وأول منازلها القبر، والناس في الآخرة متى لم يستقر لهم قرار يكون حالهم متغيراً إلى انفصال الموقف إما إلى جنة وإما إلى نار أعاذنا الله منها بمنّه وكرمه، ثم قال رضي الله عنه «اللهم أنا عبدك المذنب المخطيء أجرني من النار ياجير ثلاثاً» قد تقدم الكلام على لفظ اللهم والعبد مأخوذ من العبودية وهي عند القوم لها أربع خصال. الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، فمتى حصلت هذه الخصال لإنسان كان عبداً لمولاه، قائماً بحق العبودية، وقوله المذنب أي الآثم والخطأ ضد الصواب، والإجارة طلب الأمن من المستجار به، والمعنى أنه يطلب من الله الأمن من نار جهنم لأنه عبده ومملوكه وقد أخطأ وأذنب، ومن المعلوم الذي صرح به القرآن أن الله تعالى رتب العقاب على المذنبين الخاطئين، وإن كان سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا حرج عليه في ذلك وأعد لعقاب من شاء عقابه نار جهنم، وقوله

---

(١) سورة الحشر / آية ١٩.

ثلاثاً أي تقرأ ثلاث مرات كما هي سنة الدعاء، وكذلك قوله فيما تقدم أغثني يا مغيث فإنها تقرأ ثلاثاً (تنبيه) قال في الإبريز نقلا عن الشيخ عبد العزيز رضي الله عنه: أن نار جهنم لا ترى مشتعلة نيرة كنار الدنيا فإن جهنم ظلام محض ولو خرج منها قدر التمرة وفرق جمرة في الهواء حتى يصير تفرقه مثل الدخان، فإنه يظهر فيه الضياء والاشتعال وبجهنم قصور مشيدة أعدها الله لمن يستحقها من الظالمين. وقد فصل بعض العلماء بين من يدخل النار وبين من يدخل الجنة حيث قال: الناس على ضربين مؤمن وكافر فالكافر بإجماع في النار، والمؤمن على ضربين تائب ومصرّ فالتائب في الجنة بإجماع والمصرّ على ضربين مصرّ على الصغائر، ومصرّ على الكبائر فالمصرّ على الصغائر دون الكبائر في الجنة بإجماع، والمصرّ على الكبائر على قسمين مستحل لها فهو في النار بإجماع، والمصرّ عليها القائل بتحريمها في مشيئة الله سبحانه وأصغر الذنوب النظر في المحرم ولا أصغر منه، وأكبر الذنوب الكفر وما بينهما مختلف فيه وذلك تفصيله، ثم قال رضي الله عنه «اللهم إن ترحمني فأنت أهل وإن تعذبني فأنا أهل» أي يا الله إن ترحمني وقبلت معذرتي فأنت أهل للرحمة لأنك أرحم الراحمين قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءٍ بجهالةٍ ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾[1] وقوله وإن تعذبني الخ أي فأنا أهل للعذاب ومستحقه لما جبل عليه العبد من النقص الذاتي المناسب لغاية الإقصار والإبعاد عن جانب الحق وحضرة القدس ومحل القرب لولا عناية الله تعالى وتدارك رحمته، ولكنه جل وعلا رضي من عبده بما هو غني عنه من عباده، ويستحيل أن يصل نفع العبادة إليه تعالى لأنه الغني الحميد فكيف بالعبد إذا عصى فهو أجدر بالمقت من أجل ذلك على أن الكل ملكه ولا حرج عليه في تصرفه في ملكه يعذب من يشاء ويرحم من

(١) سورة الأنعام / آية ٥٤.

يشاء، ولأجل ذلك قال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[1]. ثم قال: «يا أهْلَ التقوى ويا أهْلَ المغفرة ثلاثاً ويا أرحم الراحمين ويا خير الناصرين ويا خير الغافرين» أي يا من هو حقيق بأن يُتقى عقابه ويؤمن به ويطاع وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه، وقد وصف نفسه بذلك في كتابه العزيز حيث قال ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾[2] وقوله ثلاثاً أي تقرأ ثلاثاً لأنه سنة الدعاء وأرجى في القبول وتقدم الكلام على أرحم الراحمين، وقوله ويا خير الناصرين أي أكرمهم وأفضلهم والناصر هو المعين على الشدائد والأعداء، ولا معين حقيقة إلاّ الله لأنه أفضل المعينين وأكرمهم والملهم لإعانة الناس بعضهم بعضاً، وهو أفضل الغافرين وأكرمهم لأن غفران الله ستر للذنوب وترك للعقاب وغفران غير الله صفح وعفو. ثم قال «حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير» أي كافيني الله وحده إذ هو خير من يتوكل عليه ففيه الاعتصام بالله تعالى والالتجاء إليه والاكتفاء به والتوكل عليه في قمع ما يعجز قائلها عن قمعه من النفس والشيطان والهوى والدنيا فإنها كلاب الله مسلطة على الإنسان فمن رجع إلى ربه والتجأ إليه صرفها عنه وكفاه مؤنتها. قال تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء﴾[3] الآية، وقوله ونعم الوكيل أي الموكل إليه جل جلاله قال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[4] أي كافيه خصوصاً أولياءه ولذا قال أبو العباس المرسي رحمه الله: مثل الولي مع الله كمثل ولد اللبوة مع أمه

(١) سورة المائدة / آية ١١٨ .
(٢) سورة المدثر / آية ٥٦ .
(٣) سورة آل عمران / آية ١٧٤ .
(٤) سورة الطلاق / آية ٣ .

أتراها تاركته لمن يريد أن يغتاله، وقد ورد في الحديث ما يدل على فضل هاته الكلمات التي ذكرها الشيخ رحمه الله والأمر بذكرها ففي مسند الفردوس من حديث شداد ابن أوس موقوفاً (حسبنا الله ونعم الوكيل أمان كل خائف)، وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] قال: «كيف أنعم وصاحب القرن مذ التقم القرن واستمع الأذن متى يؤمر بالنفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا». وقوله نعم المولى أي الناصر الذي لا يضيع من تولاه، وقوله ونعم النصير أي الناصر وصيغة فعيل للمبالغة أي الذي لا يغلب من ينصره، وتعقيب الطلب والدعاء بقوله حسبي الله الخ يدل على نهاية التذلل والخضوع فهو بمنزلة الطفل لا تتم مصلحته إلاَّ بتدبير قيمه. ثم قال «حسبي الله وحده» هذا تأكيد لجملة حسبي الله وتفسير لها.

* «واعلم» * بأن الحسبلة أول ما تَخَلَّقَ بها الصالحون وتحققوا بمقتضاها وللناس في استعمالها كيفيات على حسب ما استجيب لهم في عدد ذكرها وأول من نطق بالحسبلة. سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين ألقي في النار كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال معروف الكرخي رحمه الله: من دعا الله بالحسبلة وجد الله عنده يقولها: الإنسان لدينه ودنياه ولما أهمه ولمن يبغي عليه وعند الموت وعند المسألة في القبر وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط. قال المواق في سنن المهتدين: وأنا أقول: ولا يزال يحسبل حتى يدخل الجنة إن شاء الله. ثم قال: «برحمتك يا أرحم الراحمين» أي برحمتك ألتمس إجابتي في مسألتي ونصرتي والمقصد المهم فيما يظهر إنها المغفرة وغيرها نعمة زائدة ووسيلة وما قدمه الشيخ من الاعتراف بإساءته وعصيانه هو فعل من أفعال الأولياء والصالحين، لأن من

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ - ٣٢٦ - ج٤ - ٣٧٤.

شأن أهل الخير والفضل أن يقدموا أمام سؤالهم ومطلبهم الاعتراف بإساءتهم، وأنهم أهل لكل عيب ونقيصة وإن لم يصدر منهم شيء من المخالفة وإنما هو اعتراف بما تقتضيه الطبيعة البشرية وأن الله بضد ذلك، فقد جاء في الحديث[1] «من عرف نفسه عرف ربه»، هذا وإن يوسف الصديق على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال كما حكى الله عنه في التنزيل: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلاَّ من رحم ربي﴾[2] الآية.

* «فائدة» * قال في سنن المهتدين نقلاً عن عز الدين بن عبد السلام أنه قال: عند ذكر الأثر المذكور (من عرف نفسه عرف ربه) ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه وهو أن الله سبحانه وضع هذا الروح الروحانية في هذه الجثة الجسمانية لطيفةً لألوهيته، مودعة في كثيفة ناسويته، دالة على وحدانيته وربانيته، ووجه الاستدلال من عشرة أوجه: الأول أن هذا الهيكل الإنساني لما كان متفقراً إلى مدبر وإلى محرك، وهذه الروح تدبره وتحركه علمنا أن هذا العالم لابد له من مدبر ومحرك، الثاني لما كان مدبر الجسد واحد وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. لو كان معه آلهة﴾[3] الآية ﴿وما كان معه من إله﴾[4] الآية. الثالث لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلاَّ بإرادة الروح وبتحريكها له علمنا أن الله مريد لما هو كائن في كونه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه. الرابع لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعوره به لا

---

(١) قال النووي أنه ليس بثابت، وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، وفي أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة سؤل الرسول صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه.

(٢) سورة يوسف / آية ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٢٢.

(٤) سورة المؤمنون / آية ٩١.

يخفى عن الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا أن الله سبحانه لا يعزب عن علمه سبحانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. الخامس لما كان الجسد لم يكن فيه شيء أقرب من الروح علمنا أنه قريب إلى كل شيء. السادس لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد ويكون موجوداً بعدها علمنا أنه سبحانه موجود قبل كون خلقه ويكون موجوداً بعد فناء خلقه فما زال ولا يزال وتقدس عن الزوال. السابع لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية. الثامن لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينية علمنا أنه مقدس عن الأينية والكيفية، فلا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجود في سائر الجسد ما خلا منها موضع من الجسد، وكذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان. التاسع لما كان الروح في الجسد لا يخفى ولا يحس علمنا أن الله سبحانه منزه عن ذلك. العاشر لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا أن الله ليس كمثله شيء. وفي هذا الحديث أعني قوله من عرف نفسه الخ تفسير مشهور وهو أن تعرف أن صفات نفسك على ضد صفات ربك من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، ولذا قدم أهل الفضل ذكر صفاتهم وما تقتضيه الطبيعة البشرية قبل سواهم تحقيقاً بمقام العبودية وإعطاء لحق الربوبية، ولما كان من مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أوائل الدعاء وأواخره، لأن المظنون الراجح أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة والله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ويرفض الوسط. قال رضي الله عنه خاتماً لدعائه«وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» هذه الكيفية في الصلاة طريقة المحدثين والوارد في تعليم الصلاة اللهم صل كما تقدم في أول الشرح وتقدم أن المقصود من التعليم إحالة صلاتنا على صلاة الله عليه ولا خصوصية للفظ بعينه، وأن

الباب في ذلك واسع عدى ما يفعله النساخون من الاختصار في لفظ الصلاة ويشيرون له بقولهم: (صلعم)، فإنه منهي عنه وإن وجد كتاب فيه ذلك فإنه عيب في البيع إذا لم يَطُّلع عليه المشتري ويجب به الرد وبه العمل والفتوى بتونس قال البسيل في تفسيره كان في زمن الإمام ابن عرفة بيع صحيح البخاري بالكتبيين ووجد فيه هذا الاختصار ولم يطلع عليه المشتري فأفتى الشيخ ابن عرفة برده، ومصدر صلى صلاة وهذا هو المشهور، وأما تصلية فهو مهجور لما فيه من الإيهام ولا منع فيه ولا كفر اذا قصد به الدعاء، وأما إذا قصد به الإحراق فهو كفر خلافاً لمن منعه رأساً وهو محجوج بقول من يوثق بعربيته.

تركت المدام وعرف الغذا وأدنيت تصلية وابتهالا

* «واعلم» * بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنور القلوب فقد جاء في الحديث[1] «الصلاة عليّ نور في القلب ونور على الصراط» ولهاته الخاصية أمرَ المشائخ بالإكثار منها مع غيرها من الأذكار قال الشيخ زروق في القواعد: نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد مثيرةً لحرارة طبعه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنور النفوس لأنها كالماء تذهب وجه الطبائع وقد أشار الصديق إلى هذا حيث قال: «الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار»، والقلب إذا تنور صار له حكم أهل العناية يعني يكتسب بالصلاة القرب من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون منسوباً له ومحسوباً عليه وداخلاً في جملة عبيده وخدامه، ومن هذا يظهر وجه ما ذكره الشيخ رضي الله عنه من أن الصلاة على النبي

(١) كنز العمال ـ ٢١٤٩ . عن أبي هريرة. وجدته بلفظ: (الصلاة عليّ نور على الصراط فمن صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاماً).

صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ في الهداية وتصفية الباطن انظر من ابن زكري[1] على النصيحة الكافية، وقد تقدم شرح ألفاظ الصلاة في أول الشرح إلى قوله وصحبه فهو جمع صاحب وهو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك وحكم الصلاة على الصحابة رضي الله عنهم عندنا الاستحباب، وإن لم يرد نص قاطع بالصلاة عليهم بالخصوص فقد ورد عموماً في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾، ولا ريب أنهم رضي الله عنهم أعانوا على إقامة الدين وبذلوا جهدهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد انتقاله فلا مرية أن نشكر فضلهم ونرضى عنهم ونستغفر لهم ونطلب لهم زيادة الرحمة رضي الله عنهم أجمعين. وهنا وقف القلم وجنح القول للسلم والمأمول من محاسن أخلاق الإخوان إصلاح ما وقع فيه من هفوات اللسان. فإن ذمّه شرذمة الأغبياء. فيحمده فحول الأذكياء.

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لآمها

* * *

والله أسأل بدمع منهمر. وقلب منكسر. أن يعصمنا من الخطأ والخلل. والزيغ والزلل. إنه ولي ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل، توفانا الله مسلمين وأماتنا على حب النبي وأصحابه والتابعين وحشرنا معهم في أعلا عليين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. نجز في يوم السبت أول شهر حجة الحرام سنة ١٢٧٢ اثنتين وسبعين ومائتين وألف من هجرته. صلى الله عليه وسلم

(١) ابن زكري: أحمد بن محمد بن زكري: فقيه أصولي بياني من أهل تلمسان نشأ يتيماً. تفقه على يدي العلامة زاغو إلى أن نبغ واشتهر. من كتبه (مسائل القضاء والفتيا).

فهـــرس مراجـــع التوثيـــق

أحكام القرآن	الإمام أبو عبد الله القرطبي	دار إحياء التراث العربي
إحياء علوم الدين	الإمام أبو حامد الغزالي	دار القلم
الأعـــلام	خير الدين الزركلي	دار العلم للملايين
تحفة الذاكرين	للشوكاني	دار القلم
التاج: الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ	منصور علي ناصيف	دار إحياء التراث العربي
ترتيب القاموس المحيط	الطاهر أحمد الزاوي	دار الفكر
جامع كرامات الأولياء	الشيخ يوسف النبهاني	مصطفى البابي الحلبي
جامع الأصول من أحاديث الرسول	الإمام ابن الأثير الجزري	مكتبة الحلواني
الجامع الصغير	للسيوطي	دار خدمات القرآن
حلية الأولياء	للحافظ أبي نعيم الأصبهاني	دار الكتاب العربي
رشحات عين الحياة	للشيخ علي الهروي	المكتبة الإسلامية
الرسالة القشيرية	الإمام القشيري	دار الخير
دلائل النبوة	للحافظ أبي نعيم الأصبهاني	دار ابن كثير
سنن ابن ماجه	ت. محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي
سنن الترمذي	ت. أحمد محمد شاكر	مصطفى البابي الحلبي
سنن البيهقي	للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين	دار المعرفة
السيرة النبوية	لابن هشام	دار الكنوز الأدبية
سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين الذهبي	مؤسسة الرسالة
الشفا: بتعريف حقوق المصطفى	للقاضي عياض اليحصبي	مؤسسة علوم القرآن
صحيح البخاري	ت. د. مصطفى البغا	
صحيح مسلم	ت. محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي
صحيح الترمذي	شرح ابن العربي المالكي	دار الكتاب العربي

طبقات الصوفية	الإمام السُلَمي	دار الكتاب النفيس
الطبقات الكبرى	الإمام الشعراني	دار الفكر
الغُنية	للشيخ عبد القادر الجيلاني	دار الألباب
فتوح الغيب	للشيخ عبد القادر الجيلاني	دار الألباب
فيض القدير	محمد عبد الرؤوف المناوي	دار الفكر
الفرج بعد الشدة	للتنوخي ـ ت . الشالجي	دار صادر
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	للشوكاني	جـــدة
كشف الخفاء ومزيل الإلباس	للعجلوني ـ ت . القلاش	مؤسسة الرسالة
كنز العمال	علاء الدين الهندي	مؤسسة الرسالة
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	للهيثمي	دار الكتاب العربي
الموطـــأ	للإمام مالك بن أنس	دار الفكر
المستدرك على الصحيحين	أبو عبد الله الحاكم	دار المعرفة
مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع	صفي الدين البغدادي	دار المعرفة
مسند الإمام أحمد بن حنبل	محمد السعيد بسيوني	دار الكتب العلمية
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	لابن خلكان	دار صادر

* * *

* فهـــرس الموضـــوعات *

ـ مقدمـــــة ٥
ـ تعـــــريف ٧
غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر «رضي الله عنه» ـ لابن حجر العسقلاني «رحمه الله» ٩
* فصل ـ في صفته «رضي الله عنه» ١٠
* الباب الثاني: في نشأته ١١
* فصل ـ فيما جاء في سعة علمه ١٦
* فصل ـ فيما أورده الشيخ الشطنوفي في منفرداته ١٩
* الباب الثالث: في ذكر مشايخه ٢٤
* الباب الرابع: في بيان أحواله ٢٥
* الباب الخامس: في ثناء الناس عليه ٢٦
* الباب السادس: فيما نقله أهل عصره من الكرامات والخوارق وبالسند ٢٩
* الباب السابع: في نبذة من بليغ كلامه ٣٥
* الباب الثامن: في وفاته ٣٦
ـ خطبة الكتاب ٣٧
ـ مقدمة في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٣٩
ـ مبحث الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على النبي ﷺ وفوائدها ٤٠
ـ ماقيل في (فضل) الصلاة على النبي ﷺ نظماً ٤٩
ـ شرح الصلاة الصغرى ٥٥
* الفائدة الأولى: فيما في اسمه ﷺ من الخصائص ٦٦
* الفائدة الثانية: فيما استنبط من اسمه ﷺ ٦٧
* الفائدة الثالثة: ٦٨
ـ قف على مسألة الشرف من جهة الأم وماقاله المفتي أبو السعود والشيخ الشرنبلالي فيه .. ٨٨
ـ مسألة تعليم الأشراف بالعمامة الخضراء ٨٩
ـ الكلام على أبنائه ﷺ وأزواجه وسراريه ونسبه ونسب أمه ٩٢
ـ خاتمة للشرح المذكور ١٠٣

- فوائد تتضمن شرح تسع صلوات للشيخ المنلا ١٠٥
* الفائدة الأولى: في الاشارة إلى حل ألفاظ هذه الصلوات ١٠٥
* الفائدة الثانية: في مفاخر الإسلام ١١٠
* الفائدة الثالثة: في المواطن التي تطلب فيها الصلاة على النبي ﷺ ١١٠
* الفائدة الرابعة: في كتابة الصلاة على النبي ﷺ ١١٣
* الفائدة الخامسة: اختلف في حكمة أمره تعالى بالصلاة على النبي ﷺ ١١٣
* الفائدة السادسة: اختلف في فائدة الصلاة عليه ١١٤
* الفائدة السابعة: في تاريخ مشروعية الصلاة عليه ١١٥
* الفائدة الثامنة: هل يجب أن يصلي على نفسه ﷺ ١١٦
* الفائدة التاسعة: هل كانت الأمم السالفة متعبدة بالصلاة على أنبيائها ١١٦
* الفائدة العاشرة: ماقاله صاحب العارضة في أجر الصلاة ١١٦
* الفائدة الحادية عشرة: هل يقطع بقبولها ١١٦
* الفائدة الثانية عشرة: في أن الصلاة حبس على صاحبها ١١٧
* الفائدة الثالثة عشرة: في حكم أفرادها عن السلام ١١٨
* الفائدة الرابعة عشرة: في حكم الصلاة على الملائكة وسائر الأنبياء وغيرهم ١١٨
* الفائدة الخامسة عشرة: ماقيل في معنى قوله من أكثر الصلاة عليّ الحديث ١١٩
* الفائدة السادسة عشرة: في وجه تخصيص يوم الجمعة بالحظ على تكثير الصلاة عليه فيه ١١٩
- خاتمة في فوائد أخرى نظماً ونثراً لبعض صلوات وأذكار وأدعية ١٢٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فهـــرس
شـــرح حـــزب الوســـيلة

- خطبة الشرح ١٧٣
- نسب الشيخ رضي الله عنه ١٧٥
- بعض أوصاف الشيخ ومزاياه ١٧٧
- بداية شرح حزب الوسيلة ١٨٠
- لطيفة أدبية ١٨٥
- تنبيهات الأول في بيان التشبيه من المصلي كما صليت.. الخ ١٩٨
- الثاني هل الصلاة على النبي ﷺ (مقطوع بقبولها) ١٩٩
- مافائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له ٢٠٢

ـ معنى فقير الله عند القوم والفناء وأقسامه ٢٠٧
ـ المعصية من المؤمن غير المعصية من الفاجر ٢١٦
ـ التصديق بعذاب القبر ثلاث مقامات ٢١٩
ـ تنبيه ـ الظلم ظلمان. فيما يتعلق في خاصة نفسه وفيما يتعلق بالخليقة ٢٢٠
ـ سؤال الملكين ومايتعلق به ٢٣١
ـ العرش وحملته والكرسي ومايتبع ذلك من الفوائد ٢٤٢
ـ عقوبة دعوى الولاية كذباً «سوء الخاتمة» والعياذ بالله ٢٤٩
ـ فائدة تتعلق بحديث من عرف نفسه عرف ربه وهي مهمة ٢٥٥
ـ مايلزم على كتابة الصلاة عليه منحوتة ٢٥٦

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى